

محمود شاہی

حیاتِ یوسف

دارالجمیل
بیروت

الأهداء

اللهمَّ منك وإليك

محمود شبلي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

هذه أحسن قصة ...

بصريح القرآن : « نحن نقص عليك أحسن القصص ... »

أو بلغة عصرنا ... أجل قصة ... وأحلى حكاية ... وأرق رواية ...

لماذا كانت قصة يوسف ، أحسن القصص ، وأحلى الروايات ؟

الآن فيها من الوقائع ، ما ليس في غيرها ؟

كلا ... فمن القصص ما يزخر بالاحداث أضعاف تلك القصة !

أمن أجل أنها قصة نبي كريم ؟

كلا ... فمن الأنبياء من هو أعلى مقاماً من يوسف ... عليه السلام !

الأنها ... من القصص الذي تولى الله تعالى قصه ... على الناس ... في كتابه

الكريم ؟

كلا ... فكم من القصص ... قصّ سبحانه على الناس سواها !

فلماذا إذاً كانت قصة يوسف أحسن القصص بصريح القرآن ؟

لأنها قصة أخطر عاطفة بشرية ... العاطفة الخالدة ... التي نسميها « الحب » !

قال سبحانه « امرأة العزيز ، تراودُ فتاها عن نفسه ، قد شغفها حباً ... »

قد تغافل حب يوسف ... في شغاف قلبها ... فما تملك أن تدافعه ... وما تملك أن

تقاومه !!!

الحب !!!

تلك العاطفة الكبرى ... من عواطف البشر ...

تلك العاطفة التي أخذت على الانسان عقله ، وتفكيره ، وأحلامه ، وحياته ...
ما هو الحب ؟!
الجواب ... في قصة يوسف ...
ما هو الجمال ؟!
الجواب ... هو يوسف ...
ما هو سلطان الحب على النساء ؟
الجواب : هو ما كان من امرأة العزيز ... ونسوة في المدينة ...
كيف يكون موقف الانسان المؤمن من غواية الحب ... وضلالات الهوى ؟
الجواب : انظروا ماذا كان من يوسف حين أبى ، واستعصى ، وآثر السجن ...
على حياة الهوى !!
جمال الصورة ... هل هو نعمة ، أو نقمة ؟
الجواب : انظروا ... ماذا أصاب يوسف ... بسبب جمال صورته ...
فقد أوتي يوسف « شطر الحسن » .
فالحسن حسنان ...
حسن الظاهر ... جمال الصورة ...
وحسن الباطن ... جمال الروح ...
ولقد أوتي يوسف الحسن الظاهر ... كاملا ...
فضلا عن حسن الباطن ... أوتي نور الأنبياء ...
فافتتن النسوة بحسن الظاهر ... حسن الجسد ...
ولم يلحظن ... حسن الباطن ... المكنون في جوهرة السكريم ...
فلما تبين لهم : « قُلْنَ : حَاشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ » ...
أدركن أن الرجل ... مكنون فيه ... جمال باطن .. غير هذا الذي ... يركزن
عليه أبصارهن ...

وغاب عنهن أن بحر جماله الباطن ... يذوب فيه جماله الظاهر ...
لقد كانت قصة يوسف أحسن القصص . ، بما فيها من تلاطم عواطف الحب ،
والجمال ، والسكر والقر ، حول تلك العاطفة الخالدة !!!
وجماهير الناس ... يهيمها الحب وما يتعلق به ... أكثر من أى شيء آخر ...
وقد تكون أفاصيص الجهاد في سبيل الحق ... أعلى مقاما عند الله ...
إلا أنها لا تستهوى الجمهير ... بمثل ما تستهويهم أفاصيص الحب والغرام ...
بأن عاطفة الحب ... عاطفة جنس ... والجنس هو الفريزة الأولى ... في أحاسيس
البشر .

وكانت أحسن القصص ، بما فيها من عواطف بشرية أخرى ... كبرى ...
غرائز الغل ، والحقد ، المبتوثة في ثنايا جبلات البشر ...
غل الإخوة ... غير الأشقاء ... على أخ لهم من أيهم ...
غل يدفعهم ... إلى التفكير في قتل أخيهم ...
وبما فيها من عاطفة الأبوة ... في ذروتها ... حين أحب يعقوب ... يوسف ...
حبا ملك عليه فؤاده ...

« لِيُؤْسَفُ ، وَأُخْوَهُ ، أَحَبُّ إِلَى أَيْبِنَا مِنَّا ... »
وكيف دفع هذا الحب ... أبناء الرجل أن يكيدوا لأبيهم كيداً عظيماً !!!
وبما فيها من عاطفة الصبر الجميل « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ... »
وكيف صبر الأب صبراً جميلاً ... لا شكوى فيه . .
« إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » ، !!!
وبما فيها من أعاجيب ... مكنونات ... المقادير !!!
أولئك الأخوة ... كان تدبيرهم الخبيث « اقْتُلُوا يُوسُفَ ... يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ
أَيِّكُمْ ... »

وكان تدبير القدر « وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَّبُّكَ ، وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ

وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وعلى آل يعقوب، كما آتَمَهَا على أَبَوَيْكَ من قبل إبراهيم وإسحاق!!
أرادوا قتله ... وأزاد الله ... أن يكون نبيا ... وملكا ... وعظيما ... وخالدا ...
وجاءوه ... وأعلنوها «... تالله لقد آتَرَكَ اللهُ علينا ...» ا
ولمَّا كانت قصة يوسف أحسن القصص ... بما فيها من اظهار مكنونات عجائب
معادن الأنبياء ...

أولئك الكواكب اللآلءة ... التي تتشعشع بجواهر حبات النور ... كلما مستها
الحوادث ... زادتها اشعاعا وشمعا !!

وبما فيها من تجلي عبقرية يوسف ... في ادارة اقتصاديات مصر ...
فكانت خيرا عميا لأهل مصر ... وللمنطقة كلها ...

وبما فيها من الخاتمة السعيدة ... التي يتفضل الله بها ... على كل من اتقى وصبر ...
«... إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »

وبما فيها من ظلمات الشهوات ... شهوة الجنس ... وكيف تدفع امرأة العزيز ... أن
تعرض نفسها عرضا ... على يوسف ...

ونور التعالى على المعصية ... «... مَعَاذَ اللَّهِ ، ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ..»

وظلمات شهوة الحسد ... وكيف دفع اخوة يوسف إلى أحقر تدبير

إذ يجتمع عشرة رجال ... لقتل طفل صغير!!!

وبما فيها من نور التوكل ... لمن تلمحظه عين العناية

« وأوحينا إليه لتَسْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ، وهم لَا يَشْعُرُونَ » !!

وبما فيها من غرائز بشرية ... جياشة ... متدافعة ...

الأبناء يرمون أباهم بتخريف الكبر ...

« تالله إِنَّكَ لَنَافِي ضَالِكِ الْقَدِيمِ » !!!

يقولون هذا ... وهم يعلمون أن أباهم ... نبي ونور عظيم !!!

ولكنهم يبغضون هذا المسمى يوسف ... الذى يذكره أبوم دائما !!!
وبما فيها من أعاجيب ... معادن الأنبياء ...
هؤلاء هم أخوته ... أذلاء ... بين يديه ...
فكان ما قال : « لَأَنْتَرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ... »
وقال : « ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ » !!
عفو ... صفح جميل ... لاشئ فى قلبه !!!
وإن فى هذه القصة من الاشاعات ... ما إن تفجر ... للآ ما بين السماء والأرض
شاعا ونورا ...
فيها بحار ... أنوار ... يوسف ...
وما أدراك ما يوسف !!!
ثم ما أدراك ما يوسف !!!
واعل ذلك هو السر ... فى أنها هى القصة الوحيدة ... التى قصها الله تعالى ... فى سورة
وحيدة ... من أولها إلى آخرها ... فى القرآن الكريم ...
اختصه بسورة وحده ... سورة يوسف ...
واختص القصة ... بجميع السورة ... من أولها إلى آخرها ...
وسلك فى سردها ... التسلسل التاريخي ... فكانت أعجوبة ... وآية ... وإعجازا ...
فى التفصيل ... والإجمال ...
« لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ » .
« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ... »
ومن أجل أن الله تعالى تولى تسجيلها كاملة ... فى سورة كاملة ... من كتابه
الكريم ...
ومن أجل أنها هى الوحيدة التى اختصت بذلك الشرف العظيم ...
ومن أجل أن حياة الأنبياء ... لا يبرز لنا أن نزيد أو ننقص ... أو نتخيل أو
نتزيد ... فيها ...

ومن أجل الحفاظ ... على اشعاعات أنوارها ... كما رتبها ربنا تبارك وتعالى ...
في كتابه المكنون ...

من أجل ذلك كله ... سلكنا في « حياة يوسف » مسلكا جديدا ...
أن نقدم إلى الناس ، حياة يوسف ، كما قدمها كتاب الله تعالى ...
فتمضى مع الآيات ... تبينا ... وتفسيرا ...
ثم تتبع الآية ... بما فيها من اشعاعات ...
ثم ندع القارئ .. بعد ذلك ... يجوس خلال أنوارها ...
لتبقى للقصة اشعاعاتها ...
فلا نجيب قلب القارئ ... بظلمات التأليف ...
وإن للتأليف اظلمة ...

حين يطغى ... على أنوار التنزيل !!

ولعل هذا المنهج ... في معالجة « حياة يوسف » وتقديمها إلى الناس ..
يكون ... إن شاء الله ... أجل أسلوب ... لأجل قصة .

محمد شلبي

القاهرة في ١٣٨٨ هـ
١٩٦٨ م

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« ابن الكريم

» ابن الكريم

« ابن الكريم

« ابن الكريم

« يوسف ، نبي الله

» ابن يعقوب ، نبي الله

» ابن اسحاق ، نبي الله

« ابن ابراهيم ، خليل الله »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

أَلَمْ تَرَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ .

« آلم » ألف ... لام ... را ...

من مثل هذه الحروف الميسورة البذولة لكل الناس ... أنزل ذلك القرآن العظيم ..
فهل يستطيع أحد أن يأتي بقرآن مثله ؟

« تلك » الإشارة بالبعيد لعظمته ، وبعد مرتبته .

« آيات الكتاب » آيات القرآن ، الذي هو الكتاب الحق ...

« المبين » الظاهر أمرها وإيجازها . أو : الظاهر أنها من عند الله تعالى .

- ٢ -

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

« إنا أنزلناه » إنا ... نحن الله ... أنزلناه ... على رسولنا ... من عندنا .

« قرآنًا عربيًّا » قرآنًا بلغتكم .

« لعلكم تعقلون » لكي تفهموه ونحيطوا بمعانيه ، ولا يلتبس عليكم .

أو : لتستمعوا فيه عقولكم ، فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ، ممن لم يتعلم القصص ،

مهجز ، لا يمكن إلا بالإيجاز .

قال بعضهم : نزل أشرف الكتب ، بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة

أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وفي أشرف شهور السنة ، وهو

رمضان ، فكم له الشرف من كل الوجوه .

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ
وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ .

« نحن » نحن الله ...

« نقص عليك » نحكي لك ...

« أحسن القصص » أبداع القصص بطريقة ، وأعجبه أسلوبها ، وأصدقته أخبارها ، وأجمعه

حكما وعبرا .

« بما أوحينا إليك » بإيحاءنا إليك .

« هذا القرآن » هذا الكتاب العظيم .

« وإن كنت من قبله لمن الغافلين » وإن كنت يا أيها الرسول من قبل إيحاءنا إليك

هذا القرآن لمن الغافلين عنه ، لم يخطر ببالك .

والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لإجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم .

اشعاعات

١١٩ نحن

الله يتكلم ... فيها جمال وجلال ..

ولسكن ... لماذا كان قصص القرآن هو أحسن القصص ؟

الجواب ... بما أوحينا إليك هذا القرآن !

لسبب واحد ... هو أن الله هو الذي يتولى إيحاءه إلى محمد صلى الله عليه وسلم !

ولكن ... لماذا كان هذا سببا جعل قصص القرآن أحسن القصص ؟

لأن الله حين يوحى ... وحين يقص ... إنما يقص الحق .

وشتان بين الحق المطلق ... وبين خيال المؤلفين .. وأوهام الملقين ...

وحين يتكلم الله ... جل ثناؤه ... إنما هو الله يتكلم ...
والفرق بين كلام الله ... وكلام الناس ... كالفرق بين الله والناس ..
إن الله قد أحاط بكل شيء علماً ... فهو يتكلم بعلم محيط ... أما البشر فضعاف ...
محدود علمهم ... فإذا تكلموا ... أو تخيلوا ... جاء خيالهم عبثاً ... وأفكارهم نقصاً ...
وشتان بين السكال المطلق ... والنقص المطلق ... وبين العلم المطلق ... والجهل
المطلق ...

ثم لماذا كانت قصة يوسف بالإنسان أحسن القصص ؟

الأنها رائعة البيان ... متكاملة التبيان ؟

كلا ... وإنما لأنها جامعة لجميع الصفات الإنسانية الخالدة ... تزدحم فيها ازدحاماً ...
تلك العواطف الخالدة خلود الحياة ... التي تمس أوتار القلوب ... وتستهوى جميع

الناس ... بصرف النظر عن عقائدهم

ففيها الأبوة والبنوة ... ومشاكلها ...

وفيهما حب الآباء لبعض الأبناء دون الآخرين وما يثير ذلك في نفوسهم ...

وفيهما الضرائر ومشاكلهن ... وأفاعيلهن .

وفيهما أحقاد الأخوة لأب على إخوانهم لأبيهم ...

وفيهما ابتلاء الآباء في أعز الأبناء ..

وفيهما أحزان القلوب ... وما تورثه من انهيارات في الأبدان ..

وفيهما عاطفة الحب الجنسي ... تلك العاطفة التي أخذت على الناس تفكيرهم في

كل زمان ...

وفيهما ارتفاع الإنسان من الذل إلى أبعاد آفاق العزة ... وكيف يستقبل نعمة الله

عليه آنذاك ...

وفيهما ... وفيها ... وفيها ... مما سوف ندخل إلى تفصيله .

وبالجملة هي العواطف البشرية كلها مركزة تركيزاً عظيماً ..

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ .

« إذ قال يوسف لأبيه » وأبوه هو يعقوب ، بن إسحاق ، بن إبراهيم ، عليهم السلام .
« يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » يا أبى .
إنى رأيت فى المنام ... أحد عشر كوكباً من كه اكب السماء ... والشمس ... والقمر ...
رأيتهم جميعاً ... لى أنا ... ساجدين !
فاذا كان من يعقوب ... ذلك النبى الحكيم ... الذى يرى بنور النبوة ...
ماذا أبصر من يوسف ... من ذلك الطفل الجميل ... الرائع ؟
لقد رأى فيه على الفور ... أنه هو الذى سوف يرث النبوة .. وأن الله قد جعل
فيه نور النبوة ... وأعدده لذلك إعداداً جميلاً .
ولذلك قال له على الفور ..

قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ .

« قال » قال يعقوب عليه السلام .
« يا بنى » صغره لصغر سنه ، وللشفقة عليه ، ولعذوبة المصغر .
أى : يا صغيرى .
« لا تقصص رؤياك » إياك أن تخبر إخوتك بما رأيت فى المنام .
« على إخوتك » على أحد من إخوتك .
« فيكيدوا لك كيدا » يفعلوا لأجلك .

أو : لإهلاكك تحميلاً عظيماً ، متلفاً لك .
« إن الشيطان للإنسان عدو مبين » ظاهر العداوة ، فلا يألو جهداً في إغواء إخوتك
وحلمهم على ما لا خير فيه .

اشعاعات

لقد رأى يعقوب عليه السلام ببصيرة النبوة ... ونور الرسالة ... أن معنى الرؤيا ..
أن يوسف سوف يعلو علواً عظيماً ... وأن إخوته الأحد عشر سوف يسجدون له ...
وأنه هو نفسه - يعقوب - وزوجة يعقوب ... سوف يسجدون له كذلك .
هذا من جهة الملك والسلطان والتسكن في الأرض ..
وأما من جهة الجوهر ... فقد تأكد لدى يعقوب أن الميراث قد انتقل إلى يوسف .
وأنه لا أحد من إخوته سيكون نبياً ... وإنما اختص الله يوسف بفضله من دونهم .
فما معنى هذا ؟
معناه أنه شخصية جمعت بين جمال الظاهر ... فهو جميل الصورة ... أعطى
شطر الحسن ..

وجمال الباطن ... وماذا بعد جمال النبوة ؟ !
ثم ماذا ؟
ثم ها هو يرى رؤيا تؤكد أنه سوف يكون عظيماً في الأرض .. متمكناً فيها .. يسجد
له الناس ويخضعون . حتى إخوته ... وأبويه ... سوف يسجدون !
سوف يعلو يوسف علواً عظيماً ...
سوف يعلو هذا الطفل ... الذي هو أصغرهم ... من دونهم جميعاً ...
إنه الامتياز ... وبلاء الامتياز ...
طفل ... أجمل إخوته ... يتلألأ في وجهه بهاء النبوة ... وروعة الامتياز ...
قد اختصه الله بشيء من عنده ... ووضعه على عينه ...

بينما اخوته لاشيء...
ومن هنا... كانت العقدة...
إن الإنسان الممتاز لم يرتكب جريمة...
وإنما يبدو امتيازه أكبر جريمة في أعين الذين هم دونه!
وذلك بلاء الامتياز دائما...
فكيف بيوسف... وقد رفعه الله على اخوته رفعا عظيما!؟
جعله أحسنهم صورة... وأنورهم قلبا... وأعلام شخصية...
كيف به... وهو يتلأأ بين اخوته... بينما هم صفرا لا يمكن شينا!؟
رأى يعقوب ذلك... وما هو وراء ذلك... بعين بصيرته...
فأدرك ما كان وما سيكون في اجماله...
فهى يوسف أن يقصص رؤياه على اخوته فيكيذوا له كيذا عظيما بسببها، ويحتالوا
لاهلاكه والقضاء عليه بكل الطرق الممكنة!
ثم ماذا؟ قالوا: هذا يدل على جواز ترك إظهار النعمة لمن يخشى منه حسد ومكرهه.
وقالوا: فيه حكم بالعادة، أن الإخوة والقرابة يحسدون.
وقالوا: هذا يدل على أنه يجب في بعض الأوقات إخفاء فضيلة، تحرزا من الحسود.

وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُمِيقُ نِعْمَتَهُ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كُلًّا أَهْلًا عَلَىٰ آبَائِكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

«وكذلك يجتبيك ربك» مثل ذلك الاصطفاء، يصطفيك ربك يا يوسف للنبوّة والسيادة
والعلو في الأرض بالحق .

« ويعلمك من تأويل الأحاديث » ويعلمك ربك تعليماً من عنده... من تعبير المنامات .
والأحاديث جمع حديث . سميت به الرؤيا لأنها إما حديث ملك أو نفس أو شيطان .
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ، ورؤيا من الملك ، ورؤيا من الشيطان » . [البخارى]
« ويتم نعمته عليك » ويبلغك إلى أقصى غايات النعمة الظاهرة والباطنة ...
أما ظاهراً فيمكنك في الأرض تمكيناً ، وتعلو فيها علواً عظيماً ...
وأما في الباطن ... فتكون نبياً ... وترث النبوة التي آتاها الله من قبل إبراهيم ، فورثها
عنه إسحاق ، وورثتها أنا عن إسحاق ، وها أنت يا يوسف ترث تلك النبوة عنى ...
ولذلك قال ...

« وعلى آل يعقوب » ويم نعمته على أبناء يعقوب... بأن اختارك لترث ذلك الميراث
من بينهم جميعاً ..

« كما آتينا على أبويك » كما آتم نعمته على جدك ...

« من قبل » من قبل وجودك يا يوسف ...

« لإبراهيم » كما آتم نعمته تعالى الظاهرة والباطنة على إبراهيم ، فاصطفاه ، واجتباها ،
وآتاه ، وهداه ...

« وإسحاق » وكما آتم نعمته الظاهرة والباطنة على جدك إسحاق ...

« إن ربك عليم » بمن هو مستحق الاجتباء والاصطفاء ... هو أعلم حيث يجعل
رسالته ...

وقد هيأك لها يا يوسف ... وصنعك على عينه من أجل هذا ..

« حكيم » في صنعه ... يؤتى كل ذي فضل فضله .

اشعاعات

فيها اشعاعات عليا ...

يعقوب تتدافع منه الأنوار ...

أنه نبي يتكلم ... انه أحد حلقات السلسلة الأربع المقدسة ...
قال صلى الله عليه وسلم : « إن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ،
يوسف نبي الله ، ابن يعقوب نبي الله ، ابن إسحاق نبي الله ، ابن إبراهيم خليل الله »

نور ... من نور ... من نور ... من نور ...

وأى كرم بعد هذا ؟

سلسلة مقدسة ... كل منهم ورث النبوة عن الآخر ...

وتسلسلت فيهم تصديقا لقوله تعالى « وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » ...

ورأى يعقوب تلك النبوة تتحقق في يوسف ...

فأحبه حبا شديداً ... حب نبي لنبي ...

وحين يتلاقى نوران ... يصبح انفصامهما عسيرا ...

ومن هنا كان البلاء من جنس الصفاء ...

يعقوب شديد الحب والتعلق بابنه ... الذي ورث منه النبوة وأنوارها ...

إذن يكون البلاء ... هو الفصل بين يوسف وأبيه أربعين عاما !!!

تأمل ... كيف يربي الله أنبياءه ... وأحب خلقه إليه ؟ !

ومن خلال رؤيا يوسف ... الطفل ... آانس يعقوب منها ناراً ...

لقد رأى يوسف الكواكب والشمس والقمر ... له يسجدون ...

رأى الملائكة الأعلى يسجد له ... فما معنى هذا ؟

معناه أن هذا الطفل سيكون موضع ظهور صفات الله تعالى ... وصفاته كلها عليها ...

سيكون مجلى أسماء الله تعالى ... « وعلم آدم الأسماء كلها » ... سيكون هذا الطفل

كاملاً ... مكملاً لغيره ... سيكون نبياً ...

وستسخر له إمكانيات الأرض ... بدليل سجود الكواكب والشمس والقمر له ...

ثم ماذا ؟ ثم علم يعقوب أن هذا الطفل سيؤتيه الله القدرة على تعبير الرؤى ...

على تأويل الأحاديث ... على معرفة ماسوف تؤول إليه تلك المنامات في عالم الواقع ...

علم ذلك حين رأى طفلاً يقص عليه مثل تلك الرؤيا المحككة غاية الأحكام ، فلم أن ذلك ليس إلا لنبي .!

هنالك أدرك يعقوب ... أنها النبوة ... أن ابنه نبي ... جاء به الله ليُرث عنه الرسالة ، كما ورثها هو عن إسحاق وإبراهيم ...

ثم انظر إلى قول يعقوب لطفله « إن ربك عليم حكيم » ... لا تستغرب يا صغيري أن يختار ربك من دون إخوتك ... لأنه تعالى يعلم أن فيك امتيازاً خاصاً يؤهلك لذلك ، وهو تعالى دائماً حكيم يضع كل شيء في وضعه المناسب ...

ثم التعبير بـ « ربك » فيه ما فيه من الاحساس بنعمة الله عليه وعلى يوسف ... وأي نعمة وراء النبوة ؟

- ٧ -

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَاءِ آئِينَ .

« لقد كان في يوسف وإخوته » لقد كان في قصتهم وحدثهم .

« آيات » دلائل على قدرته تعالى وحكمته في كل شيء .

« للسائلين » لمن سأل عن نبئهم

أو : آيات على نبوته صلوات الله عليه ، لمن سأل عن نبئهم ، فأخبرهم بالصحة ، من غير تلق عن بشر ، أو أخذ عن كتاب .

قالوا : أي آيات معظمت ، لمن يسأل عن قصتهم ويعرفها .

« تدلهم أولاً : على أن الاصطفاء المحض أمر مخصوص بمشيئة الله تعالى ، لا يتعلق بسعي

ساع ، ولا إرادة مرید ، فيعلمون مراتب الاستعدادات في الأزل .

« وثانياً : على أن من أراد الله به خيراً ، لم يمكن لأحد دفعه ، ومن عصمه الله لم يمكن

لأحد رميه بسوء ، ولا قصده بشر ، فيقوى يقينهم وتوكلهم .

« وثالثا : على أن كيد الشيطان وإغوائه أمر لا يأمن منه أحد ، حتى الأنبياء ، فيكونون منه على حذر . وأقوى من ذلك كله أنها تطلعهم من طريق الفهم ، الذى هو الانتقال الذهنى ، على أحوالهم فى البداية والنهاية ، وما بينهما ، وكيفية سلوكهم إلى الله ، فتثير شوقهم وارادتهم ، وتشجذ بصيرتهم ، وتقوى عزيمتهم »

إِذ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

« إذ قالوا ليوסף » إذ قال إخوته العشرة لأبيه ...

« وأخوه » وهو بنيامين شقيقه ، وأمها راحيل بنت لابان ، خال يعقوب .

« أحب إلى أبينا منا » أى هما أحب إلى والدنا منا جميعا . يحبهما أكثر من أى منا .

« ونحن عصابة » والحال أنا جماعة أقوياء ، أحق بالحب من صغيرين ، لا كفاية فيهما .

ونحن رجال أقوياء أشداء ، وجماعة كثيرة العدد ، نبلغ عشرة من الرجال ، أقدر على

خدمته ، والجد فى منفعته ، فكيف يؤثر عليهم طفلين لا يقدران على شيء ؟

« إن أبانا لفي ضلال مبين » إن والدنا لفي بعد عن الصواب عظيم ، واضح ، لا يخفى

ضلاله على أحد !

اشعاعات

كان ليعقوب عشرة من الرجال الأشداء ...

ومن زوجه راحيل ، وبعد أكثر من أربعين عاما ، من العقم ، وُلد لراشيل يوسف ،

ومن ورائه بنيامين .

فاشند الأمر على أولاده ... كيف يجب يعقوب يوسف هذا الذى جاء مؤخرا

أكثر منهم .. ثم كيف يجب هذا الأخير بنيامين ذلك الحب ؟

وكانت فتنة لهم ...

مصدرها هو امتياز يوسف من صغره ... فقد خلقه الله فيه ميراث النبوة كله من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ... ورث عنهم صفوة نورها ، وجمال لألئها ... وجاء فية فوق ذلت جمال أمه راشيل فقد كانت أجل نساء زمانها ، وجمال جدته سارة زوج إبراهيم فقد كانت أحسن نساء زمانها .. طفل اجتمع له الحسن من طرفيه ، حسن الباطن ، بما أودع فيه من أنوار النبوة ... وحسن الظاهر بما أودع فيه من جمال الخلق ... فكيف لا يحبه أي إنسان يراه ...

ثم كيف بأبيه ... الذي يرى فيه علامات النبوة تتألأ كالقمر المنير ؟
أما أخيه الأصغر ... بنيامين ... فتلك طبيعة الآباء والأمهات ... أنهم يحبون أصغر أولادهم أكثر مما يحبون سائر أولادهم ...
قد يكون لأنهم آخر انتاجهم ... أو لأنهم أضعف الاولاد قدرة على نفع أنفسهم ..
أو هي غريزة طبيعية في الناس ..
فكان الأمر فتنة للعصبة .. للرجال العشرة الأشقاء ..
وبلاء لأبيهم شديد ...

اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا
مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ .

« اقتلوا يوسف » قال قائل منهم وهم يأمرون سرا فيما بينهم ... للخلاص من يوسف :
اقتلوا يوسف ...

« أو اطرحوه أرضا » أو ألقوه في أرض مجهولة ، لا يعرفها أبوه ، ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الخلاص منها ..

« يخل لكم وجه أبيكم » تخلص لكم محبة أبيكم ، وبقبول عليكم بكليته ، ويتفرغ عن الاشتغال بيوسف ، فيشتغل بكم .

« وتكونوا من بعده » وتكونوا من بعد الفراغ من قتله أو طرحه .

« قوما صالحين » تمتنع من بينكم هذه الفتنة التي حدثت في الأسرة منذ وجد فيها هذا الطفل .

أى : تصلح دنياكم ، وتنظم أموركم بعده ، بخلو وجه أبيكم لكم .

اشعاعات

قالوا : لقد اجتمعوا على أمر عظيم من قطيعة الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير ، الذى لا ذنب له ، وبالكبير الفانى ، ذى الحق والحرمة والفضل ، والده ، ايفرقوا بينه وبين ابنه على صغر سنه ، وحاجته إلى لطف والده ، وسكونه إليه .

وقال ابن كثير : اعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف . وظاهر السياق يدل على خلاف ذلك .

« ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك ، وفي هذا نظر . ويحتاج مدعى ذلك إلى دليل . ولم يذكروا سوى قوله تعالى : (قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) وهذا فيه احتمال ، لأن بطون بنى إسرائيل يقال لهم الأسباط ، كما يقال للعرب قبائل ، وللعجم شعوب . يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بنى إسرائيل ، فذكرهم اجمالا لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف . ولم يقم دلائل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم »

ما هذا ؟ ... هذا أمر جدير بالالتفات والتفكير ...

هل كان هؤلاء العشرة أنبياء أم كانوا ليسوا بأنبياء ؟

القطع ... أنهم ما كانوا وقتها أنبياء ، ولا كانوا بعدها أنبياء ...

البرهان الأول ... أنهم لو كانوا انبياء ... لتلاؤت فيهم أنوار النبوة ومخايلها من صغرهم كما تلاؤت في يوسف ... ولاستغنى أبوهم بما يرى فيهم من علاماتها عن خب يوسف ...

وإما كان يعقوب يراهم من النبوة صفرا ... يراهم بشرا ... مظالمين ... ليس فيهم من نور النبوة شيء ...

وكان الرجل ... ينتظر ذلك الطفل الذي يرث عنه النبوة بصفاتها ومقاماتها ... حتى كان يوسف ... فكان هو الوارث ... وتلاؤت فيه كل أنوار الميراث ... فكان فيه امتياز جده ابراهيم ، خليل الرحمن ، بكل ما في شخصية ابراهيم من بهاء وجمال وصفاء ...

وكان فيه امتياز إسحاق ... بكل ما في إسحاق من صفات العلم والمعرفة ... ثم كان فيه امتياز يعقوب نفسه ... فرأى فيه يعقوب تلك الصورة التي كان ينتظرها من أول يوم ...

فلم يعقوب ... أنه هو ...

هو هذا ... ليس غيره ... حامل الرسالة ... وكثر الإشعاع ...

أما هؤلاء العشرة ... فكانوا مجرد رجال ككل الرجال ...

قد يكون فيهم صفات ممتازة عن غيرهم من أبناء عصرهم ... ولكنهم امتياز الأجسام والعقول ...

وستان بين امتياز وامتياز ... ستان بين امتياز النبوة في علاها ... وامتياز الأبدان مهما كان ...

البرهان الثاني ... أن اندفاعهم إلى مثل ذلك المؤتمر ... حيث يفكرون في اغتيال طفل صغير ... وهم رجال أشداء ... فيه ما فيه من الغرائز الدنيا ، التي تؤكد أنهم كانوا مظالمين .. وهذا ما كان يجب يوسف إلى أبيه ، ويزيده حبا كلما رأى منهم تلك التصرفات الهابطة ...

البرهان الثالث ... أن وصفهم أيهم بقولهم : إن أهابنا في ضلال مبین ... وتأكيدهم لضلال الرجل ... وهو في أعلى علالى الهدى ... يدل على أنهم قليلو الادراك لمقام أيهم ، ومقام النبوة ، وأنهم أبعد ما يكونون عن فقه النبوة .

البرهان الرابع ... أنهم يريدون تخلية وجه أيهم لهم ... وهم في استغناء عنه بحكم كونهم رجال أشداء ... لمجرد الغيرة ... وتلك مشاعر تسكون ممن ليسوا بأنبياء ...

ما كانوا أنبياء ... قبل يوسف ولا بعده ...

كانوا بشرا ... لا يرى فيهم يعقوب شيئا من الألاء النبوة ونورها ...

فلما جاءه يوسف ... بعد انتظار طويل ... اشتد حبه له ... حب نبي لنبي ...

حب من وجد شيئا قطع عمره كله يبحث عنه ... حتى إذا أشرف على الموت ... وجد

ذلك الشيء نجاة !

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَأْتِيهِ يَاقُوتَةٌ .
بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ .

« قال قائل منهم » صريحا ، ورضى به الباقون .

« لا تقتلوا يوسف » لا تقدموا على قتل يوسف .

« وألقوه في غيابة الجب » واقدفوه في أعماق البئر .

والجب : البئر التي لا حجارة فيها .

اقدفوه في أعماق بئر من تلك الآبار الجافة المنتشرة في الصحراء ، والتي ليس فيها

حجارة يستطيع أن يصعد عليها ويخرج منه .

« يلتقطه بعض السيارة » يلتقطه بعض الأقوام الذين يسيرون في الأرض ، فيتمسكه

فلا يمكنه الرجوع إلى أبيه ، فيحصل مطلوبكم من غير ارتكاب جريمة القتل .

« إن كنتم فاعلين » إن كنتم مصرين على أن تفرقوا بينه وبين أبيه .
وقد روى أن القائل هو أخوهم الأكبر ، بكر يعقوب (رؤوبين)

اشعاعات

كذلك ... يتلى الله ... يعقوب ... ويتلى يوسف ...
وتلك ضريبة ... مفروضة ... على كل ممتاز ...
فكيف بالأنبياء ... وهم أرق ما استطاع من الامتياز ؟
لا بد أن يكون بلاؤهم شديدا ... شديدا ... شديدا ...
وفي هذه ... يتلى يعقوب بلاء ذا عديد من الشعب ...
فالمتبرون أبناؤه ... والمتبر به ابنه ... وحيييه ...
والمصيبة مزدوجة ... والعقدة عقدتين .
وعانى يعقوب التجربة في أشق صورها ...
وكان قدرا مقدورا !!

-- ١١ --

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَبَاحِحُونَ .

﴿ قالوا ﴾ قال بعضهم ، أو قالوا جميعا .

﴿ يا أبانا ﴾ يا والدنا .

﴿ مالك لا تأمنا على يوسف ﴾ مالك تخافنا على يوسف ؟ !

لماذا تخشى عليه منا دائما ؟

﴿ وإنا له لناصحون ﴾ ونحن نريد له الخير ، ونحبه ، ونشفق عليه ؟ !

أرادوا بذلك استنزاله عن عادته في حفظه منهم .

وفيه دليل على أنه أحسنّ منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه

اشعاعات

لقد كان يعقوب - عليه السلام - يحس أن هؤلاء قوم لا يؤمنون على يوسف ...
وأنهم لا يتورعون أن يوقعوا به شرا ...
ويشير إلى ذلك قولهم « مالك لا تأمننا على يوسف » مالنا نراك هكذا دائما ...
تخشى على يوسف منا ؟
هناك إذا صراع خفي ... الأب يخفي عن أبنائه إحساسه الخفي نحوهم .. وهم يضيقون
بهذا الشعور من أبيهم ...

أرسله مَعَمَّا غَدَا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .

« أرسله معنا غدا » دعه يخرج معنا غدا حين نخرج للرعى في الصحراء .
« يرتع » يأكل ويشرب ، ويسعى وينشط ، حيث يكون المياه والزرع .
« يلعب » ويلعب كيف شاء ، كما يلعب سائر الصبيان .
فيكسبه ذلك نشاطا وحيوية وبهجة وسرورا ...
« وإنا له لحافظون » من أى مكروه ، فلا تخف عليه .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ .

« قال : إلى ليحزني » إنه ليحزني أشد الحزن :
« أن تذهبوا به » أن تأخذوه معكم وتذهبوا به بعيدا عني ، لأنى لا أصبر على فراقه
« وأخاف أن يأكله الذئب » وأخاف أن تغفلوا عنه ، فيعدو عليه ذئب من ذئاب
الصحراء فيأكله .

« وأنتم عنه غافلون » إن زعمتم أنكم له حافظون ، فحفظكم إنما يكون ما دمنتم ناظرين إليه ، لكن لا يخلو الإنسان عن الغفلة ، فأخاف غفلتكم عنه .
قالوا : « كان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه ، لأنه مظنة هلاكه .
« وأما حزنه لمفارقته ربما يرتع ويلعب ويعود إليه سالماً عما قليل ، فأمر سهل .
« فكأنهم لم يشغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه »

قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ .

« قالوا » قال بعضهم رداً على أبيهم .
« لئن أكله الذئب ونحن عصبة » ونحن جماعة أشداء أقوياء ، يمكننا أن نزرعه من الذئب ، وأن نمنع الذئب عنه .
« إنا إذا لخاسرون » إنا إذا عاجزون ... لا نساوى شيئاً ، إذا لم نستطع أن ندفع الذئب عن طفل ونحن على هذه الحال من الكثرة والقوة !

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

« فلما ذهبوا به » أى بعد مراجعة أبيهم فى شأنه .
« واجتمعوا » وانفق رأيهم جميعاً .
« أن يجعلوه فى غيابة الجب » أن يلقوه فى أعماق البئر .
فيه تعظيم لما أزمعوا ، إذ أخذوه ليكرموه ، ويدخلوا السرور على أبيه ، ومكروا بها مكروا .

« وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا » وأعلمناه بوحينا إليه ... بأنك ستخلص مما أنت فيه ، وتحدثهم بما فعلوا بك ...

وذلك تبشيراً له .

« وهم لا يشعرون » اتحدثنهم بذلك وهم لا يشعرون أنك يوسف ، لعلو شأنك . .
كاسياتى فى قوله تعالى (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) .

أو : أوحينا إليه ذلك وهم لا يشعرون بما أوحيناها إليه ، إيناساً له وإزالة للوحشة .
روى أنهم نزعوا قيصه الملون الذى عليه ، وأخذوه ، وطرحوه فى البئر ، وكانت
فارغة لا ماء بها ، وجلسوا بعد ، يأكلون ويلهون إلى المساء 11

اشعاعات

لقد بدأت النبوة ...

« وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا »

كيف كان ذلك الوحي ؟

هل كان عن طريق جبريل عليه السلام ... أم كان مباشرة من الله إليه ...

أم كان عن طريق ملك من الملائكة ؟ 1

علم ذلك عند الله ... وإنما المهم أن الإيحاء قد حدث ...

أن النبوة قد بدأت ...

الإيحاء إلى طفل ... كما أوحى تعالى إلى عيسى عليه السلام وهو فى المهد صبياً 11

عجب كله فعل الله تعالى 1

طفل ... فى مأزق ... لا يدري شيئاً ... يقذفه عشرة رجال ... أشداء ... إلى بئر

مهلكة ... عميقة ... لا ماء فيها ... ولا أمل فى الخروج منها . .

فى هذه الظلمات المترابكة .. التى أحاطت بالطفل البريء .. الضعيف ... العاجز ..

الذى لا يستطيع أن يفعل شيئاً لنفسه ...

فى هذا كله ... كان الإشعاع ... كان الوحي من السماء ...

كان الله ... هناك ... مع يوسف .

« وأوحينا » ١١٢

نحن كنا معه ... لم يكن وحده ... إنه لي ... وأنا له ...

وأوحينا ؟

إلى يوسف ؟

إلى حبيبتنا .. الذى أعددناه لنا ... يوسف !!

لتنبئهم ... سوف تخبرهم يا يوسف مستقبلاً .

بأمرهم هذا ... بهذا الأمر الذى فعلوا بك ...

كيف كان شعور ذلك الطفل ، وهو يعانى تجربة الوحي إليه فى تلك السن ؟
ذلك أمر لا يعلمه إلا الله .. فتلك مقامات تسكون بين الله وأنبيائه ... هم الذين

يدركونها ..

وإنما الذى يصل إليه ادراكنا ... أن يوسف .. قد فقه ... واطمأن ... حين أوحى

الله إليه .

ثم ماذا ؟

ثم عجائب « وهم لا يشعرون » ...

لم يشعر اخوته أنه أوحى إليه فى تلك الساعة الرهيبة ... ساعة ألقوه فى أعماق البئر ...

وإنما ظنوا لجهلهم أنه هالك لا محالة ... وأنه وحده يعانى آلام الفناء ...

ولم يشعر اخوته ... حين دخلوا عليه ... وهو فى مقام الملك والعزة ... أنه هو

يوسف ... استبعاداً أن يكون هذا الملك لبوسف !!

هم جاهلون ... فى الأول ... وفى الآخر ...

ولقد قالها لهم يوسف « إذ أنتم جاهلون » ...

إنه الظلام ... الظلام حين يغطى القلوب ... فتعمى ... ولا تبصر ما وراء المادة !!

- ٢١ -

- ١٦ -

وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ .

« وجاءوا أباهم » وحضروا جميعا عند أبيهم يعقوب .

« عشاء » مساء ، بعد دخول الظلمة ، ليلا .

« يبكون » يفتلون البكاء .

بيان لسكرهم بأبيهم ، بطريق الاعتذار الموهوم موته ، القاطع عنه متمناه ، لتمقطع محبته عنه ، ولو بعد حين ، فيرجع إليهم بالحب السكلى . وقدموا عشاء لكونه وقت الظلمة المانعة من احتشامه في الاعتذار الكذب ، ومن تفرسه من وجوههم الكذب . وأوهوا ببيكائهم وتفجعهم عليه ، إفراط محبتهم له المانعة من الجرأة عليه .

- ١٧ -

قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ
الذَّئِبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ .

« قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق » أى فى العدو والرمى بالنصل .

إنا ذهبنا نلعب ونسابق .

« وتركنا يوسف عند متاعنا » عند ثيابنا ومهماتنا ليحرسها .

« فأكله الذئب » فجاء الذئب وأكله كما حذرت .

« وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ونحن نعلم أنك لاتصدقنا فى هذه الحالة ، ولو كنا

عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا ، وغير واثق بقولنا ؟

اشعاعات

قالوا : استفيد من الآية أحكام :

أن بكاء المرء لا يدل على صدقه ، لاحتمال أن يكون تصنعاً .

مشروعية المسابقة ، وفيه من الطب رياضة النفس والدواب ، وتمارين الأعضاء على التصرف .

وروى عن عائشة قالت . سأقت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ، فسبقتني في المرة الأولى ، فلما بدنت سببني ، وقال : هذه بتلك . [ابن ماجه]
وفي الحديث : ليس من اللهو ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله ، وتأديبه فرسه ، ورميه بقوسه . [أبو داود]

وَجَاءُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ .

« وجاءوا على قيصه بدم كذب » بيان لما تأمروا عليه من المكيدة ، وهو أنهم أخذوا قيصه الملون ، وغمسوه في دم معيز كانوا ذبحوه .
« قال : بل سوات لكم أنفسكم أمرا » بل الحقيقة أن نفوسكم سوغت لكم أمرا سيئا ، من تغيب يوسف ، وتفريقه عنى ، والاعتذار الكاذب .
قالوا : وقواه على اتهامهم ، أنهم ادعوا الوجه الخاص الذى خاف يعقوب ، عليه السلام ، هلاكه بسببه أولا ، وهو أكل الذئب ، فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم : (وأخاف أن يأكله الذئب) .

و (التسويل) تزيين النفس المرء ما يحرص عليه ، وتصوير القبيح بصورة الحسن .
« فصبر » فشأنى صبر .

سوف أضبر على هذا البلاء .

والصبر قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت .

« جميل » هو مالاشكوى فيه إلى الخالق ولا جزع ، رضا بقضاء الله ، ووقوفا مع مقتضى

أى : سوف أصبر على تلك المصيبة التي لفقتها صبرا لا أشكو فيه إلى أحد .
« والله المستعان على ماتصفون » والله المطلوب منه العون على احتمال ماتصفون من هلاك يوسف .

وقيل : المعنى : على اظهار حال ماتصفون ، وبيان كونه كذبا ، وإظهار سلامة يوسف ، فإنه علم في الكذب .

وفي قوله : (والله المستعان) اعتراف بأن تلبسه بالصبر لا يكون إلا بمعونة تعالى .
قالوا : لأن الدواعي النفسانية تدعوه إلى إظهار الجزع ، وهي قوية .
« والدواعي الروحانية تدعوه إلى الصبر والرضا ،
« فكأنهما في محارب وتجاد ، فما لم تحصل إغاثة تعالى لم تحصل الغلبة » .

اشعاعات

وقعت المصيبة ... وبدأت التجربة التي كتبت على يوسف وأبيه ...
وجاء الكذابون إلى أيهم يتصنعون له بكاء ... ويلفقون له أعذارا ...
وأجمعوا على أنهم صادقين ... فماذا كان من يعقوب ؟
كذبهم جميعا ... بل سولت لكم أنفسكم أمرا ...
ورماهم جميعا بأنهم اتفقوا على هذه المؤامرة ... حقدنا على يوسف ...
ثم تلالأت فيه أنوار النبوة ... فحجزته عن التفجع وإظهار الحزن ...
فأعلن ... فصبر جميل ... إلى سوف أصبر صبرا جميلا ...
سوف لا أشكو إلى أحد ... سوف آوى إلى الله في مصيبتى ...
ثم ماذا ؟ ... ثم تلالأت أنوار النبوة مرة أخرى ... فقال ... والله المستعان ...
ومنه تعالى أطاب العون على تحمل تلك المصيبة ...
على ماتصفون ؟

أطلب العون على تحمل ما تصفون من كيفية هلاك يوسف ...

العون عل تحمل تصور منظره والذئب يقطعه ويأكاه ويمضغه بأسنانه ، وينمشه
بأنيا به !!!

وقد كنتُ لا أحتمل أن يمسه النسيم !!
مصيبة كبرى ... الطفل المحبوب عند أبيه ... لأنه مستودع النبوة ... ومجلى
النور ...

يفعل به الذئب الأفاعيل، ويمزقه تمزيقا ... فتهبدد في لحظة كل آمال يعقوب في ابنه ...
وكل ما كان يرجوه منه ...

مصيبة لها وقع الصاعقة على النفس ... إلا أن يعقوب ... تجلد ... واستقبالها
في صمت ...

وجعل الألم يلويه ... ويعتصره ... ويمزق فؤاده ...
فلا يزيد على أن يقول : فصبر جميل ... والله المستعان ...
وصبر يعقوب في مصيبتيه صبيرا جميلا ... فلم يشك ما حل به إلى أحد ...
وإنما جعل ييث إلى الله ...
وكما اشتد به عصف الحزن ... اشتد التجاؤه إلى الله ... وطلب العون منه تعالى على
تحمل مصيبتيه ...

والله المستعان ؟

اللهم أعنى على تحمل ما ابتليتني به عونا من عندك ...

وتلك مقامات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ... حين تقع بهم المصائب ...
صبر جميل ... والله المستعان ... لا يشكون إلى أحد ... ويستعينون بالله ... انه مقام
التوحيد ... الأعلى ...

انهم لا يرون المصيبة من أحد ... وإنما يرونها شيئا مسهم بإذن الله ، وإنما الخلق أسباب
ليس إلا ... فهم لا يشكون أحدا من الخلق ...

ولا يرون أن أحدا يستطيع أن يدفع عنهم المصيبة إلا بإذن الله .. فمن أجل ذلك لا يشكون إلى أحد ...

ثم ماذا ؟

ثم مقامهم ... لأنهم يستعينون بالله وحده في حمل آلامهم ... وتجرع مرارتها ... ليقينهم ان الله وحده هو القادر على امدادهم بتلك المعونة ... ما هذا ؟

هؤلاء هم الأنبياء ... فبينما هم أشد الناس بلاء ...

تراهم أشد الناس علوا في تحمل البلاء ... وارفعهم قدرا في الالتجاء إلى الله !!!
لماذا وقعت تلك المصيبة بيعقوب ؟

لأنها قهرت إلهي ... قهره قهرا إلى ربه ... فطوى له بساط القرب من ربه ... أعطاه ولدا ، أجمل ولد ...

ولألا له فيه اشعاع النبوة ... فأرى فيه نورها ...

فلما أيقن يعقوب أن الله قد آتاه وأعطاه ...

وفرح بنعمة الله عليه ...

واشتمد حبه لتلك النعمة ... وصارت له قررة عين ... لا يطيق فراقها ...

سلبها نجاة منه ... على أيدي سائر أولاده ...

لتأخذ المصيبة عليه عقله ... فلا يجد أمامه إلا أن يفر فرارا إلى ربه ...

ثم جعل الجنة هم أبناءه ... ليشعر نحوهم يعقوب بالمرارة ... فلا يجد في نفسه رغبة في

الشكوى إليهم ... لأنهم هم الجنة ...

ولا يجد فيهم عوضا عما فقد ... بل يراهم سببا دائما لتكده وهم . .

وبذلك تم عزله تماما عن نفسه التي كانت تحب يوسف ...

وعن أولاده جميعا ... أما يوسف فقد ذهب ... وأما سائر الأولاد فقد تحولوا إلى

أعداء ...

فلم يبق أمامه إلا الهاب الأوحده ...
إنه القهروت الالهى ... بسلطة تعالى على أحبابه ... ليلجئهم إليه الجاء ...
إنها عملية صعق السوى صعقا .
ودك الأغيار دكا ... فلا يبق إلا وجه الله أمام المبتلى !!!
وهكذا ذهب كل شىء كان ليعقوب ... ذهبت الأغيار ...
وكان عليه أن يسير إلى الله سريعا .
وبدأ قلب يعقوب يموج بأمواج الحزن والأسى ...
وبد أجواره يصاعد إلى الله ...
وكما أحس ثقل المصيبة ... رفع يديه إليه تعالى : اعنى يارب ... اعنى على حمل هذا
البلاء ...

وهكذا يصنع الله تعالى أنبياءه ... يصطفقهم ... ثم يبتليهم ... ليختبرهم لنفسه ...
ثم ماذا ؟
قالوا : فى الآية من الفوائد ...
أن الجاه يدعو إلى الحسد ، كالمال . وهو يمنع من المحبة الأصلية من القرابة ونحوها ،
بل يجعل عداوتهم أشد من عداوة الأجانب .
وأن الحسد يدعو إلى المكر بالحسود ، وبمن يراعيه .
وأنه إنما يكون برؤية الماكر نفسه أكمل عقلا من الممكور ...
وأن الحاسد إذا ادعى النصيح والحفظ والمحبة ، بل أظهره فعلا ، لم يعتمد عليه .
وكذا من أظهر الأمانة قولاً وفعلاً يفعل الخيانة .
وأن الاذلال والإعزاز بيد الله ، لا الخلق .
وأن من طلب مراده بمعصية الله بعد عنه .
وأن الخوف من الخلق يورث البلاء .
وأن الإنسان ، وإن كان نبيا ، يخلق أولا على طبع البشرية .

وأن اتباع الشهوات يورث الحزن الطويل .
وأن القدر كائن .
وأن الحذر لا يبغي من القدر .

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا
غَلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ .

« وجاءت سيارة » وجاءت قافلة .

وجاء قوم يسيرون .

« فأرسلوا واردهم » فبعثوا رجلا يرد لهم الماء ويستقي لهم .

« فأدلى دلوه » فأرسل دلوه في الجب ليملاًها ، فتملق بها يوسف للخروج ، فلما رآه

الرجل ...

« قال يا بشرى » وقرىء (يا بشرى) ابشروا ...

« هذا غلام » هذا صغير ... جميل ... وجدته فجأة يتعلق بالدلو ...

« وأسروه » وأخفوه .

« بضاعة » وجعلوه متاعاً للتجارة .

وجعلوا يفكرون أنهم سوف يبيعونه ، ويربحون من وراء ذلك أموالاً
روى أنهم كانوا تجاراً من بلدة مدين . فلما أصدب واردهم يوسف وضموه إلى بضاعتهم
باعوه لقافلة مرت بهم سائرة إلى مصر بعشرين درهماً من الفضة ، ثم أتوا بيوسف إلى مصر .

« والله عليم بما يعملون » والله وحده هو الذي يعلم ماذا يترتب على ما يعملون .

هم ينظرون إلى الموضوع نظرة التجار ... الذين يبحثون عن المال ليس إلا ...

والله يريد من وراء ذلك أن يصل يوسف إلى مصر ... ليتحقق فيها ما يريد له ...

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَمْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ .

« وشروه بثمان بخص « وباعوه بثمان حقير ...

لأنه لقيط ، لم يدفعوا فيه شيئاً ... ولأنه لا يملك ، إذ لو ملك استوفوا ثمنه .

« دراهم معدودة » كناية عن القليل ، لأن الكثير يوزن عندهم .

أى باعوه بثمان حقير ... دراهم قليلة ، معدودة ، لا توزن ، محدودة ، عشرين درهما من الفضة .

« وكانوا فيه من الزاهدين » وكان الذين التقطوه ، نى يوسف من الزاهدين ، من الراغبين

عنه ...

كانوا يودون التخلص منه بأى ثمن !!

اشعاعات

قالوا : من الفوائد أن الفرج قد يحصل من حيث لا يتسبب . وأنه ينتظر للشدة .

وأن من خرج اطلب شيء قد يجد ما لم يكن في خاطره .

وأن الشيء الخطير قد يعرض فيه ما يهونه .

وأن البشرى قد يعقبها الحزن ، والعزة قد يعقبها الذلة ، وبالعكس .

ثم ماذا ؟

فيها أن يوسف كان صغيراً جداً وقتها إذ لو كان يدرك شيئاً لأخبر أهل القافلة عن

أهله .. ولردوه إلى يعقوب ... ولكن معنى ذلك أنه لا يستطيع أن يرشد عن أبيه ... وعن

أخوته ... وعمما فعل به ...

ويرجح أنه كان وقتئذ لا يجاوز ثلاث سنين على الأكثر ... لأن الطفل بعد هذه

السن يستطيع إذا ضل عن أبيه أن يرشد عنها ..

ويشير إلى ذلك قول الرجل وهو يصيح « يا بشرى ... هذا غلام » ... أى هذا صغير .

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْرَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا
أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ
مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَابٍ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ .

« وقال الذي اشتراه من مصر » روى أن القافلة لما نزلت مصر اشتراه منهم رئيس الشرطة عند ملك مصر ، أى وزير الداخلية ، فأقام في بيت سيده ، والعناية الربانية تحفه ، والنجاح يحوطه .

فكان يرى سيده أن كل ما يأتى به ينجحه الله تعالى على يده ، فنال حظوة لديه ، وأقامه قيماً على كل ما يملكه ، وضاعف تعالى الخبير في زرعه وماله وثروته .

« لامرأته » لزوجته .

وكانا عاقرين ... لا يولد لهما ، ففرحا به فرحا شديدا ..

« أكرمى مثواه » اجعلى مقامه حسناً مرضياً .

و (المثنوى) محل الثواء ، وهو الإقامة .

أى : أكرميه على أبلغ وجه وأتمه .

« عسى أن ينفعنا » فإنى أشعر نحوه بحب شديد ، وأتوسم فيه خيراً كثيراً . سوف

يعود علينا .

« أو نتخذهُ ولداً » أو نتبناه .. عوضاً عما نحن فيه من العقم ، والحرمان من الذرية ..

« وكذلك مكننا ليوسف في الأرض » كما جعلنا له مقاما كريماً في منزل العزيز

جعلنا له تصرفاً بالأمر والتهى ، ومكانة رفيعة في أرض مصر ، ووجاهة في أهلها ، ومحبة

في قلوبهم .

« ولنعلمه من تأويل الأحاديث » ليكون عاقبة ذلك تعليمه ، تأويل الرؤيا التي ستقع من الملك ، وتفضى بيوسف إلى الرياسة العظمى .
« والله غالب على أمره » والله لا يُمنع عما يشاء ، ولا يُنازع فيما يريد .
أو : والله غالب على أمر يوسف ، أريد به من الفتنة ما أريد غير مرة ، فلم يكن إلا ما أراد الله له من العاقبة الحميدة .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » لا يدركون أن الأمر كله بيده تعالى ، فيأتون ويذرون زعما أن لهم شيئا من الأمر .
أو : يجهلون لطائف صنعه ، وخفايا لطفه .

اشعاعات

فتبا أنوار ... وألطف ... ورحمات ... ونواميس ...
فن إشعاعاتها أن الذي اشتراه من مصر ... كان ذا سلطان ... وزيراً للداخلية ...
بيده السلطة العليا في الأمن في البلاد .
ومثل ذلك الرجل ... يكون الذي في بيته ذا أمر ونهى كذلك ... تبعاً لسلطات سيده ..

وهذا تمهيد ... وتدريب ليوسف ... على مباشرة السلطات ومهام المناصب ... في المستقبل ...

وكان ذلك الرجل عقيماً ... وكانت زوجته عاقراً ... فهناك استحالة أن يكون لهما ذرية ... ومثل هؤلاء يكون شوقهم إلى الطفل شديداً ...
وهذا هو ما حدث عندما شاهده العزيز لأول مرة .. فقد أحبه حبا شديداً ... وتعلق به قلبه .

ومن ذا الذي لا يحب طفلاً .. على صورة يوسف .. فيه لألاء النبوة ظاهراً وباطناً ؟
فموضه الله تعالى بحب أبيه ... حب العزيز ...

وهكذا ... قطعه من هناك ... ليصله هنا ... إنه هو البر الرحيم !!
ثم ماذا؟ ... ثم هذه ... امرأة العزيز ... ما إن رآته ... حتى جنت به حبا ...
وشغفها حبا ..

وما لها لا تحب طملا لا يوجد على وجه الأرض مثل جماله ... ولا أرقى من صفاته؟
أحبته بغريزة الأمومة المحرومة من الطفولة إلى الأبد ...
وأحبه بغريزة الأنثى التي تدرك بالاشعور امتياز الذكر الذي أمامها حين تجتاحه
بعينها !!

وأحبه لمجرد أنه طفل رائع الجبال حلو التقاطيع ... بارع القسبات .. في نظراته قوة
خارقة ... أعدها الله لتسود على أهل مضر جميعا ...

فرأت فيه الطفل الذي كانت تمنى !!
وهكذا ... عوضاً عن أمه التي فقد ... أبدله الله أما نحنونا ... وقلبا شفوفا ..
قطعه هناك ... ووصله هنا ... إنه هو الودود الرحيم !
ثم ماذا؟

ثم انظر إلى تعبير العزيز « أ كرمى مشواه » ..
من الذي دفع العزيز أن يقول هذا الكلام؟
إنه الله ... هو الذي حرك قلب العزيز نحو يوسف ... وجعله يحس أن هذا طفل
غير الأطفال جميعا ... إنه شيء آخر ... شيء ممتاز ... يتمنى كل إنسان أن يكون له
ولدا ...

ونفس الشعور كان عند امرأته ... تلتفته بفرحة لا تعدلها فرحة ...

تماماً كما صنع الله تعالى بموسى ..

« وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي » ... كما ألقى الله تعالى محبة على الطفل موسى .. جعلت
امرأة فرعون تقول « ... قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَوَلَدًا ، لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا ، أو نتَّخِذَهُ
ولداً ... »

أنتى الله تعالى محبة على يوسف ... فما رأته امرأة العزيز ... حتى وقع من قلبها موقعا عظيما ...

أرأيت ؟ ... كما صنع بالطفل موسى ... صنع بالطفل يوسف !!
ناموس واحد ... يسرى فى أنبياء الله تعالى !!!
لقد كان يوسف وقتها لم يبلغ الثالثة من عمره ...
وكان موسى وقتها رضيعا ... ولد لساعات قليلة ...
هذا يدفع إلى امرأة عاقر ... زوجة الملك ...
وهذا يدفع إلى امرأة عاقر ... زوجة العزيز ...
فماذا تفسر ذلك ؟

إلا أن يكون الصانع واحدا ... له ناموس واحد ... لا يتغير !!
وهكذا ... مكن الله ليوسف فى الأرض ... حين جعله ذا تأثير خارق على قلب وزير
الداخلية ... وقلب زوجة وزير الداخلية ... ومتى هيمن يوسف على قلبيهما فقد هيمن على
عقولهما .. ومتى هيمن على عقولهما فقد هيمن على ما تحت يد الوزير من سلطات !

تمكين باطن ... يؤدى إلى تمكين ظاهر ...
وكذلك مكنا ليوسف من قلبيهما ... فكنا له بذلك فى الأرض !!
فانظر إلى عجائب صنعه تعالى !!
ثم ماذا ؟ ... أو ما علاقة تعليمه تأويل الأحاديث ... بهذا الذى حدث ليوسف ؟
قد يبدو ألا علاقة ... ولكن هناك علاقة ... بعيدة ... عميقة ...

أن التمهيدي ليوسف فى قصر وزير الداخلية ... وإشرافه على شئون الوزير الخاصة ...
يعطيه الفرصة ليتعرف على شخصيات مصر ... ليشتهر أمره بينهم ... ويزدادوا له حبا ...
ويزدادوا له تعظيما ...

وهذا سوف يكون له من الآثار البعيدة بعد ذلك ماله ...

حتى إذا رأى الملك رؤياه ... وثاروا فيها جميعاً ... وقع اختيارهم على يوسف ...
ذلك المشهور بينهم جميعاً ... ليؤول الملك رؤياه ...
فيزداد شهرة على شهرة ... تدفع الملك أن يختاره ليكون رئيساً للوزراء !!
ثم ماذا ؟

ثم ذلك الناموس الرهيب ... « والله غالب على أمره » ... والله غالب أمره ... نافذ
حكمه ... إرادته هي الغالبة العالمة ... دائماً ... وأبداً ... لا يكون إلا ما يريد ...
هذا هو الحق ... « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ... وهذا هو المؤسف من
الأمر !!

يتوهم الناس أن لهم شأننا ... ولا شأن لهم في الحقيقة ...
أو أن لهم إرادة فعالة ... لا يمنعها شيء ...
والحقيقة العميقة جداً جداً ...
أن الناس لهم إرادة ... منحهم الله إرادة حرة ... يفعلون ما يشاءون ...
ولكن إرادة الله هي الغالبة ... على تلك الإرادات جميعاً ...
إذا شاءت سمحت لها أن تمضي ... وإذا شاءت لم تسمح ...
« وما تشاءون إلا أن يشاء الله » ...
ولعل هذا هو سر قوله « والله غالب على أمره » ...
لم يقل « والله نافذ أمره » وإنما « غالب » ... إشارة إلى أن هناك شيئاً قد غلب
على أمره ...

هنالك الناس جميعاً ... لهم إرادات حرة ...
ولسكنها إذا تسلطت عليها إرادة الله غلبت هنالك ... ونفذت فيها كما تشاء ...
وهذا الناموس ... يكشف الغطاء عن ذلك الأمر المشكل الذي حير كثيراً من
الناس ...

إنها نظرية السلطة العليا ... تبطل السلطة الدنيا ...

أنت أيها الإنسان لك إرادة ؟ ... نعم ... ولكن هناك إرادة عظمى ... لها أن
تلغى إرادتك في أى وقت ...

منحك هو إرادة حرة ... والذي منح له أن يسلب في أى وقت مامنح ...

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ .

« ولما بلغ أشده » ولما بلغ يوسف زمان اشتداد جسمه وقوته .

ولما اكتملت رجولته ، واكتمل عقله .

قالوا : العرب تقول : بلغ فلان أشده ، إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته قبل أن يأخذ

في القصان .

« آتيناه حكما » آتيناه من لدنا حكما بين الناس ... أعطيناه رياسة وعلوا بالحق ...

« وعلمنا » وعلمنا من لدنا ... آتيناه علما عظيما ... علوم النبوة ... وعلوم الملك

وسياسة الشعوب ... وحسن تصريف مقدرات البلاد ...

وفي تنكير الحكم والعلم .. إشارة إلى عظمة ذلك الملك ، وعظمة ذلك العلم ...

« وكذلك نجزي المحسنين » ومثل هذا الجزاء العظيم ... نكافئ دائما الذين أحسنوا

في حياتهم الدنيا ... الذين أتجهوا إلينا ... وأرادوا وجهنا ..

اشعاعات

أفي تلك الآية اشعاع ١؟

بل اشعاعات ... بل اشعاعات الاشعاعات !

تكاد من نورها ... تقول : دعوني ؟!

فيها ناموس عظيم ... أوجبه الله تعالى على نفسه ... « وكذلك نجزي المحسنين » ..

ناموس لا يتبدل... كل من أحسن في حياته... كل من أخلص لله قلبه... كان حتماً
أن يؤتبه الله حكماً وعلماً من لدنه...
ذلك أن القلب هو جهاز الاستقبال للاذاعات الالهية... إن صح ذلك التعبير...
صفات الله تعالى... فعالة دائماً... منطلقة في الوجود دائماً...
وقلوب الخلق هي الأجهزة التي أعدها الله تعالى لاستقبال آثار تلك الصفات...
فمن أحسن... فمن أخلص قلبه لله... أى أدرك قلبه لله... أى فتح قلبه لاستقبال الاذاعة
الالهية... لاستقبال الارسال الالهى...

التقط قلبه تلك الموجات الالهية المنتشرة في الكون كله !!

ما هذا ؟

هذا اشعاع باهر...

إن القلوب خلقها الله له... له وحده... أجهزة مخصصة لاستقبال موجات رحمته
التي يرسلها في ثنايا الكون كله...

فتمي خلصت له... وتمخصصت له... استقبلت فوراً تلك الموجات... موجات الرحمة
والعلم... والرضى... والأنس... والخير...
أى : آتيناه حكماً وعلماً...
عجائب والله عجائب !!

كما تدير مفاتيح التليفزيون على محطة ما... فتكون إذاعة تلك المحطة...
كذلك هذه القلوب... لها مفاتيح... هو الاحسان... هو الاخلاص... هو التوجه
المباشر إلى الله... هو إرادة وجه الله... هو أن لا يكون فيها مكان لغيره سبحانه...
ومتى أدت ذلك المفاتيح... كانت الاذاعة على الفور... تدفقت الموجات الالهية إلى
قابك تدفقاً مباشراً...

بل تلك الموجات أرقى وأرقى... وأعلى وأعلى... وله المثل الأعلى...

وَرَاوَدَتْهُ أَتَى هُوَ فِي يَبْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ
هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ .

« وراودته » وطلبت منه أن يواقعها بشق أنواع المطالبة والمخادعة .

« التي هو في بيتها » المرأة التي يعيش يوسف في قصرها .

« عن نفسه » أي خادعته ، ولاطفته ، لتستميله إليها ... وتدفعه إلى ما تريد منه

أن يفعل .

« وغلقت الأبواب » وأحكمت إغلاق الأبواب . لتحقيق بذلك خلوة تامة بيوسف .

« وقالت » وقالت ليوسف .

« هيت لك » تعال ...

« قال » قال يوسف .

« معاذ الله » أعوذ بالله معاذاً مما تدعيني إليه ، إنه زنى وخيانة فيما أؤتمنت عليه ،

وضرأ لمن توقع النفع ، وإساءة إلى من أحسن إلى !!

« إنه ربي » إنه الله ربي ...

« أحسن مَثْوَايَ » أحسن مقامي ، وأكرمني غاية الإكرام ... فكيف أقابل إحسانه

إلي ، بالإساءة ، والمعصية ؟

أو : إن الشأن الخطير هذا ، وهو ربي ، أي سيدي العزيز ، أحسن مَثْوَايَ ، أي

تعهدى ، حيث أمرك بإكرامى ، فكيف يمكن أن أسوء إليه بالخيانة في حرمه ؟

وفيه ارشاد لها إلى رعاية حق العزيز بالطف وجه .

« إنه لا يفاح الظالمون » المراد بالظالمين كل من ظلم ، كائناً من كان فيدخل في ذلك

المجازون الاحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى ، والزناة لأنهم ظالمون لأنفسهم

وللمزني بأهله .

اشعاعات

قالوا : فيها ثمرات ...

أن الواجب عند الدعاء إلى المعصية الاستعاذة بالله من ذلك ، ليعصمه منها ، ويدخل فيها دعاء الشيطان ، ودعاء شياطين الإنس ، ودعاء هوى النفس .
أن السيد والمالك يسمى (رَبَّابًا) .
وأقول ... فيها اشعاعات كبرى ...

أن نشأة يوسف في قصرها ... من صغره حتى بلغ أشده ... أى من دون الثالثة ...
حتى صار شابا قويا ... تشبیهه كل انثى ... جعلها تطاع على خفايا شخصيته الباهرة القاهرة
فشخصية يوسف كانت باهرة ... بما فيها من أنوار ساطعة ...
وقاهرة ... بما فيها من قوة أعدها الله لتحكم وتتحكم ...

فهو الجميل الأخاذ ... والقوى الجذاب ... وهذا آخر ما تطمح إليه الأنثى ...
كما اطلعت منه على خفاياه ... فبهرها سناه ...
فبينما هو أحسن الناس صورة ... إذا هو أحسنهم خلقا ...
وبينما ظاهره أنه مملوك ... إذا هو ملك يملك ولا يملك ...
هاهى فى جمالها ... وزينتها ... وسلطانها عليه ...
ترتب ترتيبا ... وتخلى القصر بمن فيه ...

وتغلق أبواب القصر ، وأبواب جناحها ، وأبواب حجرة نومها ...
أعدت الجو ... جو المتعة ... والاستمتاع ...
وهاهى تتبني ... وتروده بشتى طرق المرادة ...
وتستسلم له بشتى وسائل الاستسلام ...
وتغريه بكل امكانيات الإغراء عندها ...
عطور ... زهور ... اخراج ... خلوة ...

كل شيء يدعو إلى الاستجابة ...
وهو يآبى .. ويأبى .. حتى تضطر المرأة أن تصارح برغبتها فيه علانية بعد أن فشلت
وسائل التلميح والإغراء فقالت له : هيت لك ..
أى تعال .. تعال يا حبيبي ..
تعال يا محبوبى .. إنى قد جننت بك حبا ..
فماذا كان ؟

ما إن وصلت إلى هذا الحد من الاصرار على تنفيذ رغبتها حتى نادى يوسف ربه :
معاذ الله .. أعوذ بك يا الله ، أن تعصمنى من تلك الفحشاء ..
ثم صاح : كلا .. إنه ربي .
لن أعصيه من أجلك .. إنه أحسن مثواى .. إنه أكرمنى فكيف أقبل اكرامه بالإساءة
ثم أعلن يوسف ناموسا خالدا من نواميس الله ... إنه لا يفلاح الظالمون .. لا يفلاح
من ظلم .. أبدا ... لأن الظالم ظلمات ..

ما هذا ؟ لقد افتتنت المرأة بجمال يوسف ، فأرادته لنفسها ، وراودته عن نفسه ...
وهنا تلالاً معدن يوسف فأبى ... ثم أبى ...
لقد كانت ترى فى يوسف مجرد رجل ككل الرجال ..
تراه رجلاً قويا جميلا .. يحقق رغبتها الجنسية على أكمل وجه ..
تراه مجرد مملوك لها .. لها أن تأمره فيطيع .. لها أن تستمتع به كيف شاءت متى شاءت ..
ولا تتصور أنه سوف يعصى لها أمرا !!

وجاءته بكل فتنتها .. لجأها بكل امتناعه .
وجاءته بكل ظلماتها ، فصدها بكل أنواره ..
لقد رأت المرأة من يوسف ظاهره .. رأت منه رجلا حسن الصورة قوى البدن ...
فيه جاذبية تجذب النساء إليه جذبا ..

وغاب عنها حقيقة أنواره .. فلم تر ما أودع الله فيه من أسرارهِ !

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ
عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ .

« ولقد همت به » ولقد عزمت امرأة العزيز عزمًا جازمًا ، لا يوليها عنه صارف .
عزمت على ضرورة مخالفتها ، والظفر بما تريد منه ، بعد ما باشرت مبادئها من المرادة ،
وتغليق الأبواب ، ودعوته إلى الامساع إليها بقولها (هَيْتَ لَكَ) مما اضطره إلى الهرب
إلى الباب .

والهم يكون بمعنى القصد والإرادة .

ويكون فوق الإرادة ودون العزم ، إذا أريد به اجتماع النفس على الأمر والازماع
عليه . وبالعزم : القصد إلى امضائه . فهو أول العزيمة .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم
تتكلم به ، أو تعمل به . [البخارى]

« وهم بها » معنى الهم هنا هو خطور الشيء بالبال ، أو ميل الطبع ، كالصائم في الصيف
يرى الماء البارد ، فتحمله نفسه على الميل إليه ، وطلب شربه ، ولكن يمنعه دينه عنه .

فالهم هنا عبارة عن جواذب الطبيعة ، ورؤية البرهان جواذب الحكمة .
وهذا لا يدل على حصول الذنب ، بل كلما كانت هذه الحال أشد ، كانت القوة على
لوازم العبودية أكمل .

وقالوا : إن هم هنا بمعنى ميله إليها ، بمقتضى الطبيعة البشرية ، وشهوة الشباب ، ميلا
جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف ، لأنه قصدها قصدا اختياريا .

« لولا أن رأى برهان ربه » لولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما همت به ، لتوفر
الدواعى .

ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء ،

لولا أن رأى برهان ربه : أى حجته الباهرة ، الدالة على كمال قبح الزنى ، وسوء سبيله .
والمراد برويته لها كمال إيقانه بها ، ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين
وكأنه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب ذلك البرهان الذير ، على ما هو عليه فى حد
ذاته أقيح ما يكون ، وأوجب ما يجب أن يحذر منه ، ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام
والحكم بعدم افلاح من يرتكبه .

أى : لولا مشاهدة برهان ربه فى شأن الزنى لجرى على موجب ميله الغريزى ، ولكن
حيث كان مشاهدا له من قبل ، استمر على ما هو عليه من قضية البرهان .

وهذا بيان أن امتناعه - عليه السلام - لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة ، بل
لخص الففة والنزاهة ، مع وفور الدواعى الداخلىة ، وترتيب المقدمات الخارجىة ، الموجبة
لظهور الأحكام الطبيعىة .

« كذلك لنصرف عنه السوء » لندفع عنه المنكر والفجور والمكروه .

« والفحشاء » وندفع عنه الفحشاء ، وهى ما تنهى قبحه ... لندفع عنه الزنى .

« إنه » إن يوسف

« من عبادنا المخلصين » من عبادنا الذين أخلصناهم لطاعتنا ، وعصمناهم ، لنخصصهم
لأنفسنا .

وقرىء : المخلصين

بمعنى الذين أخلصوا دينهم لله

اشعاعات

ماذا فى هذه ؟ ...

فىها أجمل أزمة نفسىة يمكن أن يتعرض لها إنسان ...

وأشق امتحان ... يمكن أن يجوزه بشر ...

وفىها شهادة لىوسف .. أنه أعرض عن شىء .. لىس من المستطاع الاعراض عنه ..

والنظر في الجملة ... هو هذا ... امرأة على الغاية من الجمال والدلال والشباب ...
في خلوة تامة ... وأبواب مغلقة ... في جو يشجع كله على الجريمة ...
أقبلت إليه شبه عارية ... تدعوه إلى نفسها ... بكل ما يمكن لأنى أن تستميل به
الذكر ...

وشاب على الغاية من الجمال ... وعلى الغاية من القوة ...
تفرض عليه المرأة هذا الوضع فرضاً ...
وتدعوه إلى نفسها بكل ما يثير الغريزة الجنسية في الذكر !
ماذا يحدث في هذا الموقف ؟
الذى يحدث أن المرأة التي تريد ... وتمنى نفسها بقضاء لحظات من اللذة والمتعة ...
تكون على الغاية من التفتح والرغبة والاشتهاء ...

وأن الذكر الذى رأى أمامه فجأة امرأة عارية ... أو شبه عارية ... تعرض نفسها
عليه ... تتحرك فيه الغريزة ... وتحذته نفسه بجمالها ، واشتهاؤها ...
شئ غريزى ... لا يقاوم ...
فماذا حدث من يوسف ؟
تحركت فيه الغريزة ... وتحرك فيه العقل في وقت واحد ...

هذه تشتهى ... وهذا يقيم له البرهان على أن هذا الذى تحذته به نفسه ، إنما هو فعل
قبيح ، ومعصية تغضب الله تعالى ...
وانتصر العقل .. على الغريزة ..
وكان ذلك امتحاناً رهيباً ..
جازه يوسف .. ونجح فيه نجاحاً باهراً ..

هذه هي القصة التي أكثر الناس من ليها بالسنتهم ... وذهبوا فيها المذائب .. منظر
عادي .. مألوف ..

إنه الصراع النفسى الذى يحدث فى نفس كل إنسان عندما يتعرض للوقوع فى معصية .

تجاذب طرفى الاستعلاء .. والنزول ..
تجاذب العريضة مع العقل ..
واتصر العقل .. وكان ذلك بتأييد من الله ليوسف .
لماذا ؟

لأنه مخلص لله ، اختاره الله لنفسه .
ولم تظفر المرأة من يوسف بشيء مما كانت تمني به نفسها !!!

وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

« واستبقا الباب » واقد همت به ، وأبى هو ، واستبقا الباب .
أى قصد كل سبق الآخر إلى الباب .
فيوسف - عليه السلام - ليخرج ، وهى لتمنعه من الخروج .
والمراد بالباب هنا الباب الخارجى للقصر ، الذى منه المخلص والمهرب .
لقد فر يوسف منها .. وتوجه نحو باب القصر الخارجى .. ليهرب من تلك الفتنة
التي أحيط بها ..
وانطلقت هى من ورائه .. وهى على ماهى عليه من إخراج وعرى .. تريد أن تمنعه ..
وتجذبه إليها مرة أخرى !!

« وقدت قميصه من دبر » أى اجتذبتة من خلفه فانقدت ، أى انشق قميصه .
« وألفيا سيدها لدى الباب » وصادفا زوجها هناك قادمًا عند الباب .
« قالت » قالت امرأة العزيز .. حين ضبطها زوجها وهى على تلك الحال .

« ماجزاء من أراد بأهلك سوءاً » ما عقاب من أراد أن يزني بزوجتك ؟
« إلا أن يسجن » إلا أن يلقى في السجن .
« أو عذاب أليم » أو يعذب على ذلك أشد العذاب .

اشعاعات

انطلقت صاحبتنا وراء يوسف .. تحاول أن تمنعه من الخروج .. وترغمه على الاستجابة لرغبتها الحارقة ..

ونجأة كان وزير الداخلية ... كان زوجها عائداً .. من الخارج ..
ونجأة .. كذلك .. تصرفت المرأة الذكية .. وخرجت من المأزق ..
فاتهمت يوسف بأنه كان يريد أن يغتصبها .. وأنها كانت تقاومه .. وهو يريد أن يرغمها !!

ولم تقف عند ذلك .. بل حكمت هي في القضية ..

وحددت العقوبة .. إما السجن وإما التعذيب أشد العذاب !!

فماذا نأخذ من هذا ؟

نأخذ منه أن في هذه عدة أزمات متداخلة في بعضها البعض ..

أزمة للزوج .. حين يفاجأ بزوجته .. مع شاب .. وهما في حالة مريبة .. وهو لا يدري ما القصة ؟ ... وهو على ما هو عليه من المهابة والسلطة في منصبه ... فإذا بمنزله في مثل هذه الفوضى !!

ثم هذا الشاب ... يوسف ... الذي أكرمه ... ورباه ... ورعاه ... كيف سولت له نفسه أن يخونه هذه الخيانة ؟

أزمة عنيفة جداً ... وقع فيها الزوج نجأة !!

وأزمة ليوسف .. حين يجد نفسه نجأة أمام سيده ... الذي أحسن إليه ، ورباه ..
وأكرمه ... في مثل هذا الموقف ...

وماذا يكون إحساس يوسف ، وهو يشعر بالآلام التي تجتاح الرجل ، وهو يفاجأ بتلك المفاجأة ؟

ثم كيف يرى نفسه ... وهي قد سارعت إلى اتهامه .. والمرأة مصدقة دائماً في تلك المواقف؟

وأزمة .. للمرأة نفسها .. حين فوجئت بزوجها .. يضبطها متلبسة .. كل الشواهد تشير إليها .. ولذلك سارعت إلى اتهام يوسف .. قبل أن ينتشر الأمر !!
وهكذا .. أزمات متداخلة .. تتلاحق سراعاً ..

فما كان من يوسف .. كذلك إلا أنه تصرف بسرعة .. ودفع عن نفسه تلك التهمة الشائنة .. فقال ..

— ٢٦ —

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ
قَدْ مِّنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

« قال » قال يوسف دفاعاً عن نفسه ، ونفياً لتلك التهمة الشائنة عنها .

« هي » هي « هي ولست أنا

« راودتني عن نفسي » حاولت معي شتى المحاولات لاغرائني على ما تريد .. فأبيت ..

واعرضت .. وفررت منها فراراً .. فوثبت من خلفي .. تشدني إليها شداً ..

« وشهد شاهد » وشهد رجل هذا المشهد العجيب .. وكان ذلك الرجل قادماً مع زوجها

« من أهلها » من أسرتها .. وليس من أسرة زوجها .

« إن كان قميصه قد » إن كان قميصه تمزق .

« من قبل » من أمام .

« فصدقت » فصدقت زوجتك أيها العزيز .

« وهو من الكاذبين » لأن قدّه من أمام أمانة الدفع عن نفسها به ، أو تعرّفه في مقام قيصه بسبب إقباله عليها ، فقد لإسراءه خلفها .

وَإِنْ كَانَ قَيْصَهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ .

« وإن كان قيصه قد من دبر » تمزق من خلف .

« فكذبت » فكذبت امرأتك أيها العزيز .

« وهو من الصادقين » لأنه امانة ادباره عنها ، بسبب أنها تبعته ، واجتذبت ثوبه

إليها فزقته ..

فَلَمَّا رَأَى قَيْصَهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ .

« فلما رأى » فلما رأى العزيز .

« قيصه » قيص يوسف .

« قد من دبر » شق من خلف .

« قال » قال العزيز .

« إنه من كيدكن » إن هذا الذي حدث من مكركن وحيلىكن أيها النساء .

« إن كيدكن عظيم » إن مكركن شديد .

ولمّا استعظم كيدهن لأنه أطف وأعلق بالقلب ، وأشد تأثيراً في النفس ، ولمن فيه

دلال ورفق ، وبذلك يغلبن الرجال .

يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ

مِنَ الْخَاطِئِينَ .

« يوسف » ثم قال العزيز موجها الكلام إلى يوسف : يا يوسف .
« أعرض عن هذا » أعرض عن هذا الأمر واكتمه ، ولا تحدث به ،
« واستغفري لذنبك » واعتذري إلى يوسف عن الاساءة إليه .
استغفري لذنبك الذي وقع منك من ارادة السوء بهذا الشاب ، ثم قدفه بما هو برىء
منه .

« إنك كنت من الخاطئين » إنك كنت من القوم المتعمدين للذنب .
إنك كنت من المحترفين الاجرام ، الذين يرتبون للجريمة ، ويهيئون لها الأسباب ،
ثم يرمون بها البراء .
يقال : خطيء إذا أذنب متعمدا ، وأخطأ إذا فعله من غير تعمد .

اشعاعات

اختلفوا في أسباب تهاون العزيز مع امرأته . إلى حد أنه اكتفى منها بالاعتذار إلى يوسف .
فمن قائل : كان رجلا حليما !
ومن قائل : عذرها لأنها رأت مالا صبر لها عنه .
ومن قائل : إنه كان قليل النيرة ،
ومن قائل : هي لطف من الله تعالى بيوسف عليه السلام .
ومن قائل : إنه مقتضى تربة مصر .
ومن قائل : إن لاختلاف أحوال العمران في الخصب والجذب ، وأقاليمه في الحرارة
والبرودة وتوابعهما ، أثر في أخلاق البشر وأبدانهم .
وعندى أن العزيز كان رجلا كسكل الرجال ، ليس بقليل النيرة ، ولا بشديد البرودة .
ولإنما هو يعلم تمام العلم أن يوسف لن يرتكب الفحشاء .. مهيا كانت المغريات ..
لأنه خالطه .. حليمة طفواته ... وصباه .. وشبابه .. فتأكد لديه أنه عفيف متعفف ، ذا
إرادة خارقة في السيطرة على نفسه ، وكبح جماحها .
وهذا هو أقوى الأدلة عندى ، في موقف الرجل .

أنه موثق أن يوسف لن يفعل سوءا بزوجه أبدا .
هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى .. أن الرجل خاف الفضيحة والتشهير السياسى .
فهو وزير للداخلية .. أى يشغل أكبر منصب سياسى بعد الملك .
وهو صاحب السلطات الواسعة ، فلو أن الأمر ذاع فى مصر .. أن امرأة العزيز على
علاقة بمملوكها .. لكان ذلك ضربة قاضية لمستقبله السياسى فى البلاد .
وتلغفه خصومه السياسيون ، وشهروا به تشهيرا .
ولذلك رأى الرجل الداهية ، أن يعالج الأمر علاجا عميقا .
فطلب من يوسف أن يعرض عن الموضوع .. ويعتبره منتهيا .. ويكتمه ولا يتحدث
به إلى أحد .

وذلك بعد أن أعلن إليهما أن الفعل من ترتيب زوجته .. فبرأ بذلك يوسف واتهمها
ثم طلب إليها أن تعتذر إلى يوسف لأنها ارتكبت جريمة كبرى .
وبذلك يفوت على خصومه السياسيين أن ينالوه من هذا الطريق فيقولوا : وزير
الداخلية يكتشف فضيحة فى قصره .. امرأة العزيز تراود فتاها .. المملوك الساحر على علاقة
بسيده .. زوجة وزير الداخلية تقع فى غرام .. يوسف . فاتن النساء !!
إلى غير هذا من أراجيف التشهير السياسى الذى يكون فى مثل هذه الحالات .
أضف إلى ذلك أن الرجل أذل امرأته بهذا .

فهو قد سجل عليها الجريمة .. واحتفظ بهذا السلاح لديه .. ليشره فى وجهها فى أى وقت .
هذا فضلا عن أن الرجل كان مترفا .. بورجوازيا ، ابن قصور ، ولم يكن على دين
يقبح لديه الفحشاء ... وإنما كان ابن ذوات ... قد ألف مثل هذه الألاعيب الغرامية فى
مجتمعه ... ولا يراها كبيرة .

ولذلك عالج الموضوع بما يتناسب مع تفكير هؤلاء الناس .
ولكن هل هذا كله قد أدى إلى كتمان الفضيحة .. واسدال ستار النسيان على الموضوع؟
كلا .. فقد تسرب الخبر فى العاصمة .. وأصبح حديث القصور .. ونساء القصور ...
ولذلك يقول ..

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .

« وقال نسوة » وانتشر الخبر ... وشاع وذاع وقال نسوة من ربات القصور ...
« في المدينة » في العاصمة ... في مصر .

« امرأة العزيز » زوجة الأمير ... زوجة صاحب العزة والسلطة والسيادة ..
« تراود فتاها » تطالب من مملوكها ... تعرض نفسها على مملوكها ... بكل ما يتصور
من أساليب العرض والاعتراف ...

« عن نفسه » تخادعه عن نفسه ... ليقع بها ، ويأتيها ... ومع هذا كله يتزهر عنها ،
ويأبى !!!

« قد شغفها حبا » قد خرق حبه شغاف قلبها ، حتى وصل إلى الفؤاد .
والشغاف حجاب القلب .

« إنا نراها في ضلال مبين » إنا نراها في خطأ عن طريق الرشد والصواب . واقحام
الرؤية ، للاشعار بأن حكمهن بضلالتها صادر عن رؤية وعلم ، مع التلويح إلى تنزههن عن
مثل ذلك .

اشعاعات

وانتشر الأمر ... رغم محاولات العزيز ... وأصبحت القصة حديث العاصمة . .
وموضع فكاهة النساء والبيوتات ...

زوجة الأمير ... زوجة وزير الداخلية تعرض نفسها على مملوكها ... والمملوك يأبى !!
هذه امرأة مجنونة .. امرأة مستهتره .. امرأة فاجرة .. وهذا هو معنى: إنا نراها في
ضلال مبين ..

امرأة لم ترع حرمة قصرها .. وحرمة زوجها .. وحرمة أسرتها ..
فيرد بعضهن : قد شغفها حبا .. الحب .. الحب .. ماذا تصنع وقد جنت بحبه ؟!
فالمفهوم من الفقرات الثلاث أن الموضوع أصبح حديث الصالونات والمجتمعات
والقصور .. وغير القصور .

والآية تسجل بعضا من اتهامات الناس لها ، وأقاويلهم فيها ... فتسجل :
« امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » .
« قد شغفها حبا »
« إنا لنراها في ضلال مبين »

هذا جزء من كل .. وليس كل ما قيل وإنما هو أهم ما قيل ..
تسجله الآية .. لتشير بذلك إلى مدى انتشار الموضوع في العاصمة والبلاد المصرية ..
وإلى جوار ذلك .. تنتشر كذلك شهرة يوسف في البلاد .. بالأخلاق العليا في أعينهم .
وحين تقع الواقعة ... خاصة في المسائل الجنسية .. تكثر أقاويل الناس . ويطلقون
ألسنتهم فيها اطلاقا .. خاصة إذا كانت الحادثة تتصل بكبار المسؤولين في البلاد .
وتلك عادة الناس جميعا .

والإنسان أسرع ما يكون إلى التصديق في الأمور الجنسية .
يكاد يصدق كل ما يسمعه .. بل يضيف هو إليه من خياله ما يشاء .. وهو ينقله إلى
غيره .. وهكذا .

ومعنى هذا أن الدولة كلها أصبحت تتحدث بالقصة ..
وأن الموضوع أصبح حديث الطبقات جميعا ..

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ .

« فلما سمعت بمكرهن » فلما وصل إلى سمع زوجة العزيز ، اغتياهن وسوء أقوالهن .

فلما صدك سمعها .. وتناهى إليها ما يقل عنها .. خاصة من صديقاتها وعدواتها من

نساء القصور .

أو (المكر) على حقيقته ، وكن قلن ذلك لتهيئ يوسف ..

« أرسلت إليهن » أرسلت تدعوهن إلى الضيافة ، مكرأ بهن ..

« وأعدت » وأحضرت وهيات .

« هن » للنساء المدعوات في قصرها ...

« متكنن » ما يتكنن عليه من الوسائد وغيرها ..

أى أعدت هن مجلسا من تلك المجالس الناعمة التي تكون في القصور الكبرى ..

خاصة قصور الأمراء والملوك .. أى فتحت هن ... واستقبلتهن .. في صالونات قصرها ...

في قاعة الاستقبال الكبرى في القصر .. حيث الأرائك الناعمة المريحة .. التي تسمح

للجالس أن يتكىء كما شاء .. في راحة تامة .. وانسجام عظيم ..

« وآتت كل واحدة منهن سكيناً » وبدأت الحفلة الكبرى ..

واستقبلت امرأة العزيز ضيفاتها في صالونها ..

ثم جاء موعد تقديم العشاء .. فانتقلن إلى بهو الطعام تتقدمهن صاحبة الدعوة ...

وانتشرن حول الموائد الكثيرة المنتشرة في القصر .. وكان أمام كل مدعوة صحافها ...

وسكينها .. وملعقتها .. وشوكتها .. كما هو الشأن في مثل هذه الحفلات ..

فليس معنى « وآتت كل واحدة منهن سكيناً » أن الأمر اقتصر على السكين .. كلا

وإنما المعنى . . أن هناك حفلة في القصر وهناك أدوات المائدة أمام كل منهن . . ومن بينها
سكين . . كما هي العادة . .

وبينما هن مشتغلات . . منهمكات في الطعام . . والضحكات . .
كانت المفاجأة . .

« وقالت اخرج عليهن » أمرت امرأة العزيز يوسف أن يخرج عليهن جميعاً . . وهن
منهمكات في الطعام . .

وخرج يوسف . . ملكا غير متوج . . أو ملكا في صورة بشر . . الجمال والجلال
يتلألأ في وجهه . . صورة لم تشهد الأرض مثلها حسنا . .
وكانت مفاجأة لمن جميعاً . .

« فلما رأيته » فلما فوجئ كهن ، . فلما وقعت أعينهن على يوسف . .
« أكبرنه » أعظمه ، وهن حسنه الفائق .

وقع من أنفسهن موقع الاكبار والإجلال ، وبدا في عيونهن وقلوبهن ، عظيما غاية
العظمة ، جمالا غاية الجمال . .

« وقطعن أيديهن » وظلت أعينهن معلقة به ، حتى اسين أنفسهن ، وقطعن أيديهن
بالسكاكين ، أى جرحنها . .

« وقلن حاش لله » وقلن جميعا : حاشا لله . .
حذفت أفه تخفيفا . .

أى تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز ، وتعجبا من قدرته على مثل ذلك
الصنع البديع .

« ما هذا بشرا » لا يمكن أن يكون هذا بشرا . .

وإنما نفين عنه البشرية لغرابة جماله ، وأثبتن له الملكية ، على نهج القصر ، بناء على
ماركز في الطباع أن لا أحسن من الملك ، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان . ولذلك
بشبه كل مثناه في الحسن واتمبح بهما .

« إن هذا إلا ملك كريم » نحن نقطع أن هذا ليس ببشر وإنما هو ملك من ملائكة السماء .. في صورة بشر ..

اشعاعات

ما هذا ؟ حفلة ساهرة كهري .. في قصر العزيز .. يدعى إليها نساء الطبقة الراقية جميعاً ويخرج عليهن يوسف .. فيكون الدهول .. وتأخذ المفاجأة عليهن جميعاً عقولهن . فيغفلن عن الطعام .. وعن كل شيء حتى يقطعن أيديهن بالسكاكين التي يمتزرن بها الطعام !!! .

ثم يشهدن جميعاً : سبحان الله !

كيف خلق الله مثل هذا الجمال ؟ .

مستحيل أن يكون هذا بشر ! ..

إنه ملك كريم في صورة انسان ..

ارتفاع .. شهرة .. مجد .. عظمة .. قل ماشئت .

فإن الله أراد أن يرفع يوسف .. ويمكن له في الأرض .. وهذا شيء مما يتفضل به

تعالى عليه .

نساء العظماء جميعاً .. يشهدن له تلك الشهادة .. فإذا بقي بعد هذا ؟ !

كيف كان جمال يوسف .. هذا الذي بهر النساء جميعاً .. ؟

وبهر أباه فكان لا يصبر على فراقه ؟ .

كان شيئاً لا يعلمه إلا الله .. وحين يريد الله أن يمدح جلالاً فهو الابداع .

ومهما اطلقنا خيالاتنا في تصور جمال يوسف .. فسوف تأتي صورة خيالنا باهتة .. دون

الحقيقة بكثير ...

فالأولى أن ندع التحديد .. ونصور أن يوسف عليه السلام كان في أحسن صورة ..

وإنما كان يزيد جلالاً على جمال ...

لألاء النبوة .. واشعاعات أنوراها .. وهي تترقق في ثايا وجهه .. وهذا ما أنطق
النسوة جميعا : ما هذا بشرا .. إن هذا إلاملك كريم !!
رأين في وجهه جمال النبوة .. ونور السمو ...
فانطلقن يؤكدن أنه ليس ببشر .. وإنما هو ملك كريم !!!

-- ٣٢ --

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ
وَإِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَا يَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ .

« قالت » امرأة العزيز .

« فذلكن الذي » فهذا هو الذي .

« لمتني فيه » في الافتتان به .

« ولقد راودته » ولقد أغريته بشتى طرق الاغراء ، وعرضت عليه نفسى بشتى طرق

العرض .

« عن نفسه » وجعلت اغريه وأدعوه .

« فاستعصم » فامتنع ، طابا للعصمة ، مستزيذا منها .

قالوا : الاستعصام بناء مبالغة ، يدل على الامتناع البليغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه في

عصمة ، وهو يجتهد في الاستزادة منها .

« وإئن لم يفعل ما أمره » وإئن لم يأت ما أريد منه .

« ليسجنن » ليعاقبن بالسجن .

« وليكونا من الصاغرين » أى الاذلاء المهانين .. بعد أن كان في عز وسيادة ونعمة .

اشعاعات

في قولها : فذلكن الذي لمتني فيه ...

رقة نسائية مابعدھا رقة .. كأنھا تقول لمن : هذا هو الجمال القاتل الساحر الفتاك
الذى تتحدثن عنى بسببه .. وتلوموننى من أجله ...

ثم زادته عظمة إلى عظمته أمامهن جميعا فأعلنت فى غير حياء ولاخجل كأنها طلبت
إليه معروفا : واقد راودته عن نفسه فاستعصم !!! ولقد طلبت إليه فأبى ثم أبى ثم أبى ..
وكنت كلما اقبلت عليه وتراميت على يديه .. كلما تباعد وتباعد عنى !!!
ثم هددته أمامهن كلهن .. اتنظر ماذا يكون جوابه .. بعد أن طلبت إليه على الملأ ..
« ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن » .

لأصدرن أمرى بسجنه إلى الأبد .. وأى سجن ؟ .. « وليكونا من الصاغرين » ..
سجن الأشغال الشاقة المؤبدة . حيث الاذلال والمهانة والعذاب ... وهو الآن مخير ...
بين المتعة واللذة .. وبين المهانة والعذاب ...

وهذا يدل على مدى ماوصل إليه جمال يوسف . وانه جمال لايقاوم .. جعل المرأة
تلعن بلاستحياء أنه رجل لايمكن أن تقاومه امرأة فى الأرض . وانه بمايزيده اغراء المرأة
أنه كلما طلب ازداد امتناعا !!!

ثم كان آخر مااعنها أن أعلنت عقابه بالسجن إن لم يفعل !!
فاذا كان من يوسف ؟!

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَضْبُتُ لَأَلَيْنَهُنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ .

« قال » فما أن سمع يوسف تهديدها علانية بسجنه أمام النساء جميعا .. حتى قال ...
« رب » التجأ فوراً إلى الله . وأسقط الأغيار اسقاطاً تاماً ..
لم يدخل فى جدل معها .. لماذا .. وكيف ؟ كلا ... وإنما أتجه مباشرة إليه تعالى ...
وناداه : رب ...

« السجن أحب إلى » الإقامة في السجن والاصابة بعذابه وآلامه أحب إلى نفسى .
« مما يدعونى إليه » من تلك الفحشاء التى يدعونى إليها كلهن .
وهذا يشير إلى أنهن جميعا عرضن أنفسهن عليه بكل الطرق الممكنة من الاغراء .
وأنة وجد نفسه فجأة . محاطا بهن . هذه تداعبه . وهذه تضاحكه . وهذه تريد أن
تقبله . . وهذه تدعوه إلى سهرة ممتعة . . وهذه تدعوه إلى خلوة . . وهذه تريد منه
يلوكلته .

وبعدهن جميعا . امرأة العزيز . . الموتورة . . الجريحة السكرامة . . المجنونة بحبه . .
ننظر ماذا يفعل معهن . . وكيف يتصرف . . وترقب وترقب .
شاب كله قوة وشباب ونضارة وجمال . . وأجمل نساء مصر . . وأرقاهن . . وأحلاهن
ترامين كلهن عليه .

فترك ذلك كله . . ويستصرخ ربه : رب السجن أحب إلى مما يدعونى إليه . .
« وإلا تصرف عنى كيدهن » وإلا تدفع عنى فتنهن ، . وأساليبهن الجهنمية . .
اغراءتهن الفتاكة . . وإلا تصرف عنى ما أردن منى .

« أصب إليهن » أمل إليهن . . إلى إجابتهن بمقتضى البشرية .
« وأكن من الجاهلين » بسبب ارتكان ما يدعونى إليه من القبيح .

قالوا : هذا فزع منه ، عليه السلام ، إلى اللطاف الله تعالى ، جريا على سنن الأنبياء ،
الصالحين ، فى قصر نيل الخيرات ، والنجاة عن الشرور ، على جناب الله عز وجل ،
سلب القوى والقدر عن أنفسهم ، ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن بإظهار
ن لاطاقة له بالمدافعة ، كقول المستغيث : أدركنى وإلا هلكت ، لآ أنه يطلب الإيجار
للإلجاء إلى العصمة والعفة ، وفى نفسه داعية إلى هو امن .

وقالوا : وذلك الدعاء هو صورة افتقار القلب الواجب عليه أبدا .

اشعاعات

وهكذا وضع الله تعالى يوسف - عليه السلام - ا لوجه أمام الفتنة الكبرى ..
وأحاطه بها من كل جانب ..

ودفع به إليهن ... ودفعن إليه ... لينظر ماذا يفعل ؟
يجئته من كل باب .. ففر من كل باب ..
وتذللن له بكل وسيلة .. فهرب بكل وسيلة ..

فلما أحس بالفتنة تريد أن تسعى إليه ... صاح به سبحانه ... صيحته الكبرى ...
رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ..

ثم تلاً أكثر وأكثر فأعلن : وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن .. أنت
وحدك الذي يستطيع انقاذي من تلك الموجات المفرقة .

ثم تلاً وتلاً .. فأعلن : وأكن من الجاهلين .. أنا بشر .. ضعيف .. يتضعض
سريعا أمام الفتنة .. فلا تتركني وحدي .. فأميل إليها بغريزتي .. وأتحول إلى مجرد
إنسان تستعبده شهوته .. وهذا شر أنواع الجهل ..

إنه يوسف .. يتلى فيما أوتى .. في الجمال الذي آتاه ..

هل يقول كما يقول كل الناس : استمتع بشبابك ... أم يكون له موقف آخر ؟
وصب عليه البلاء صبا .. وساق إليه الفتن سواقا ..

فما كان منه - عليه السلام - إلا أن ارتفع فوق الأحداث ، وارتفع على نفسه ..
وأسقط كل شيء .. وأسقط نفسه .. وأسقط كل شيء حوله .. وأسقط ما حوله .. وطار
إليه سبحانه .. وهو يصرخ : رب .. رب .. أنت .. أنت .. وحدك .. تنقذني ..

إنه يوسف ..

فإذا كان من الله ؟

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .

« فاستجاب له ربه » أجاب له دعاءه .. على الفور ..

إنه دعاء مستغيث .. دعاء قلب فر من كل شيء .. إلى ربه .. فكيف لا يستجيب له؟

« فصرف عنه كيدهن » فأيده بالتأييد القدسي ، فصرفه إلى جناب القدس ، ودفع

عنه ، بذلك ، كيدهن .

فأمده الله تعالى فورا بامداد من عنده .. بطاقة فوق طاقته .. استطاع بها أن يدفع

عن نفسه تلك الفتن جميعا ..

« إنه هو السميع » لدعاء المتضرعين إليه .

« العليم » بحقيقة ما في قلوبهم وهم يستصرخونه ويستغيثونه فيعطهم

ما يصلح حالهم ..

اشعاعات

فيها لألاء .. وسناء ..

ما إن استغاثه .. واستصرخه .. حتى قال له : لبيك يوسف لبيك !!!

فاستجاب له ؟! فورا .. كان معه ..

ومتى كان معه .. فلا شيء يريد يوسف بعد ذلك ..

فصرف عنه كيدهن ؟!

إنه لم يصرف عنه النساء . وإنما صرف قلبه عن الصباية بالنساء ..

وهذا أعلى أنواع التأييد .. أن تكون في الشيء .. ولست فيه ..

أن تكون في الدنيا .. ولست منها . .

أن تكون في الغنى .. ولست منه . .

أن تكون في الأسباب .. ولا تراها ..

أن تكون في الحياة .. ولست حيا إلا به تعالى ..
أن تكون في كل شيء .. ولست منه في شيء ..
ثم يتشعشع نورها .. ويتشعشع .. إنه .. هو ..
الله يتكلم عن نفسه .. ويؤكد .. ويؤكد .. أنه هو .. أنه وحده هو .. السميع ..
المجيب لدعاء من أراده وحده بدعائه .. ولم يخلط شيئا آخر ..
يجيب دعاء من فر إليه .. ولم يرسوا .. ولم يشرك به أدنى شرك ..
وها هنا .. كان فرار يوسف إليه عظيما .. وارتفاعه إليه سريعا .. واستصراخه
شديدا ..

فسارع تعالى إليه إنه هو العليم بيوسف .

هل هناك جمال بعد هذا الجمال ؟

اللهم أكرمنا ولو شيئا يسيرا بما أكرمت هؤلاء !!

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ .

« ثم بدأ لهم » ثم كان من رأيهم :

ثم كان من رأى العزيز وزوجته

« من بعد ما رأوا الآيات » من بعد ما تأكدوا من براءته ، ورأوا بأعينهم الشواهد،
والبراهين المؤكدة لنزاهته .

من بعد ما رأوا الآيات التي حققناها في يوسف .. الدالة على أنه شيء آخر غير سلوكهم
جميعا .

« ليسجننه حتى حين » ليلقونه في السجن إلى مدة يرون رأيهم فيها .

اشعاعات

أى آيات هذه التى رأوا من يوسف .
أو أى معجزات التى شاهدوا منه ؟ .
هل جاءهم يوسف بخارقة كما جاء الأنبياء من قبله ؟ .
هل أجرى الله على يديه معجزة من تلك المعجزات التى يؤيد بها انبياءه ؟
كلا .. وإنما كان يوسف نفسه هو المعجزة !!
شخصية يوسف نفسها .. انواره الظاهرة .. والباطنة .. سلوكه .. استعصامه الدائم ..
علوه على الشهوات .. عزيمته على الرشد .. عدم خشيته من التهديد بالسجن ..
هذه هى المعجزة .. شخصية يوسف نفسها هى الآيات الكبرى ..
وحين يكون الاعجاز فى نفس الشخصية .. فذلك هو الاعجاز ..
إن ما كان من يوسف .. وانتصاره على جميع الفتن التى حوَصر بها .. هو ..
الآيات التى رأوا .
رأوا شيئاً خارقاً .
شاباً تدعوه سيده .. فى أبى .
ثم تدعوه مرات أخرى .. فى أبى .
ثم يهدد بالسجن .. فيزداد علواً .
ثم يهدد بالاذلال والتعذيب .. فيزداد فراراً إلى ربه .
وقبل هذا وذاك .. عنده من الجمال .. ما يقهر أى امرأة قهراً .. ويأتى بها طوعاً وإليه !
شخصية خارقة .
ويزيدها عجباً .. أنه رغم ما هو عليه من جمال .. لا يرى شيئاً من ذلك الجمال ..
إلا أنه نعمة من نعم الله .. عليه أداء شكرها .. بصيانتها عن الانحراف .
وكان كل ذلك سبباً فى اشتهار أمره بين الناس ..

فحدثت النسوة عن عجائبه .. وعن موقفه الخارق حين عرضن أنفسهن عليه .. فامتنع
منهن جميعا .. وجرح كبرياءهن جميعا .

هذه هي الآيات .. هذه هي المعجزات التي رآها المصريون جميعا من يوسف .
شخصية معجزة .. محيرة .

فكان قرارهم .. كان قرار وزير الداخلية .. وزوجه .. وجميع أهل السلطة أن ..
يدخل يوسف السجن لماذا ! .. لأنه مجرم ؟ .

كلا .. لأنه أصبح فتنة للنساء جميعا .. وفتنة للرجال من بعدهن ...

فإذا يفعل رجل حين يسمع أن امرأته عرضت نفسها على يوسف ؟

وكم كان عدد الرجال الذين أودوا في أعراضهم وكرامتهم حين سمعوا أن زوجاتهم أو
بناتهم أو اخواتهم قطعن أيديهن حين رأين يوسف ؟

أو ماذا يكون شعور هؤلاء الرجال وهم يشهدون لساءم ولا حديث لهم إلا يوسف ..
وجمال يوسف .. وسمو يوسف .. واستغصام يوسف ؟

لا بد إذا من استئصال تلك الفتنة من البلاد .

لا بد من سجن يوسف .. إنه مرتكب أكبر جريمة .. لماذا يكون أجمل الرجال ؟ !
وهكذا .. ابتلى يوسف بالجمال .. وابتلى من حوله بجماله !

ودخل يوسف السجن .. لأنه أجمل الناس صورة .. وأجمل الناس أخلاقا !!!

وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُجِلُّ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ
إِنَّا نرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

« ودخل معه السجن قتيان » روى أنهما غلامان كانا لفرعون مصر ، أحدهما رئيس سقائه ، والآخر رئيس طعامه ، وغضب عليهما فحبسهما ، فسكنا مع يوسف ، ثم رأها يوما وها مبهومان ، فسألهما عن شأنهما ، فذكرا له أنهما زأيا رؤيا غتمهما ، وليس لهما من يعبرها .

فقال لهما : أليس التأويل لله ؟ قصا على !

فذلك قوله تعالى ..

« قال أحدهما » وهو صاحب شرابه .

« إني أراني أعصر خمرا » أى عنبا ، تسبب بما يؤول إليه .

وذلك أنه قال : رأيت في المنام كأن بين يدي ماء فيه ثلاثة قضبان عنب ، ثم فضجت عناقيدها وصارت عنبا ، وكانت كأس فرعون في يدي ، فأخذت العنب ، وعصرته في الكأس ، وناولتها فرعون .

« وقال الآخر » وهو صاحب طعامه ..

« إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه » .. وذلك أنه قال له : رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال حواري ، والطير تأكل من السلة العليا فوق رأسي .
« نبئنا بقاويله » أخبرنا بتفسير ما رأينا ، وما يؤول إليه أمر هذه الرؤيا .
« إنا نراك من المحسنين » الذين يحسنون عبارة الرؤيا .

أو : من المحسنين إلى أهل السجن ، تداوى مريضهم ، وتعزى حزينهم ، وتوسع على فقيرهم ، فأحسن إلينا بكشف غممتنا ، إن كنت قادرا على ذلك .

اشعاع

ودخل يوسف السجن ١٩

يوسف .. البريء .. المتعفف .. الذي أبت الفحشاء في أى صورة من الصور .. الذي

حفظ عرض العزيز .. ونفر نفورا شديدا أن يخونه فيما ائتمنه عليه !

يوسف .. الجميل الصورة .. الجميل الخلق .. حتى شهدت له النسوة .. إن هذا إلا ملك كريم !

يوسف هذا .. يدخل السجن .. وكان من الأولى أن تدخله امرأة العزيز !!
لماذا يختار الله تعالى لأنبيائه .. وأوليائه .. ذلك الاختيار ؟

لماذا يسلط عليهم الجبارة والطغاة .. ويمكن هم مهم .. فيتهمهم بالباطل ويدخلوهم
السجون بغير ذنب ؟

لأن السجون وحياة السجن .. عالم غير هذا العالم الذى يعيش فيه الناس .. لو اطعوا
عليه لولوا منه فرارا وملتوا منه رعبا !

عالم تمحى فيه كل المعانى الكريمة .. وتبقى كل المعانى الأليمة .
وما ظنك بحياة يلتقى فيها السجين كأنه بهيم .. فى إذلال .. وتعذيب .. وتحقير ..
وتسخير .. كيف تكون ؟

أو ما ظنك بحياة ليس فيها من معانى الحياة من شيء ؟
فلا طعام إلا كسيرات من خبز أسود .. أو قطرات من عسل أسود .. أو ذرات
من جبن متعفن ؟

أو ما ظنك بالملئات يكبدسون متراصين ليلا ونهارا كما تتزاحم أعداد الأسماك فى علب
السردين ؟

مهما وصفنا .. فالسجن أدهى وأمر !!
هذا هو السجن الذى دخله يوسف بغير ذنب .. إلا أنه أبى أن يأتى امرأة العزيز ..
ويحقق مشتهاها !!

لماذا كل هذا .. وهل هذا هو التكريم لأنبياء الله ؟
نعم .. ثم نعم ..
لأن النفس طالما هى فى بجموحة من العيش .. مستحيل أن تدرك حقيقة الحياة و

يجرى فيها .. أو تدرك نعمة الله عليها فيما تنقلب فيه من أنعام ... لأن إلف الشيء يفقده قيمته ..

فإذا نزع الله يوسف من حياة القصور .. والنعيم .. والترف .. والدلال .. والجمال .. واللذة .. والأبهة .. والسلطة ..

إذا نزعه من كل ذلك فجأة .. واقاه إلى السجن ..

وجد يوسف نفسه في مكان مظلم .. ضيق .. ليس فيه من لوازم الحياة إلا أحقرها .. وأقلها .. مما تعافه الكلاب ..

حدث انقلاب هائل في أحاسيسه كلها .. كانت صدمة شديدة جداً .. تقهره على أن يدرك ما لم يك يستطيع أن يدرك من قبل .

يدرك أن هذه الشمس الساطعة طول نهارها .. ولا يلتفت إليها الإنسان .. ولا يعتبرها نعمة تذكر .. يدرك أنها نعمة عظيمة .. حين يلقى إلى زنازة مظلمة في السجن لا يرى الضوء فيها إلا من خلال كوة حقيرة !!

ويدرك أن الهواء الحر .. الذي كان ينعم به ولا يحس له قيمة .. هو من أجل النعم التي آتاه الله .. حين يجد نفسه يكاد يختنق .. من ذلك الهواء الحبيس في ظلمات الزنازين في حياة السجن .

ويدرك أن أحقر مستوى من المعيشة في الحياة العادية .. هو أرق من أى مستوى في حياة السجن ..

ويدرك أن الحرية هي أعلى شيء .. وأكبر نعمة تنعم على الإنسان ..

ويدرك أن في الحياة آلاماً وأهوالاً .. ما كان ليدركها لولا أن رأى حياة السجن وعاشها وعانها ..

وأن هؤلاء الألوف معه في السجن .. هؤلاء الأخلاط من المجرمين العتاة .. إلى الأبرياء المظلومين .. يرغبون إرغاماً أن يتخالطوا .. ويتزاحوا .. ويتزاحوا .. ليلاً ونهاراً .. حتى يود أحدهم لو يزحزح عن صاحبه ولو إلى النار !!

من طول ما سئم رؤيته .. ومل صحبته .
وأن أضييق الضيق في الصدور .. أن يرغم الإنسان على ما لا يحب .. أو يعاشر من
لا يتفق معه في الميول .

ويدرك .. ويدرك .. ويكشف له الغطاء عن الكثير مما كان يجهل في هذه الحياة ..
من أجل ذلك يدخل الله يوسف السجن .. بتغير ذنب ..
ليكشف له الغطاء .. ويرفع عن قلبه الحجاب ..

ليشعر يوسف بمرارة الاتهام بالباطل .. حتى إذا حكم تجنب أن يتهم أحدا بالباطل .
وليشعر يوسف بالآلام السجين ، حتى إذا حكم من بعد .. عمل على إلغاء هذه السجون
أورفع مستواها .. وتعديل لوائمها الجهنمية .

وليشعر أن أحقر نعمة يؤتاها .. ينبغي تعظيمها .. وتلقبها أحسن التلقاى .. حتى إذا
ما خرج من السجن استقبل الحياة استقبالا جديدا .. بنظرة جديدة .. كلها حب للحياة
وواعب الحياة ..

وليشعر يوسف أن الحرية أغلى من كل شيء .. حتى إذا ما عادت إليه حريته .. عمل على
احترام حقوق الغير .. واحترام حريته ..

وليشعر يوسف أن هؤلاء السجناء .. مساكين لا يشعر بهم أحد في الدنيا .. يعيشون
نسيا منسيا .. حتى إذا خرج يوسف من السجن .. وتولى أمر البلاد .. عمل على العفو
عنهم .. واعطاهم الفرصة للحياة الكريمة مرة أخرى ..

من أجل ذلك .. وما وراء ذلك .. أدخل الله يوسف السجن ..
ليصهره بالآلام الحرمان .. والضيق .. والغربة .. والنذل .. والسخره .. فيخرج
نقيا .. خالصا ..

وجمع الله على يوسف غربتين في هذا الأمر ..
فقد كان من قبل هذا غريبا .. لأهل له في مصر .. وكان يجد في حياته في رعاية امرأة
العزیز وصاحبها .. شيئا من العوض عن فقدته لأهله جميعا ..

ثم هاهو الآن تجتمع عليه غربة جديدة .. فيدخل السجن .. ويعزل عن مجتمع الطبقة
الراقية الذى كان يعزیه شيئاً ما عن غربته ..
غربتان .. تجتمعان على يوسف ..
وتلك ضريبة النبوة .. وتجربتها .. يعانها !!
وآية أخرى ..
أن يوسف دخل السجن وهو البريء مع فتيين ..
أى مع مملوكين .. مثله فى المملوكية .. مستعبدين مثله . قد ذاقا آلام الاسترقاق ..
وذلل الاستعباد ..

ولعل هذا مما أرقع الصداقة بينهم .. وألف بين قلوبهم ..
كأن هذين الفتيين .. فى نفس المستوى الوظيفى الذى كان فيه يوسف ..
فيوسف كان مديراً لقصر الأمير .. وزير الداخلية ..
وهذان .. أحدهما رئيس سقاة فرعون .. والثانى رئيس طعام فرعون ..
نفس المستوى تقريبا ..

ثم ماذا؟ ثم كلمة .. عن الرؤى والأحلام فى حياة السجن ..
لأنها شيء مهم جداً .. فالسجين رجل انقطعت كل أسباب حياته .. أو ألغيت
حياته حين ألغيت حرّيته ، فهناك كبت شديد فى باطنه .. يتحول إلى أحلام ورؤى
فى منامه ..

ولذلك تجد فى حياة السجن سبيل دائم لا ينقطع من الرؤى والأحلام التى تكون
من السجناء ..

ويكونون أشوق ما يسكون إنسان إلى من يعبرها لهم .. ويدلهم على تأويلها ..
لأنها هى الخيط الوحيد الباقى لهم فى الحياة .. ووسيلة الإخبار الوحيدة عندهم !!
ولا يعرف قيمة الحلم .. وتعبير الحلم .. فى حياة السجن .. إلا من عانى تجربة السجن ..

ويقوم من ذلك أن يوسف اشتهر شهرة كبيرة في السجن .. بسبب امتياز به علم التعبير .
وأن المساجين كانوا يهرعون إليه .. ليعبر لهم رؤاهم ..
وأن سلوكه لراق .. وأخلاق النبوة التي كان يتحلى بها في السجن .. رفعت من مقامه
في أعينهم جميعا ..

فليس أوقع من الفعل الجميل في نفس السجين ..

إذ به يعيد إليه الثقة في الحياة .. ويرد إليه الأمل في الناس ..

فشهرة يوسف في السجن .. كانت لسببين ..

أخلاقه العالية جدا .. التي تعتبر شيئا نادرا وجوده في هذا المجتمع المليء بالمذنبين .

وعلم الرؤيا التي آتاه الله تعالى .. وماله من أهمية عند المساجين ...

ثم دأبه على نشر الدعوة إلى الله بكل وسيلة في تلك القلوب الميتة .. اليأسة .. التي

يئست من الله .. ومن الناس ..

فكان دخوله السجن رحمة لهؤلاء جميعا .

ورحمة لنفسه .. أن انكشف لها ما لم تكن تعلم من قبل ..

ورحمة مستقبلة لأهل مصر جميعا .. حين يحكمهم .. فيشعر بالامهم .. وأحلامهم ..

فيسوسهم سياسة الرحمة والشفقة .. والحرية .. والمساواة .. ويتقى فيهم أن يظلم منهم أحدا

بعد أن ذاق مرارة الظلم .. واتهام الأبرياء ..

ثم ماذا .. ثم بين عليه السلام ، لهما بأن مارأياه سهل التاويل ، لوجود مثاله في المنام

وأن له علما فوقه ، وهو أنه يبين لهما كل جليل ودقيق من الأمور المستقبلية ، وإن لم يكن

هناك مقدمة المنام ، حتى إن الطعام الموظف الذي يأتيهما كل يوم ، يبينه لهما قبل إتيانه ،

وأن ذلك ليس من باب الكهانة ، بل من الفضل الرباني لمن يصطفيه بالنبوة ، وهذا معنى

قوله تعالى :

قَالَ لَا يَا تَيْكَمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُ تَيْكَمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَا تَيْكَمَا
ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ .

« قال » قال يوسف .

« لا يا تيكما طعام ترزقانه » يُوزع عايكما ، كتعيين يوى ، كما يوزع على المساجين .
« إلا نبأتكما » إلا أخبرتكما .

« بتأويله » الاذكرته لكم قبل أن يحضر إليكم ، وعينته لكم قبل أن نراه .
بأن يقول : يا تيكما طعام كيت وكيت ، فيجدانه كذلك .

مراده - عليه السلام - بذلك : بيان كل ما يهيمها من الأمور المرتبة قبل وقوعها .
وإنما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقاً في ذلك ، بحسب الحال ، مع ما فيه من
مراعاة حسن التخلص إليه مما استعبراه من الرؤيّن المتعلقة بالشراب والطعام .
« ذلكا » ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات .

« مما علمني ربي » شيء مما تفضل به على ربي ، فعلمني من لدنه ، بالوحي ، والإلهام ،
لامن التكهن والتنجيم .

وفيه إشعار بأن له علوماً جمة ماسمعاها شذرة من جواهرها .

وإنما يكشف لهم من علومه الجليلة ، ما يتناسب مع استعدادهم ليس إلا ..

« إني تركت ملة قوم » المراد بتركه ملة الكفر الامتناع عنها رأساً ..

إني نهذت أسلوب قوم .. طريقة قوم .

« لا يؤمنون بالله » لا يصدقون بالله ، ولا بذاته ، ولا بصفاته ، ولا يوحدونه التوحيد

الحقيقي .. الخالص .

« وهم بالآخرة هم كافرون » منكرون لليوم الآخر .. أشد الانكار ..

اشعاعات

غاب عن الكثيرين أهمية الاخبار بالطعام قبل توزيعه في حياة المساجين .. ونقول هنا .. أن أهم شيء عند المساجين أن تبشرهم ماذا سوف يأكلون ؟ ذلك أنهم مساكين .. لا يجدون شيئاً يؤكل إلا ما يوزع عليهم من طعام محدد .. معلوم ..

وأنه محرم عليهم أن يأكلوا .. أو يجدوا ما يأكلون .. غير المفروض عليهم يومياً .. فإذا وجد الشخص الذي يبشرهم بما سوف يأكلون اليوم .. أو الوجبة القادمة .. فإنهم يفرحون لذلك أشد الفرح .. خاصة إذا بشرهم بوجبة فيها شيء مما يشتهون . وتراهم جميعاً إليه يتطلعون .. في لهفة وترقب !!

ثم ماذا .. ثم في قول يوسف « ذلك كما علمني ربي » اشعاع جميل .. أن يوسف ذو علوم .. واسعة .. علمه الله إياها .

وأن لكل نبي عند ربه فضلاً عظيماً .. يختصه به دون غيره .. وأن يوسف كان ذا إحساس عظيم بفضل الله عليه .

وأن المأساة .. مأساة السجن .. لم تؤثر في روحه المعنوية .. بل كان له من علمه بالله .. ومما علمه ربه .. عالمه الباطن الذي يسعد فيه .. ويرقى إليه .. فلا يشعر بشيء من آلام الظاهر التي في السجن .

وأن يوسف شيء عظيم جداً .. يتشعشع ذلك من قوله « مما علمني ربي » فهناك في قلبه علوم عظيمة مكنونة ..

وأن حلوله - عليه السلام - في السجن كان رحمة لهم جميعاً ..

أشاع في جحيم السجن تياراً من الرحمة عظيماً ..

فتحول السجن إلى دعوة ربانية .. يقوم بالدعاية إليها نبي كريم .. وشخصية

عظيمة .. هي شخصية يوسف ذات المهابة .. والقوة ..

وَآتَبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ
بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَشْكُرُونَ .

(واتبعت ملة « واتبعت طريقة .. وأسلوب ..

« آبائي » أجدادي

« إبراهيم » الذي اتخذته الله خليلاً .. جدي لأبي ..

« وإسحاق » جدي ..

« ويعقوب » أبي ..

« ما كان لنا أن نشرك بالله » ما صح ولا استقام ذلك لنا ، فضلا عن الوقوع ..

وإنما عبر عنه بذلك ، لكونه أدخل بحساب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام ..
والتخصيص بهم ، مع أن الشرك لا يصح من غيرهم أيضاً ، لأنه يثبت بالطريق

الأولى .

أو : المراد نفي الوقوع منهم لعصمتهم .

« من شيء » أي لا نشرك به شيئاً من الأشياء ، قليلاً أو كثيراً ، صنماً أو ملكاً أو

جنياً أو غير ذلك .

« ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس » يعني عدم الإشراك بالله ، وهو التوحيد ،

من نعم الله العامة ، التي يجب شكره تعالى على الهداية لها بالفطر السليمة ، ونصب الدلائل
الأنفسية والآفاقية .

« ولكن أكثر الناس لا يشكرون » ولكن أكثر الناس نبذوا هذه النعمة بعد

ماحق عليهم شكرها .

اشعاعات

من أين ليوسف أن يعرف أن آباءه كانوا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وأنهم كانوا على ملة التوحيد ، وقد بيع صغيرا لا يدرك من أبوه ولا من جده ؟
الجواب .. « ذلك بما علمني ربي » ..

بالوحي .. إنها النبوة .. هي التي تتكلم الآن ..
كشف الله له الغطاء .. فعلمه مما كان .. وما سيكون ..
فهو - عليه السلام - يقرأ من الغيب باذن ربه ..
ولذلك يقول يوسف .. احساسا بتلك النعمة الجليلة .. نعمة النبوة .. « ذلك من فضل الله علينا » ..

أرأيت ؟ .. يوسف يعلو عنده الشعور بالنعمة فيسجله تسجيلا جميلا ..

ومن أوفى بنعمة الله من الانبياء ؟ !

ثم ماذا ؟ ثم فيها نواميس ..

الناموس الأول .. ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ..

هناك استحالة أن يشرك الأنبياء بالله أى شيء ..

انهم عباد لله وحده .. لا يرون سواه .. ولا يثبتون وجودا الا له .. فستحيل أن يكون منهم اى شرك بالله .

وتلك قمة قم التوحيد .. التي لا يرق إليها الا اياهم ..

هم فى أعلى عليين من ادراك حقيقة التوحيد ..

انكشفت لهم الحقائق .. فادركوا من الحق ما لم يدرك سواهم ..

وذلك اعلى انواع التفضل التي يمكن أن يتفضل الله بها على بشر .. « ذلك من فضل

الله علينا » ..

الناموس الثانى .. « وعلى الناس » .. إن الناس جميعا يدعوم الله تعالى إلى ذلك ..

لهرقوا فى معاريحها قدر طاقتهم .. فيمسسهم فضله .. ويرتفع بهم إلى منتهاه ..

الناموس الثالث .. «ولكن أكثر الناس لا يشكرون» .. أن أكثر الناس لا يريدون هذا الفضل .. ولا يرغبون فيه .. ولا يحسون أنه نعمة .. ويعرضون عنه اعراضا كبيرا .
لماذا ؟ .. لأنهم يكفرون بالموضوع من أساسه ..

يكفرون بفكرة التوحيد الخالصة .. ولا يطبقونها .. فكيف يشكرون شيئا لا يحسون له بقيمة في أنفسهم؟!
هناك استحالة ..

الناموس الرابع .. أن يوسف يرى أن اعظم الفضل .. أن يفضل الله على عبد فيعرفه تلك العلوم العليا .. علوم العلم بالله .. وادراك حقيقة التوحيد الخالصة .
ومارآه يوسف .. هو ما يراه الانبياء جميعا .

وهو الحق .. لأن الانسان كلما ازداد علما بالله .. كانت فكرته عن الأمور أشمل وأكمل ، وحكمه عليها ادق واحكم .

-- ٣٩ --

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

« يا صاحبي السجن ، يا صاحبي في السجن .. يا صديقي .. »

« أرباب متفرقون خير » أرباب شتى تستعبد الناس خير لهم .

« أم الله الواحد القهار » أم أن يكون لهم رب واحد قهار لا يغالب ؟

وفي قوله : (أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ) إشارة إلى ما كان عليه أهل مصر اعهدده - عليه

السلام - من عبادة أرباب شتى .

قالوا : كما أن مصر كانت تغلبت في العلوم والسلطة ، كذلك في عبادة الأصنام ، فإن أهلها فاقوا كل من سواهم في الضلال ، فكانوا يسجدون للشمس والقمر والنجوم والأشخاص البشرية والحيوانات ، حتى الهوام وأدنى حشرات الأرض .

وقالوا: « دلت الآية على أن الشرع كما جاء مطالباً بالاعتقاد ، جاء هادياً لوجه الحسن فيه .

« وذلك أن هذه الآية تشير إشارة واضحة إلى أن تفرق الآلهة يفرق بين البشر في وجهة قلوبهم إلى أعظم سلطان يتخذونه فوق قوتهم .

« وهو يذهب بكل فريق إلى التعصب لما وجه قلبه إليه .
وفي ذلك فساد نظامهم كما لا يخفى .

« أما اعتقاد جميعهم بالله واحد ، فهو توحيد لمنزاع نفوسهم إلى سلطان واحد ، يخضع الجميع لحكمه ، وفي ذلك نظام أخوتهم . وهي قاعدة سعادتهم .

« فالشرع جاء مبيناً للواقع في أن معرفة الله بصفاته ، حسنة في نفسها ، فهو ليس مُحدثاً الحسن . »

اشعاعات

فيها ناموس عظيم .

هو « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد » .

يؤكد هذا الناموس أن فكرة تعدد الآلهة فكرة باطلة .

وأن الله يتحتم أن يكون واحداً .

لماذا ؟ الجواب هو آخر كلمة في الآية .. « القهار » .

لأن الله قهار .. يقهر كل شيء . ويخضعه لسلطانه .. فمن الحتم التوجه إلى مصدر القوة والتسلط الحقيقي .. إلى الله .

فهما عبد الإنسان من شيء من دون الله .. فإن هذا الشيء مربوب لله . خاضع لسلطانه مقهور تحت جبروته .. فهو لا يملك لنفسه شيئاً .. فمن العبث أن يعبد الإنسان شيئاً هذا حاله من الضعف ..

وأن من الخير للإنسان أن يتجه إلى ذلك الإله الواحد .

وأنهم بذلك إنما يتجاوزون مع الناموس الطبيعي . . والفطرة التي فطرهم الله عليها .
وأبعد ما يسكن الإنسان حين يتلاقى سلوكه . . واتجاهه . . مع فطرته !!

-- ٤٠ --

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

« ما تعبدون من دونه » ما تعبدون من دون الله . . ما تعبدون متجاوزين عبادته تعالى
« إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم » يعني أنكم سميتم ، مالا يستحق الإلهية آلهة ، ثم
طفقتم تعبدونها ، فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لامسميات تحتها .

« ما أنزل الله بها من سلطان » من حجة تدل على صحتها .

« إن الحكم » في أمر العبادة والدين .

« إلا لله » لأنه مالك ، وهو لم يحكم بعبادتها لأنه . .

« أمر ألا تعبدوا إلا إياه » لأن العبادة غاية التذلل ، فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة

« ذلك » ذلك التوحيد الدال على كمال عظمة الله ، بحيث لا يشاركه فيها غيره .

« الدين القيم » الدين الحق المستقيم ، الثابت .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » أي لجهلهم ، ولذا كان أكثرهم مشركين .

قالوا: لا يخفى أن قوله تعالى: (قال لا يأتيكما طعام) إلى هنا ، مقدمة لجواب سؤالها

عن تعبير رؤياها ، مهد - عليه السلام - بهاله ليدعوها إلى التوحيد ليزدادا علما بعظم شأنه ،

وثقة بأمره ، توسلا بذلك إلى تحقيق ما يترخاه من هدايتها ، لاسيما وأن أحدهما ستعاجله

منيته بالصلب ، فرحا أن يختم له بخير .

اشعاعات

كل شيء يعبد من دون الله إنما هو وهم من الاوهام .. التي لا حقيقة لها .
لقوله « ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها » . اوها ما اخترعتموها .. وتخيلتموها ..
وتصورتموها ثم عبدتموها
والإنسان عبد أو هامه دائما .. يتوهم ما لا وجود له .. ثم ينتهي به الأمر إلى عبادة
ذلك الوهم !!
في قوله « إن الحكم إلا لله » .. فيها ناموس عظيم .. إن الدين الحق هو ما شرعه الله ..
لا ما وضعه الناس .
لأن الله هو مالك هذا الملك .. والحكم لا يكون إلا لمن ملك .
فماذا شرع الله لعباده .. الذين يملكهم ؟
« أمر ألا تعبدوا إلا إياه » .. أمر ألا يعبد شيء سواه .
وهذا منطق طبيعي .. إله .. خلق خلقا .. فمن حقه أن يأمرهم بما شاء منهم .
فكان أمره إليهم .. لاتعبدوا إلا إياي .
ومن عجائب توافق رسالات الرسل جميعا .
أن يوسف عليه السلام يقول « أمر ألا تعبدوا إلا إياه » ..
ثم يأتي محمد صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان .. ويعلن نفس الناموس ..
« إياك نعبد .. وإياك نستعين » !!
وهكذا .. تتحد رسالاتهم .. ولن تجد لسنة الله تبديلا .
وفيها أن عبادة الله وحده .. هو الدين القيم .. المستقيم .
وأن أى اتجاه آخر غير هذا .. انحراف .. وضلال بعيد ..
وفيها أن الأغلبية العظمى من الناس لا تعلم هذه الحقيقة البسيطة .. حقيقة التوحيد .
وتنصرف عنها لجهلهم بها دائما ..

وهذا واضح جداً .. لو ألقينا نظره شاملة على الكرة الأرضية الآن .. ثم تفكرنا كم
من سكانها يدين بعقيدة التوحيد الخالصة ؟

قليل .. قليل جداً !!

-- ٤١ --

يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَاسِقٌ رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ
فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ .

« يا صاحبي السجن » يا صديقي في السجن .
« أما أحدكما فيسقى ربه خمرًا » أما أحدكما فيخرج من السجن ويعود إلى ما كان عليه
من سقى سيده الخمر .

« وأما الآخر فيصلب » فيحكم عليه بالإعدام ، ويقتل ، ويعاقب على خشبة .

« فتأكل الطير من رأسه » فتأوى الطيور وتنقض على لحم رأسه وتأكل منه .

« قضى الأمر الذي فيه تستفتيان » قطع ، وتم ، ما تستفتيان فيه .

يعنى مآله ، وهو نجاة أحدهما ، وهلاك الآخر .

والتعبير عنه بـ (الأمر) وعن طلب تأويله بـ (الاستفتاء) تهويلا لأمره ، وتفخيما
لشأنه ، إذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشككة للحكم ، المهمة الجواب .

وإيثار صيغة الاستقبال ، مع سبق استفتائهما في ذلك ، لما انهما بصدده ، إلى أن يقضى

— عليه السلام — من الجواب وطره .

أو قضى الأمر الذي فيه تستفتيان . بمعنى : فرغ من أمركما .. عند أهل السلطة ..

وصدر حكمهما بشأنكما .. أن يقتل أحدكما صلبا .. ويبرأ الآخر ويفرج عنه فورا ..

أى : انتهى الأمر .. وصدر الحكم .. ولا رجعة فيه .. أحدكما سوف يقتل .. والآخر

سوف يفرج عنه فورا ...

اشعاعات

فسر يوسف - عليه السلام - لهما رؤياهما .
فكان تفسيره بشرى بالإفراج عن أحدهما .. وخروجه من السجن .. وعودته إلى
عمله كما كان في القصر الملكي .. رئيساً للسقاة ..
بينما كان تفسيره صاعقة انقضت على رأس الآخر .. قبل أن تنقض عليه الطيور تأكل
من رأسه ..

ذلك أنه أخبره أنه سوف يقتل صليبا .. وتعلق جثته .. وتمشه الطيور الجارحة !
والآية تدل على أن يوسف كان يخاطب رجلاً محكوماً عليه بالإعدام ..
أي رجلاً لا أمل له في شيء في الحياة .. وإنما ينتظر الموت .. في كل لحظة ..
ولعل هذا هو ما جعل يوسف يواجهه بالحقيقة .. لينقذه من ضلاله في آخر لحظة
من حياته .
فرجل كهذا .. أغاب الظن أنه ارتكب جريمة القتل العمد .. لذلك كانت عقوبته
القتل صليبا ..

فهو رجل مجرم ... شديد الإجرام ..
يضاف إلى ذلك صدور الحكم عليه بالإعدام صليبا .. فهو رجل يائس من أي خير .
يضاف إلى ذلك أنه رجل كافر .. لأنه لا يعرف الله .. وإنما يعبد أوهاماً ..
اجتمعت عليه ظلمات ثلاث ... بعضها فوق بعض .
ظلمة الإجرام .. والإسراف في الإجرام .. وظلمة اليأس من الحياة .. وظلمة الكفر
بالله .. والانحراف عن طريقه ..

فمثل ذلك الرجل لا بد لإيقاظه من قوارع تصك كيانه وتهزه هزاً عنيفاً ليستيقظ ..
وهذا ما فعله يوسف - عليه السلام - قذفها في وجهه « وأما الآخر فيصلب » سوف
تقتل أيها الرجل ..

كلمة رهيبية .. أن تقول لإنسان ينتظر مصيره الرهيب في السجن « سوف تقتل » ..
ولكن يوسف صمكه بها ليوقظه .. ليخرجه من ظلماته ..
ثم زاده قرعا .. « فتأكل الطير من رأسه » !
يالها من قارعة .. يربع لها المجرم رعبا شديدا ..
كل ذلك لتنهار معنويات الرجل ، ويستسلم لأى يد تمتد لتنقذه مما هو فيه ..
وقد كان ... وامتدت يد يوسف - عليه السلام - لتخرجه من ظلمات الإجرام
والياس والكفر .. إلى نور الإيمان بالله .
ومثل هؤلاء .. الذين يكونون في انتظار تنفيذ حكم الاعدام فيهم .. هم أقرب الناس
إلى الاستجابة للحق إذا دعوا إليه ..

تعريفهم حالة تصوف عالية جدا ..
لأنهم عاينوا الحقيقة .. وأصبحوا على حافة الآخرة !!
في قوله « قضى الأمر » .. نبوءة ليوسف - عليه السلام -
أى أن الافراج عن الاول .. والحكم باعدام الآخر ..
قد تقرر .. وصدرت أحكامه .. وهو في طريقه إلى التنفيذ ..
وذلك لا يكون علمه .. إلا بوحى يوحى !

-- ٤٢ --

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ
ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .

« وقال » وقال يوسف ..

« للذى ظن » للذى أيقن، وتأكد له ..

« أنه ناج منهما » للذى علم نجاته من التئيبين ..

أى خلوصه من السجن والقتل .. وبرأته منهما ، وهو الساقى ..

« اذكرنى عند ربك » اذكر حالى وصفتى ، وعامى بالرؤيا ، وماجرى على ، عند الملك سيدك ، عسى يخلصنى مما ظلمت منه .
اشرح قصتى ومظلمتى للملك .. فانت تخلو به كثيرا ..
قل له هناك رجل اسمه يوسف ، مظلوم فى السجن .. كان معى .
وليس له من جريمة إلا أنه أبى أن يأتى امرأة العزيز .. زوجة وزير داخليةك .. فلفقوا له التهم ظلما .. وقذفوه إلى السجن ..
اكشف يا صاحبى الملك حقيقة أمرى .. لعله يخرجنى من سجنى ..
« فأناشاه الشيطان ، فأناشى الشيطان .. يوسف .. »
« ذكر ربه » ذكر ربه الذى خلقه ، وابتلاه بالسجن لحكمة يريد بها ..
« فابث » فكث .
« فى السجن بضع سنين » عدد سنين .. سبع سنين ..
زيادة تربية له .. لما كان منه ..

اشعاعات

فى هذه الآلية انوار تتعالى .. وتماوج بعيدا ..
قال مرة « اذكرنى عند ربك » ..
ومرة « فأناشاه الشيطان ذكر ربه »
أما الرب فى الأولى .. فهو فرعون .. الذى يملك العفوعه .. ويملك اخراجه من السجن ..

وأما الرب فى الثانية .. فهو الله .. الذى يملك فرعون ، وأسباب فرعون .
وكان درسا قاسيا .. أدب يوسف أحسن تأديب ورباه أعلى تربية .. شىء طبيعى جدا .. أن يقول المسجون لزميله فى السجن .. الذى تقرر الافراج عنه .. وخروجه إلى الحياة .. خصوصا إذا كان هذا المفرج عنه ذا منصب رفيع .. مديرا للبروتوكول ..

أوصى يوسف صاحبه أن يذكر قصته عند الملك .. عسى أن يأمر الملك بإخراجه من السجن .

شئ طبيعي هذا .. أن يسعى رجل مظلوم إلى رفع الظلم عن نفسه ..
ولكن هذا يكون مباحا .. بل مطلوباً .. ممن هم دون مقام يوسف ..
أما يوسف .. فله مقام آخر عند الله ..

إنه من عبادنا المُخْلِصِينَ .. ومثل هؤلاء لا يرضى الله لهم إلا إسقاط الأسباب والتوجه
المباشر إليه .. هنالك يتولاهم هو .. ويخرجهم من السجن هو ..
من أجل ذلك كان الرد عنيفا .. والمؤاخذة أشد ..
أوصى يوسف الرجل أن يذكره عند ربه ..

فماذا حدث ؟ .. خرج الرجل .. وانهمك في مسئولياته .. ونسى أن يذكر قصة
يوسف للملك ..

وكانت النتيجة أن قضى يوسف سبع سنين في السجن .. يصلى سعيها ..
إنه مقامهم ..

لا يرضى منهم .. الامارضية لابراهيم حين عرض له جبريل .. وهو يلتقي في النار ،
فقال - ألك حاجة يا ابراهيم ؟ .. قال : أما ليك فلا !!!

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ
سُدُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخْرَى يَا أَبِيسَاتِ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ
لِلرُّؤْيَا تَعْبِرُونَ .

« قال الملك ، وقال فرعون ملك مصر .. لمن حوله من الكبراء والمسؤولين .
« إنى أرى » فى المنام .

«سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف» كأن سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات عجاف ، أى هالكات من الهزال .

جمع عجفاء ، بمعنى المهزولة ، ضد السمينة .

« وسبع سنبلات خضر » ورأى رؤيا ثانية كأن سبع سنبلات ..

« وأخر يابسات » أى وسبعا أخر يابسات دقيقة ، أى نبتت وراءها ، فابتلعت

السنابل الخضر المثلثة .

ولما استغنى عن عددها وإعدامها للخضر ، للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات لأنها

نظيرتها ..

« يا أيها الملا أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون » يأيها الأمراء والكبراء

أفتونى فى منامى إن كنتم المنام تفسرون .

خطاب للأشرف من قومه ، وللعلماء من مملكته .

وكان دعا ، اثر استيقاظه ، سحرة مصر وحكامها ، وعلماءها ، وقص عليهم رؤياه هذه ..

قَالُوا أَضْعَافٌ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ .

« أضغاث أحلام » تخاليط أحلام .

جمع ضغث . وفى الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحُزِمَ ، ثم استعير لما تجمه

القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان ، وتربها فى المنام .

و (الأحلام) جمع (حلم) وهو ما يراه النائم ، فهو مرادف للرؤيا ، إلا أنها غلبت

فى رؤيا الخير ، والشئ الحسن ، وغلب الحلم على خلافه . وفى الحديث : الرؤيا من الله ،

والحلم من الشيطان .

والمراد بالجمع فى (الأحلام) ما فوق الواحد ، لأنها حلمان ، رأى كل واحد منها

اثر استيقاظه منه ، كما روى .

« وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين » وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .. وإنما التأويل للرؤيا الصادقة ..

أى : ولاتأويل للأحلام الباطلة ، فنكون به عالمين ..
وقول الملك لهم أولا : (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها . لأنه أتى بكلمة الشك ، وجاء اعترافهم بالقصور مطبقا لشك الملك الذى أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا .

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ .

« وقال الذى نجا منها » وقال الذى نجا من صاحبي السجن ، وهو مدير الشراب .. وهو الساقى .

« وادكر بعد أمة » وتذكر بعد مدة وكان تذكره على ماروى بعد بضع سنين .
« أنا أنبئكم بتأويله » أنا أخبركم بتفسيره ، بالتلقى عن علمه ، لامن تلقاء نفسى .
ولذلك لم يقل : أنا أنبئكم فيها .
« فأرسلون » فابعثونى إلى يوسف ، وإنما لم يذكره ، ثقة بما سبق من التذکر ..

يُرْسِفُ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُفْبَلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلَّ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ .

« يوسف » فذهب إليه فى السجن ، فقال : يا يوسف ا
« أيها الصديق » يامن عرفنا صدقك فى كل أحوالك ..

و ذات الأيام على صدق ما أولت لنا من أحلام رأيناها وقصصناها عليك ..
يوسف .. أيها الصادق .. العظيم ..
« أفتنا » أول لنا تأويلا مريعا ..

« في ببع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » .. لقد رأى الملك رؤيا عجيبة ... رأى
كأن سبع بقرات سمان .. عظام الجثة .. يخرجن من النهر ... ثم جاء من بعدهن سبع
بقرات مهزلات .. خرجن من النهر .. وابتلعنهن ابتلاء ..

« وسع سنبلات - خضر وأخر يابسات » كما رأى الملك رؤيا ثانية .. كأن سبع سنبلات
خضر .. يأكلن سبع سنبلات يابسات ..
أفتنا أيها الصديق في هاتين الرؤيتين ..

فإن الملك قد جمع عظام دولته .. وسألهم تعبير ما رأى .. فلم يستطيعوا له جوابا ..
« لعلى أرجع إلى الناس » وإني لأرجو أن أعود إلى الملك والذين اجتمعوا من
حواله .. يعا ..

« لعالمهم يعلمون » وإني لأرجو أن أخبرهم بتفسيرك .. وأرجو أن يعلموا بسبب
ذلك تفسير ما رأى الملك .. وبالتالي يعرفون فضلك وعلمك وبراءتك ونزاهتك ..
فيعيدوا النظر في حكمهم عليك بالسجن .. ويخرجوك منه اخراجا كريما ..

اشعاعات

يوسف ١٤

فيها اشارة لطيفة .. إلى ما كان من شوق ولهفة في ذلك اللقاء ..
وكم يكون رقيقا .. ومؤثرا .. لقاء الأحبة .. بعد غيبة طويلة ١٤
فكيف .. وهذا الرجل الذي نجا .. إنما توثقت الصداقة بينه وبين يوسف وهما في
السجن وتوطدت .

وها هو يعود إلى السجن بعد سنين .. ليرى يوسف .. مازال في بلائه ..

يعانى اذلال السجون وآلامها .. بينما هو فى عزه الحرىة ولذائذها .
كان لقاء مؤثرا ..

وكان لهذا اللقاء رد فعل عنيف فى نفس الرجل ..

حين جىء ييوسف فى اذلال السجين .. إليه ..

فما أن رآه .. حتى تلقاه فى تأثر بالغ .. وهتف به : يوسف !!؟

ثم ازداد تأثره ..، وانفجرت عيناه بالبكاء ،، لما يرى من اهانة يوسف .. وهو يعلم
أله خير الناس .. وأعلمهم .. وأحكمهم .. وأنزههم ..

فهتف به أيها الصديق .. أيها العظيم يوسف .. أيها الصادق فى كل شىء ..

أيها المتبلى من أجل صدقتك .. ولو كنت من الكذابين الخادعين ما دخلت السجن

ولا ابتليت ..

فماذا كان من العظيم ؟

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ .

« قال » قال يوسف لصاحبه .

« تزرعون سبع سنين دأبا » - دائبين مواظبين كل عام منها ..

« فما حصدتم » فما حصدتم من الزرع ..

« فذروه فى سنبله » فلا تدرسوه ، وإنما اتركوه فى سنبله ، فانه أبقى له وأحفظ ..

« إلا قليلا مما تأكلون » ويستثنى من ذلك قدر ما تستهلكون سنويا .. قدر ما يأكل

اشعاعات

ما هذا ؟ .. هذا يوسف .. عليه السلام .. يتلأأ .. وهذا ما آتاه ربه يتجلى ..
وحين يأذن الله تعالى لفضله أن يظهر .. يكون منه العجب ..
إن يوسف يقرأ من صفحة الغيب .. يطالع فيها ويتلو .. كأنما قد نشرت له السنون
القاديات .. ورأى جزئياتها ..

وتفصيلاتها .. فجعل يتحدث بتفصيل ما سيكون ..
تزرعون سبع سنين .. سيكون النيل فيها مرتفعا .. والخير عميما .. والمحاصيل عظيمة
نامية .. سبع سنين متواليات .. تدأبون أيها المصريون فيها .. على الزراعة .. وتتوافر
لكم فيها كميات هائلة من القمح والشعير وغيره من المحاصيل .
ثم ماذا ؟ .. ثم يخطط يوسف لهم .. التخطيط الواجب أن يسبروا عليه في تلك السنين
السمان ..

فما حصدتم فذروه في سنبله .. فما جمعتم من القمح والشعير .. والفول والذرة ..
فذروه في سنبله .. فدعوه .. في سنبله .. في أغلافه .. كما هو .. فيما عدا ما يخصص
للاستهلاك السنوي للشعب ..

فما معنى هذا ؟

معناه أن علوم النبوة التي آتاها الله يوسف .. واختصه بها .. قد تفجرت .. وجاء حينها ..
معناه أن الله يسوق بدايات التمكين ليوسف في الأرض .
وأن الله .. وإن ألقى يوسف في السجن .. ولكنه تعالى يرعاه .. ويتولاه .. ولا ينساه

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا يُخَصِّصُونَ .

« ثم يأتي من بعد ذلك » ثم يأتي من بعد السنين السبع المذكورات .
« سبع شداد » سبع سنين صماب على الناس ؛ لقوة القحط ...

ثم يستمر انخفاض الفيضان .. سبع سنين متتابعات .. حتى تكون شدة .. وتنخفض
المساحات المزروعة .. لقلة المياه ... وتكون مجاعات ..
« يأكلن ما قدمتم » يستهلكن ما ادخرتم ..
يأكلن ما دفعتم لمن من الحبوب المتروكة في سنا بلها .

ولما عبر عن البقرات بالسنين ، نسب الأكل إلى السنين ؛ كما رأى في الواقعة البقرات
يأكلن حتى يحصل التطابق بين المعبر وهو المرئي في المنام ، والمعبر به ، وهو تأويله .
« إلا قليلا مما تحصنون » مما تحرزون وتخبثون للزراعة .

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ :

« ثم يأتي من بعد ذلك » ثم يأتي من بعد السنين السبع الشديدة ، التي استهلك
جميع ما ادخره الناس من حبوب ..

« عام » سنة مباركة ، كثيرة الخير ، غزيرة النعم .

« فيه يغاث الناس » فيه يمطرون من الغيث ... أى تسقط فيه أمطار غزيرة في منابع
النيل ... فيأتي فيضان عال جدا ... يغمر الأراضي كلها ... وتزدهر البلاد بالخصب
والمحاصيل الوفيرة ...

أو تسقط أمطار غزيرة على البلاد المصرية نفسها .. تعوض الناس ما كان من انخفاض
مياه النيل .

أو : يغاث الناس من القحط والمجاعات .

أو : يرفع عنهم مكروهه .. من الفوئ ..

« وفيه يعصرون » ما كانوا يعصرونه على عاداتهم ، من عنب ، وزيتون ونحوها ..
وقيل : معنى (يعصرون) يملبون الضروع .
واللفظ بعموم معناه يشمله ، لأن الحلب فيه عصر الضرع ليخرج الدر .
قالوا : تأول البقرات السماء ، والسنبلات الخضر بسنين مخصيب ، والمعجاف ،
والياسات بسنين مجدبة ، ثم بشرهم أبعده الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء
مباركا خصيبا ، كثير الخبز ، غزير النعم ، وذلك جهة الوحي .

اشعاعات

وهكذا .. انفجرت النبوة عيوننا .. وانطلقت إشعاعاتها ذات اليمين وذات الشمال !!
الرجل يستفتى يوسف - عليه السلام - في تعبير رؤيا الملك .. فيفسر له الرؤيا
الأولى والثاني
ثم لا يقف عند هذا الحد .. بل ينبئهم بما سيكون بعد تلك السنين الأربعة عشر ..
ستأتي السنة الخامسة عشر سنة رخاء وسخاء ..
أمطار غزيرة في بنايع النيل .. تجري منه فيضانات مرتفعة جدا في النيل ..
وأمطار غزيرة على سائر البلاد .. تخضر لها الأرض وتهتز ..
ويبلغ من ازدهار الزراعات والبساتين في البلاد ..
أن العنب يكثر جدا .. ويزيد عن استهلاك المصريين .. فلا يجدون أمامهم إلا أن
يعصروه .. ويختزنوه ، وكذلك سائر المحاصيل .. من المواكح .. كالبرتقال وازيتون ..
تزيد عن استهلاك الشعب .. فيعصروها .. ويختزنوها .. نراباً .. أو زيتا .. أو غير
ذلك ... من أفانين الاختزان ..

عام .. سوف يعوض الناس ما كان من قحط وشدة طيلة السنين السبع الشداد ..
فما معنى هذا ؟

إن الرجل لم يكن يطمع في أكثر من تفسير رؤيا الملك ..

فإذا بيوسف يفسر له الرؤيا ...
بل يخطط للدولة كلها وهو في سجنه وبلائه .. ما ينبغي عليهم أن يفعلوه ليقفوا آثار
الجماعة الممتدة سبع سنين شديدة ..
ثم ليس كذلك .. بل يبشرهم جميعاً .. بما سيكون بعد ذلك من رخاء عظيم ..
ثم لا يقف عند هذا .. بل يبلغ به الأحكام .. أن يحدد لهم كل شيء تحديداً ..
إنها النبوة تتفجر .. « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها .. »
لقد كانوا رحمة .. وأى رحمة ؟ !

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ
فَأَسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ .
وذهب الساقى فرحا إلى الملك ، وقص عليه ، وعلى من حوله ، ممن ينتظرون .. تفسير
يوسف للرؤيتين .. ثم أثار دهشتهم جميعاً .. حين أخبرهم بنبوءته بما سيكون في العام
الخامس عشر .. من ارتفاع البلاء .. ونزول الأمطار .. وانتشار الرخاء ..
وأحس الذي رأى على الفور .. أحس الملك أن ذلك التعبير .. وذلك التنبؤ ..
لا يمكن أن يكون إلا من رجل عظيم .. أو نبى كريم .. فأصدر أمراً ملكياً على
الفور ..

« وقال الملك ائتنى به » أخرجوه من السجن فوراً ، وأحضروه إلى ..
لتذهب قوة فوراً .. وتحضره عندى على الفور ..
« فلما جاءه الرسول » فلما جاءه رسول الملك يستدعيه إلى الملك ..
« قال » قال يوسف له :

« ارجع إلى ربك » ارجع إلى سيدك الملك
« فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن » أى ما شأنهن وخبرهن ؟

أمره بأن يسأله ويستفهمه عن ذلك .
ولم يكشف له عن القصة ، ولا أوضحها له ، لأن السؤال مجمل ، مما يهيج الملك على
الكشف والبحث والاستعلام ، فتحصل البراءة .
وإنما كان السؤال المجمل يهيج الإنسان ويحركه للبحث عنه ، لأنه يأنف من جهله
وعدم علمه به .

ولو قال : سله أن يفش عن ذلك ، لكان طلباً للفحص عنه ، وهو مما يتسامح
ويتساهل به ، وفيه جرأة عليه ، فربما امتنع منه ، ولم يلتفت إليه .

قالوا : إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك ، وقدم سؤال النسوة ، لتظهر براءة ساحته
عما قرف به وسجن فيه ، لئلا يتساق به الحاسدون إلى تقييح أمره عنده ، ويصلوه سلماً إلى
حط منزلته لديه ، ولئلا يقولوا : ما خلد في السجن إلا لأمر عظيم ، وجرم كبير ، حق به
أن يسجن ويعذب ، ويستكف شره .

وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقعها .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره ، والله يغفر له ،
حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ، ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن
يخرجوني . ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال (ارجع إلى ربك) ، ولو كنت
مكانه ولبثت في السجن ما لبثت ، لأسرعت الإجابة ، وبأدرتهم الباب ، ولما ابتغيت العذر .
[رواه عبد الرزاق في مصنفه مرسل عن عكرمة]
إن كان حلماً ذا أناة .

وقد روى في المسند ، والصحيحين مختصراً ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » .

قالوا : مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الأناة ، وكان في طي هذه المدحة
بالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الوهم أنه همّ بامرأة العزيز هما يؤخذ به .
لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه ، وهو الخروج من السجن ، مع أن

الدواعى متوفرة على الخروج منه ، فالآن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم ، أولى وأجدر .

قالوا : وإنما لم يتعرض لامرأة العزيز ، مع مالتى منها مالتى ، من مقاساة الأحران ، محافظة على مواجب الحقوق ، واحتراماً عن مكرها ، حيث اعتقدها مقيمة فى عدوة العداوة . وأما النسوة فقد كان يطعم فى صدعهن بالحق ، وشهادتهن بإقرارها بأنسا راودته عن نفسه فاستعصم ، ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الأيدى ، ولم يصرح براودتهن له ، وقولهن (أطمع مولاتك) واكتفى بالإيماء إلى ذلك بقوله : « إن ربى بكيدهن عليم » . وفى إضافة علمه إلى الله إشارة إلى عظمه . وأن كنهه غير مأمول الوصول إليه ، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . وفيه تشويق وبعث على معرفته ، فهو تنميم لقوله (أسأله) الخ . ودلالة على أنه برىء مما قرف به ، للاستشهاد بعلمه تعالى عليه . وفيه الوعيد لمن على كيدهن . وأنه تعالى مجاز عليه .

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ .

« قال ما خطبكم إذ راودتن يوسف عن نفسه » استئناف مبنى على السؤال ، كأنه قيل : فماذا كان بعد ذلك ؟ فقيل : قال الملك : ما خطبكم - أى شأنكم - إذ راودتن

يوسف يوم الضيافة ؟ يعنى : هل وجدتن منه ميلا إليك ؟

« قلن حاش لله » تنزيه لله تعالى .. سبحان الله ...

« ما علمنا عليه من سوء » من قبيح .

ما صدر عنه ولو أقل القليل من الفعل السيء ... إنه إنسان كامل .

« قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق » الآن ثبت واستقر الحق وظهر بعد خفائه .

« أنا راودته عن نفسه » أنا أعترف أنى أنا التى راودته عن نفسه وليس هو .
« وإنه لمن الصادقين » فى قوله هى راودتى عن نفسى .
قالوا: ولا مزيد على شهادتهم له بالبراءة والنزاهة .. واعترافهن على أنفسهن ، بأنه
لم يتعلق بشىء مما قرفته به ، لأنهن خصومه وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو
على الباطل ، لم يبق لأحد مقال ..

اشعاعات

ما معنى هذا؟ وكيف تأتى للملك أن يجمع هؤلاء النسوة جميعا؟
يفهم من تسلسل الحوادث .. إما أن يوسف قد أخبر الرسول بتفصيل قصتهن ،
وأسمائهن ، وما حدث منهن ، وطلب إليه أن يروى للملك الحقيقة كاملة .. فذهب الرسول
إلى الملك ، وقص عليه كل ما كلفه به يوسف - عليه السلام - فأرسل الملك إليهن جميعا ،
بما فيهن امرأة العزيز ..

ثم تولى الملك التحقيق بنفسه معهن . وواجههن بالحقيقة .. فاعترفن لنورهن جميعا ،
فلما رأت امرأة العزيز أنهن قد أجمعن على براءته ..
لم تجدد بدا من الاعتراف هى الأخرى فاعترفت : أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن
الصادقين .

هذا احتمال هو عندى الأقوى والأولى .

واحتمال آخر ... لا بأس به ... قضية يوسف كانت قضية مشهورة عند الملك
والشعب ...

وأنها نظرت أمام القضاء ملققة على أن يوسف قد راود امرأة العزيز عن نفسها ، وأنها
دفعته عنها ، وتلك جريمة كبرى أن يجترىء مملوك على سيدته إلى مثل ذلك الحد ..
وانه أنهم تلفيقا كذلك باتهام أشد .. هو أنه حاول أن يعتدى على المدعوات فى حفل
امرأة العزيز الساهر كذلك ..

وأنهى جميعاً وعلى رأسهن امرأة العزيز .. اشتكين مما حدث منه ..
فكان أن قبض عليه ... وأودع السجن رهن التحقيق ... في جريمة شروع في الزنى
بأمرأة العزيز ومدعوات امرأة العزيز !!!
ثم رفعت القضية إلى القضاء .. وكان الحكم بسجنه سجنًا مؤبدًا !!

تلفيق .. فى تلفيق .. فى تلفيق ..

واستغل العزيز سلطاته .. فى التأثير على القضاء ..

واستصدر هذا الحكم منهم .. وأذيع الحكم على الشعب ..

وكان ذلك المكر منهم جميعاً انعطية الفضيحة فى البلاد ..

حيث قد شاع وذاع أن امرأة العزيز تراود فتاها ..

ثم شاع وذاع أن النسوة كذلك تراود يوسف عن نفسه .. وهو يستعصم منهن جميعاً ..

فلم يكن بد من تغطية ذلك كله .. بان تصور الأمور على العكس من ذلك وإيهام

الشعب أن يوسف هو المعتدى .. وأنه سوف يلقي جزاءه الأليم !!

وأن تلك القضية كانت مشهورة بين الناس ، وعلى رأسهم الملك الذى صدق على

الحكم بسجنه ..

وأن الملك كان ممن خدع بذلك التلفيق الذى لعقوه ورفعوه إليه على أنه حقيقة ..

فلما رفعوه إليه صدق على الحكم وهو يعتقد أن يوسف آثم أثيم !!

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْتِمْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِنِينَ .

« ذلك » تقول امرأة العزيز : ذلك الذى اعترفت به على نفسى .

« اعلم » ليعلم يوسف .

« أنى لم أخنه بالغيب » أنى لم أكذب عليه فى حال الغيبة ، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه .

أو : ليعلم زوجى أنى لم أخنه بالغيب فى نفس الأمر ، ولا وقع المحذور الأكبر ، وإذ راودت هذا الشاب مراودة فامتنع ، فاعترفت ليعلم أنى بريئة .
« وأن الله لا يهدى كيد الخائنين » لا يرضاه ولا يسدده .
وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف .

والمعنى : ذلك التثبت والتأنى والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز أنى لم أخنه بظلم الغيب فى أهله .

أو : ليعلم الله أنى لم أخنه ، لأن المعصية خيانة .

ثم أكد يوسف أمانته بقوله : (وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) وألو كان خائناً لما هدى الله عز وجل أمره ، أى : سدده وأحسن عاقبته .. وفيه تعريض بامرأة العزيز فى خيانتها أمانته ، وبالعزيز فى خيانة أمانة الله تعالى ، حين ساعدها به ظهور الآيات على حبسه .

اشعاعات

فى قولها : ذلك .. ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ..

فيها اعلان لحبها الشديد ليوسف .. وانها لم تستطع أن تكتم أمره عن أحد .. وأنه حريصة على ارضائه فى كل مناسبة ..

إنى اعترف .. لاشيء .. إلا ليصل إلى علم يوسف .. أنى لست بخائنة .. ولسد بمنحلة .. واست بعاهرة .. وإنما أنا أحبه .. وحبه هو الذى حركنى إلى ذلك .. وهأ أفول الحقيقة ارضاء لنفسه .. التى أحب أن تكون راضية عنى !!

إن المرأة قد شغفها يوسف حبا !!

وفيهما كذلك تسجيل لشدة احساس المرأة بجريمتها .. وأنها لفقت تلك التهمة لشاب برىء .. وتسببت في سجنه اعواما بغير ذنب .. فهي تريد أن تخفف من آثار الجريمة .. وتعلن براءته .. ليخرج من ذلك العذاب ..
وأما على التفسير الآخر : ذلك اعلم زوجى أنى لم أخنه مع ذلك للشاب .. ولم أطمئه بالغييب .. من وراء ظهره ..
ففيها براءة من تلك المرأة .. فهي تريد أن يتأكد زوجها من براءتها .. فلا ينظر إليها على أنها امرأة خائبة !!

وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ .

« وما أبرى نفسي » قال يوسف ، لما حصص الحق ، وظهرت براءته . وشهد ببراءته من كل سوء النسوة وامرأة العزيز أمام الملك : وما أبرى نفسي .
أى لا أنزهها من الزلل ، ولا أشهد لها بالبراءة الكلية ، ولا أزيها ..
أراد أن يتواضع لله ، ويهضم نفسه ، لئلا يكون لها مزكيا ، وبحلها في الأمانة معجبا ومفتخرا ، وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده ، وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته .
« إن النفس لأماراة بالسوء » إن النفس البشرية تأمر بالسوء ، وتحمل عليه بما فيها من الشهوات .

« إلا مارحم ربي » إلا مارحم الله من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المساوىء .
« إن ربي غفور » إن ربي يتجاوز دائما للناس عن خطاياهم .. وبسترها عليهم ..
ما استغفروه ..

« رحيم » وذلك لأنه واسع الرحمة ..

اشعاعات

فيها لألاء يوسف .. وانواره المشرقة ...
ففيها نواميس كاملة من تلك النواميس التي لا يدركها إلا من اصطفاهم الله تعالى ..
وآثامهم .. وهداهم ..

الناموس الأول .. وما أبرئ نفسي ..
يعان يوسف - عليه السلام - ناموسا خطيرا جدا .. هو ناموس القمص .
أن كل نفس ناقصة .. مهما كملت أو تكاملت أو كملت .
وإنما هو أمر نسي .. وأن كمال النفوس يتدرج إلى أعلى .. ويصل الانبياء جميعا إلى
أعلى درجات الكمال .. ولكنهم مع ذلك يلحقهم التقصير كغيرهم بحكم بشريتهم .. وإن
فاقوا النفوس جميعا كأنبيا ..

ومهما تكاملت النفوس .. فإن من وراء كمالها كمالا أعلى ..
حتى الأنبياء ..

وفي قول يوسف : وما أبرئ نفسي .. إشارة إلى ذلك الناموس ..

يريد أن يقول ، إن نفسي مقصرة .. ككل نفس بشرية ..
فليس الأمر أمر تواضع .. وإنما هو تقرير حقيقة ..

حقيقة لا يدركها إلا الأنبياء والعلماء ..

الناموس الثاني .. إن النفس لأماراة بالسوء ..

إن النفس البشرية لاتأمر إلا بالسوء .. دائما وأبدا ..!!

لماذا ؟! الأمر بسيط .. لأن النفس .. هي ما نسميه في العصر الحاضر .. بالفرائز ..

غريزة الجنس .. غريزة حفظ النوع .. غريزة التملك .. غريزة تنازع البقاء ..

أو - بلغة الوحى - الشهوات ..

تلك الفرائز ، أو الشهوات ، أو متطلبات الجسد .. أو الدنيا بلغة الشريعة .. شيء

يضاد العلو والسمو دائما ..

الغرائز تريد أن تنحط بالإنسان إلى تحت ..
والوحي يريد أن يرتفع بالإنسان إلى أعلى ..
والإنسان .. بين هذا التجاذب دائما في صراع ..
فالنفس أمارة بالسوء دائما .. دائبة على الاشتهاء .. دائبة على الرغبة في تنفيذ
مائشهى ..

هذا هو الناموس الثانى .. فما الناموس الثالث ؟
« إلا مارحم ربي » .. إلا نفسا اختصها الله برحمة خاصة ..
إلا نفسا زادها الله رحمة من عنده .. آتاها نسبة من الرحمة .. زيادة عما آتى العموم ..
هذه النفس .. هى التى تستثنى من النفوس جميعا ..
لأن الرحمة التى أنزلها إليها .. تنير لها الطريق .. وتعرفها أن الباقي خير من القانى ..
وأن التعالى خير من التسافل .. وأن الارتفاع أحلى من الالخطاط ..
هنالك تستطيع هذه النفس أن تأوى إلى ربها .. وتطمئن إلى جنباه .. وتتغلب على
شهواتها ونزواتها ..

أما سائر الناس .. فعبيد غرائزهم .. « واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » ..
وأما الناموس الرابع .. « إن ربي غفور رحيم » .. ومع ذلك فإن ربي غفور ..
فتتح باب المغفرة على مصراعيه .. ليستغفره الناس .. ويغفر لهم ما كان من نقائصهم ..
الناموس الخامس .. « رحيم » .. بلغ من رحمته أن وسعت كل شىء ..
ما هذا ؟ .. هذه اشعاعات يوسف .. هذه نواميس .. يطلقها يوسف .. ولا يمكن
أن تتأتى إلا لمن كان فى مثل مقام يوسف !

وهكذا .. أعلن يوسف أن النفوس جميعا ناقصة .. عاجزة عن الكمال .. لما ركب
فيها من غرائز تدفع دفعا إلى المعصية .. وأنه لولا أن تداركه الله برحمة منه .. وخصه
بفضل منه .. لهوى كما يهوى الناس جميعا ..

ولذلك قالوا : (وما أبرئى نفسي) أصل فى التواضع ، وكسر النفس ، وهضمها .

قالوا : أخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف ، وما راودته ، وكادته به ، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف ، لصبره وعفته وتقواه ، مع أن الذي ابتلى به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه . فإن موافقة الفعل ، بحسب قوة الداعي ، وزوال المانع ، وكان الداعي ههنا في غاية القوة ، وذلك لوجوه :

« أحدها - ماركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة ، كما يميل العطشان إلى الماء ، والبجائع إلى الطعام ، حتى إن كثيرا من الناس يصبر عن الطعام والشراب ، ولا يصبر عن النساء . وهذا لا يذم إذا صادف حلالا بل يحمده .

« الثاني - أن يوسف عليه السلام - كان شابا ، وشهوة الشباب وحدته أقوى .

« الثالث - أنه كان عزبا لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة الشهوة .

« الرابع - أنه كان في بلاد غربة يتأتى للغيرب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره

في وطنه ، وبين أهله ومعارفه .

« الخامس - أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث أن كل واحد من هذين

الأمريين يدعو إلى موافقتها .

« السادس - أنها غير آبية ولا ممتنعة ، فإن كثيرا من الناس يزيل رغبته في المرأة

إبائها وامتناعها ، لما يجد في نفسه من ذل الخضوع والسؤال لها ، وكثير من الناس يزيده

الإباء والامتناع زيادة حب ..

« السابع - أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد ، فكفته مؤنة الطلب ، وذل الرغبة

إليها ، بل كانت هي الراغبة الذليلة ، وهو العزيز المرغوب إليه .

« الثامن - أنه في دارها ، وتحت سلطانها وقهرها ، بحيث يخشى ، إن لم يطاوعها ،

من أذاها له ، فاجتمع داعي الرغبة والرغبة .

« التاسع - أنه لا يخشى أن تنمى عليه هي ، ولأحد من جهتها ، فإنها هي الطالبة

والراغبة ، وقد غلقت الأبواب ، وغيبت الرقباء .

« العاشر - أنه كان مملوكا لها في الدار ، بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ، ولا ينسكركر

عليه ، وكان الأانس سابقاً على الطلاب ، وهو من أقوى الدواعي ، كما قيل لامرأة من العرب ما حملك على كذا ؟ قالت : قرب الوساد ، وطول السواد . تعني قرب وساد الرجل من وسادتي ، وطول السواد بيننا .

« الحادى عشر - أنها استعانت عليه بأمة المسكر والاحتتيال ، فأرته إياهن ، وشكت حالها إليهن ، لتستعين بهن عليه ، فاستعان هو بالله عليهن ، فقال : (وإلا تصرف عى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) .

« الثانى عشر - أنها تواعدته بالسجن والصغار ، وهذا نوع إكراه ، إذ هو تهديد بمن يغلب على الظن وقوع ما هدد به ، فيجتمع داعى الشهوة ، وداعى السلامة ، من ضيق السجن والصغار .

« الثالث عشر - إن الزوج لم يظهر من الغيرة والقوة ما يفرق به بينهما ، ويبعد كلا منهما عن صاحبه ، بل كان غاية ما خاطبهما به أن قال ليوسف : (أعرض عن هذا) وللمرأة : (استغفرى لذنبيك إنك كنت من الخاطئين) وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع ، وهنا لم يظهر منه غيرة .

« ومع هذه الدواعى فأثر مرضاة الله وخوفه ، وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنى ، فقال : (رب السجن أحبُّ إلى مما يدعونى إليه) .
« وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه ، وأن ربه تعالى إن لم يعصه ويعصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه ، وكان من الجاهلين .
« هذا من كمال معرفته بربه وبنفسه .

« وفى هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة » !!

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ اَسْتَخْلِصُهُ لِتَنْفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ لِي نَكَ الْيَوْمَ
لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ .

« وقال الملك » قال ذلك لما تحقق براءته مما نسب اليه ، وكرم نفسه ، وسعة علمه .
« ائتوني به » احضروا إلى هذا الرجل العجيب فوراً .
« أستخاضه لنفسي » أخضعه بها ، دون العزيز .
جرباً على عادة الملوك من الاستئثار بالنفيس العزيز .
« فلما كابه » فلما أتوا به ، وكبه ، أى خاطبه الملك وعرفه وشاهد فضله وحكمته
وبراعته .

أو : فلما كلم يوسف - عليه السلام - العزيز .
« قال » الملك :

« إنك اليوم لدينا مكين » ذومكانة ومنزلة .
« أمين » مؤتمن على كل شيء .

روى : أن يوسف - عليه السلام - لما حضر الملك ، وعبره رؤياه ، ابتهج بحديثه
هو وخاصته .

وقال لهم : هل نجد مثله رجلاً مهبطاً للامداد الرباني ؟

« وقال ايوسف بعد أن عرفك الله هذا فلا يكون حكيم مثلك .

« وأنت على بيتي ، وإلى كلمتك تنقاد رعيتي ، ولأأكون أعظم منك إلا بمرشى .
« وقد أقمناك على جميع أرض مصر .

« ونزع خاتمه من يده ، ووضعها في إصبعه ، وألبسه ثياب بزّ ، وجعل طوقاً من
ذهب في عنقه ، وأركبه مركبته ، وأمر أن يطاف به في شوارع مصر ، وينادي أمامه
بالخضوع له .

« وقال له الملك : لا يمضى أمر ، ولا ينفذ شأن في مصر إلا برأيك ومشورتك .

« وسماه مخلص العالم .

« وزوجه بنت أحد العظماء لديه .

« وكان يوسف ، وقتئذ ابن ثلاثين سنة .»

وقالوا : إن من أمعن النظر في قصة يوسف - عليه السلام - علم يقينا أن التقى الأمين لا يضيع الله سعيه ، بل يحسن عاقبته ، ويعلى منزلته في الدنيا والآخرة .
« وأن المعتصم بالصبر لا يخشى حدثان الدهر وتجاربه ، ولا يخاف صروفه ونوائبه ، فإن الله يعضده ويُنجح مسعاه ، ويخلد ذكره العاطر على عمر الأدهار » .

اشعاعات

ماذا هناك ؟ هناك شيء .. تنفجر له العيون بُكياً .
الله .. جل ثناؤه .. يصدق .. يوسف - عليه السلام - وعده .. كما صدقه ..
يوسف .. وعده .
مامعنى هذا ؟
معناه كبير جدا جدا ..
لقد كان يوسف جوهرًا كريما .. ولكنه مغموس ... لا يدري به أحد ...
كان سيدا حرا ... من سلالة سادة أحرار ...
فأهين بالأسر والاسترقاق والمملوكية !!
وكان نبيا ... كريما ... من سلالة ... وتسلسل أنبياء ...
فعومل معاملة الخدم ... ولا وزن لأنواره .. ومكنوناته ..
وفي هذا من الآلام ما فيه ...
وكان جوهرًا صافيا نقيًا خالصًا مخلصًا .. فنظروا إليه على أنه مجرد جسد جميل ...
يصلح للاستمتاع !!
وهذا من أشد الآلام التي تصيب مثل تلك القلوب الكبيرة !!
وكان في قلبه ميراث النبوة ... واشعاعات الرسالة ... وعلوم الربوبية ... ورحمات
الألوهية ..

وهو مجرد سجين ... مهين ... ضائع ... في قوم مجرمين !!

وكان متهما بالباطل ... أنه أراد أن يعتدى على امرأة العزيز ... وعلى نساء الأعزة
والكبراء .

وهو صابر ... بالله ... وفي الله ... والله ...

على أعلى ما تكون مقامات الصبر ...

حتى حقق الملك القضية بنفسه ... واستبان الحق لعينيه ... وشهدت له النسوة جميعاً
بأطهر والعفة ...

فاشدد شوق الملك أن يرى ذلك الرجل الخارق ... العجيب .. الذى انتصر على كل
هذه الفتن ..

فصاح الملك : اتقوني به ...

وهنا يتلألاً نور عظيم ... يتشعشع من قوله تعالى « فلما كله » ...

جاء يوسف .. جاء أجمل إنسان على ظهر الأرض .. ظاهراً .. وباطناً ..

شاب .. وجهه نور .. وباطنه نور .. وظاهره نور ..

جمال .. وجلال .. يتلألاً .. فى صورة إنسان !!

هنالك أدرك الملك .. أنه أمام إنسان عظيم حقاً ..

وأحس الملك أن يوسف أولى منه بالملك ..

ورأى الملك نفسه لاشيء .. جنب يوسف .. وهيبة يوسف .. وجمال يوسف ..

وعلم يوسف .. وحكمة يوسف : .. وأنوار يوسف ..

وحين يتحدث الأنبياء .. يكون لحديثهم رنين الصدق ، ولألاء الربانية .. وبهاء

النورانية ..

فتشرق أنوارهم فى قلوب الذين يتحدثون إليهم ..

وانشرح الملك به صدره .. كأنما قد عثر على أعز ما كان يتمنى فى حياته ..

رأى أمامه نموذجاً لم ير مثله من قبل .. على طول ما رأى وقابل ..

لقد قابل الملك .. بحكم منصبه .. رجالات الدنيا .. وعظماءها .. فلم ير أعظم من يوسف .. ولا أحلى من حديثه .. ولا أجمل من صورته .
وتحدثنا .. طويلا .. واستعرضنا أمرها ..
وأيقن الملك أنه أمام شخصية خارقة ..
نبوة .. علم .. حكمة .. جمال .. هيبه .. قوة .. شباب .. رحمة .. عظمة .. خبرة ..
عفة .. أمانة ..

وازداد به إعجابا .. وله أكبارا .. حين شرح له رؤياه .. وما ترمز إليه ..
وحين خطط له التخطيط الواجب عليهم اتباعه .. حتى لا تتعرض البلاد للهلاك ..
فلما كلمه ؟

فيها أنوار عالية جدا .

يكاد لألاؤها يوقف العقول عن الإدراك !
فإذا كان من الملك ؟

« قال : إنك اليوم » إنك الآن يا يوسف ..

« لدينا » عندنا .. في مملكتنا كلها .. من أولها .. إلى آخرها ..

« مكين » ذو مكانة رفيعة .. عالية .. أنت من الآن رئيس الوزراء .. تفعل ما تشاء

وتحكم كيف تشاء .

« أمين » وأنت موضع ثقتنا جميعا .. مؤتمن على كل شيء !!!

ما هذا ؟! هذا صدق الله وعده رسله !!!

من أذل الذل .. من الأشغال الشاقة في السجن إلى أعز العز .. إلى رئاسة الوزارة

في الامبراطورية المصرية إذ ذاك .

ومن الاتهام بالزنى والفحشاء والسوء .. إلى البراءة .. وشهادة الجميع له بالطهارة

والبراءة ..

ومن المملوكية واذلالها .. إلى الملك والسلطة والأسباب كلها !!!

ومن خمول الذكر .. حيث كان لا وزن له عند أحد .. إلى ارتفاع الذكر .. وانتشار الشهرة حتى أصبح حديث الجميع .. وسيد الجميع .. ورجل الساعة في العالم !!!
ومن جهل الناس به .. وعدم انتفاعهم بعلمه .. إلى حيث يمكن من الأرض والسلطة :
ويعلم الناس علمه ، وفضله ، ويعممهم خيره .
ما هذا ؟ هذا شيء من اشعاعات الآية .. وإن وراء الاشعاعات لاشعاعات !!!

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ

« قال » يوسف للملك .

« اجعلني على خزائن الأرض » واني خزائن أرضك .

يعنى : جمع الغلات لما يستقبلونه من السنين التي أحبرهم بشأنها ، فيتصرف لهم على الوجه الأرشد والأصلح .

ثم بين اقتداره في ذلك فقال ..

« إني حفيظ » أمين أحفظ ماتستحفظنيه ..

« علیم » عالم بوجوه التصرف فيه ..

قالوا : وصف نفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبه الملوك ممن يولونه . وإنما قال ذلك ليتوصل إلى امضاء أحكام الله تعالى أو إقامة الحق ، وبسط العدل ، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك ، فطلب التولية ابتغاء وجه الله ، لا لحب الملك .

قالوا : إنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الأرض ، ايذانا بأن ذلك أمر لا مرد له ، غنى عن التصريح ، لاسيما بعد تقديم ما يندرج تحته من أحكام السلطنة بحدافيرها ، من قوله « إنك اليوم لدينا مكين أمين » وللتنبيه على أن كل ذلك من الله عز وجل ، وإنما الملك آلة في ذلك .

اشعاعات

يوسف .. يرى حقيقة نفسه .. ويصف نفسه .. إلى حفيظ علم .

فهو يمتاز بصفتين .. أمين .. عليم .. الأمانة والعلم .

أما الأمانة فقد تلالأت في ثنانيا بلائه ..

وأما العلم فنابع من أنوار النبوة وليس وراء النبوة علوم ..

إنه رجل كفاء للمنصب :

ولذلك طلب إلى الملك أن يعطيه السلطة الكاملة في إدارة شئون الدولة .

اجلنى على خزائن الأرض ؟

مكنى من السيطرة على مقدرات البلاد ، وامكانياتها الهائلة ، لأسوسها سياسة رشيدة ،

تجنبكم جميعا مهالك المجاعة القادمة .

وقد كان .. وألقى الملك بكل شيء إليه .. ألقى إليه أمر البلاد والعباد ..

وكانت تجربة جديدة دخلها يوسف ..

وتلالأت فيها أنواره .. وظهرت فيها عبقريته ..

- ٥٦ -

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

« وكذلك مكنا ليوسف في الأرض » أرض مصر .

جعلناه ذا مكانة رفيعة .. وسلطة واسعة .. وأمرنا نافذا في أنحاءها .

« يتبعوا منها » ينزل من بلادها .

« حيث يشاء » وذلك أنه .. عليه السلام .. لما ولاه النظر على خزائن مصر ، تجول في

قطرها ، وطاف قراها ، والأمر أمره ، والإشارة إشارته ، عناية منه تعالى ورحمة كما قال ..

« نصيب برحمتنا من نشاء » من نشاء .. وقما نشاء .. حينما نشاء ..
« ولا يضيع أجر المحسنين » الذين أحسنوا عملا .

اشعاعات

فيها نواميس كبرى ..
الناموس الأول .. « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض » .. أن التمكن .. أن الحكم
أن السلطة .. شيء يعطيه الله لمن يشاء « تؤتى الملك من نشاء وتززع الملك ممن تشاء » .. فكما
يمكن الله لمن يشاء ، ويرفعه ، ويجعله ذا مكانة فيها .. ينزع ممن يشاء ، ويذهب مكانته منها .
الناموس الثاني .. « يتبوا منها حيث يشاء » .. أن يوسف كان صاحب سلطات
مطلقة في الأمر والنهي .. وكان حاكما يحكم من الواقع ، ويخالط الجماهير ، وينزل إلى
مشاكلهم لم يكن مترفا عنهم ..
وهذا خير أنواع الحكم .. أن يعيش الحاكم مشاكل الجماهير .. ليستطيع أن يحلها بنفسه
حلا عمليا ..

.. فبينما كان ذا سلطات مطلقة .. كان في الوقت نفسه .. رجل جاهل .. محبوبا من الجماهير
يتفاعل مع الجماهير .. بدليل أنه يتبوا منها حيث يشاء .. ينزل منها حيث يشاء .
ولو كان مجرد حاكم مستبد .. لكرهه الناس .. ولما استطاع أن يتجول في البلاد
حيث يشاء .

وأن التمكن الحقيقي للحاكم في الأرض .. هو التمكن له من قلوب الشعب ..
وقد توافر هذا ليوسف .. فهو محبوب من الملك .. والحاشية ..
محبوب من الشعب .. والجماهير ..

وهذا هو التمكن الحق .. إلى جوار التمكن الظاهر بالسلطة وتولى البلاد .
الناموس الثالث .. « نصيب برحمتنا من نشاء » .. أن الله رجة خاصة يخص بها من

يشاء من عباده ..

ناك رحمة عامة هي التي يتشمس فيها الجميع ..
بناك رحمة خاصة .. يخصص بها من يشاء من عباده ..
تلك التي آتاها يوسف .. في صورة تمكين في الأرض ..
كانت رحمة له .. أن واتته فرصة اظهار مواهبه المكنونة .. وتنفيذ إرادته المعطلة
رحمة للناس .. أن شاع فيهم العدل .. والرخاء .. حين آلت أمورهم إلى يوسف ..
اموس الرابع .. « ولا نضيع أجر المحسنين » .. يستحيل أن يضعف الله أجر أي إنسان
معملا من الأعمال .
ستحيل أن يضعف إخلاص المخلصين ..

ذا ناموس خطير جدا .. لأن فيه ضمنا لحفظ حقوق الناس عند الله .. وأنها ثابتة ..
ن أن تضعف .
سكن هل من الحتم أن يكافئ الله كل محسن .. وكل مخلص .. في هذه الدنيا ؟

لَا جُرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ .
ولأجر الآخرة خير « ولثواب الآخرة خير من ثواب الدنيا .
للذين آمنوا » للذين داوموا على الإيمان في الدنيا .
وكانوا يتقون « وداوموا على اتقاء محارم الله ،
شارة إلى أن المطلب الأعلى هو ثواب الآخرة ، وأن ما يدخر هؤلاء هو أعظم وأجل
ون به في الدنيا من التمسكين في الأرض والجاه والثروة والملك .

اشعاعات

ذا ناموس خطير ..
إن أخطر شيء عند الإنسان .. أن لا يرى نتيجة عملية لا يمانه واحسانه وجهاده في الدنيا ..

فيأتي هذا الناموس ويؤكد .. أن أجر الآخرة خير من أجر الدنيا العاجل .. بشرط
أن يستمروا على الإيمان والتقوى ولا يياسوا ولا يرتدوا عن إيمانهم ..
وهذه حقيقة .. بسيطة جدا ..

فهما أوتى الإنسان في الدنيا .. من نعم .. أو سلطان .. فإنما هي سنين .. ويفارق
كل ما فيه ..

ولسكن الآخرة .. نعم الأبد ..

فأين القناء من البقاء .. أو النعيم الدائم من النعيم المستعار ؟

وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ .

« وجاء إخوة يوسف » طالبين التموين والقلال ، لما أصاب أرض كنعان وبلاد
الشام ما أصاب مصر .

وقد كان حل بآل يعقوب - عليه السلام - ما حل بأهلها فدعا أبناءه ماعدا بنيامين
فقال لهم : يا بني بلغنى أن بصر ماسكا صالحا يبيع الطعام ، فتجهزوا إليه واقصدوه تشتروا
منه ما تحتاجون إليه ، فخرجوا حتى قدموا مصر .

« فدخلوا عليه » فدخلوا جميعاً العشرة على يوسف - عليه السلام - وهو في
مكتبه .. بعد أن أذن لهم ..

« فعرفهم » لقوة فهمه، وعدم مباينة أحوالهم السابقة، أحوالهم يوم المفارقة، لمفارقتهم
أيامهم وهم رجال ، وتشابه هياتهم وزيتهم في الحالين .

وروى أنهم ذكروا أسماءهم في الاستئذان عليه فعرفهم وأمر بانزالهم .

« وهم له منكرون » والحال أنهم منكرون له بتسويتهم له بطول العهد وتباين ما بين
حالهم في نفسه ومنزلته وزيتهم .

ولا اعتقادهم أنه هلك .

اشعاعات

قالوا : حيث كان إنكارهم له - عليه السلام - أمرا مستمرا في حالي المحضر
والمنيب ، أخبر عنه بالجملة الاسمية « وهم له منكرون » ..
وهذا حق .. أنهم لا يتصورون أن هذا الرجل الجالس على كرسى مصر هو يوسف ..
الطفل الذى ألقوه في غيابة البئر ليهلك !!

وحتى لو لم يهلك حين إلقائه في ذلك البئر .. فلا يعقل أن يتحول من طفل ضائع
لا وزن له .. إلى حاكم يملك كل شىء في مصر !!
كان الأمر بعيدا عن تفكيرهم بعدا كبيرا ..
فهم لا يعرفون شيئا مطلقا عن أخيه الذى هلك .. ولا عن هذا الرجل الذى ملك !!

- ٥٩ -

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتُّوْنِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ
أَنى أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ .

« ولما جهزهم بجهازهم » ولما أصلحهم بعدتهم ، وأوفر ركائبهم بما جاؤا لأجله .
ولعله - عليه السلام - إنما باع كل واحد منهم حمل بعير لما روى أنه كان لا يبيع
أحدا من المتارين أكثر من ذلك عدلا بين الناس .
وأصل الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد ومتاع .
« قال » قال يوسف

« اتتوني بأخ لكم من أبيكم » ولم يقل بأخيكم مبالغة في إظهار عدم معرفته لهم كأنه
لا يدري من هو !

قيل : قال يوسف - عليه السلام - ذلك حين سأله حملازئدا عن المعتاد لبنيامين
فأعطاهم ذلك ، وشرط عليهم أن يأتوه به ، مظهر أنهم أنه يريد أن يعلم صدقهم .
« ألا ترون أنى أوف الكيل » ألا ترون أنى أتم الكيل .

وإشارة صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بمد التجهيز للدلالة على أن ذلك عادة مستقرة .

« وأنا خير المنزلين » والحال أنى فى غاية الإحسان فى انزالكم وضيافتكم .

وكان الأمر كذلك

ولم يقل ذلك - عليه السلام - بطريق الامتنان بل لثمهم على تحقيق ما أمرهم به .

اشعاعات

قيل : إنهم لما رأوه فكلموه بالعبرية قال لهم : من أنتم فأنى أنكركم ؟ !

فقالوا : نحن قوم من أهل الشام ، رعاة ، أصابنا الجهد ، فجئنا نبتار

فقال : لعلكم جئتم عيوننا ، تنظرون عورة بلادى ؟

قالوا : معاذ الله ، نحن اخوة ، بنو أب واحد ، وهو شيخ ، صديق ، نبي ، من

الأنبياء إسمه يعقوب .

قال : كم أنتم ؟

قالوا : كنا إثني عشر فهلك منا واحد .

فقال : كم أنتم ها هنا ؟

قالوا : عشرة

قال : فأين الحادى عشر ؟

قالوا : هو عند أبيه يقسلى به عن المالك .

قال : فمن يشهد لكم أنكم لستم عيوننا وأن ما تقولون حق ؟

قالوا : نحن ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا .

قال : فدعوا بعضهم عندى رهينة ، واثتوني بأخيك من أبيكم ، وهو يحمل رسالة من

أبيكم حتى أصدقكم .

فاقربوا ... فأصاب القرعة شمعون .

ومن هنا يعلم سبب هذا القول ...

فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَلِكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ .

« فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا يَلِكُمْ عِنْدِي » إبعادهم على عدم الأتيان به .

والمراد لا يلكل لكم في المرة الأخرى فضلا عن إيفائه .

« وَلَا تَقْرُبُونِ » وَلَا تَقْرُبُونِي بِدخول بلاهي ، فضلا عن الإحسان في الإنزال

والضيافة

وفيه دليل على أنهم كانوا على نية الامتياز مرة بعد أخرى ، وأن ذلك كان معلوما

له - عليه السلام - .

أى أن يوسف - عليه السلام - هددهم أن لم يأتوه بينيامين .. سوف يشطب

أسماءهم من قائمة المسموح لهم بالتأمين .. وسوف يجعل أسماءهم من الممنوعين من دخول

البلاد ..

أى لا يستطيعون أخذ الحبوب ، ولا حتى يسمح لهم بدخول البلاد .

قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ .

« قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ » سنخادعه ، ونستميله برفق ، ونجتهد في ذلك .

وفيه تنبيه على عزة المطلب ، وصعوبة مثاله .

« وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ » وإنا لقادرون على ذلك ، لا تنعيا به .

أو : إنا لفاعلون ذلك لامحالة ، ولا نفرط فيه ولا نتوانا .

وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي حَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا

إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

« وقال » يوسف - عليه السلام - « افتيانه » لعلمانه ، الكيالين .
أو : لأعوانه الموظفين لخدمته
« اجعلوا بضاعتهم في رحالهم » ضموا البضاعة التي جاءوا يشترون بها تموينهم في رحالهم
والرحل : هو ما يوضع على البعير للركوب .
ويقوم من ذلك أن التعامل كان على أساس المقايضة ... فهؤلاء جاءوا ببضاعة ...
يقال كانت نعالا وأدما ... ليشتروا قمحا وشعيرا ...
« لعلمهم يعرفونها » يعرفون حق ردها والتكريم بذلك .
« إذا انقلبوا » إذا رجعوا .
« إلى أهلهم » إلى زوجاتهم وبيوتهم ، فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع ، وتقريب
الأوعية .

« لعلمهم يرجعون » حسبما طلبت منهم ، فإن التفضل بإعطاء البدلين ولا سيما عند
اعواز البضاعة من أقوى الدواعي إلى الرجوع .
وقيل : المعنى يرجعونها أي يردونها .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا
أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَامِي فَظُونَ .

« فلما رجعوا » فلما رجع إخوة يوسف - عليه السلام -
« إلى أيهم » إلى يعقوب - عليه السلام -
« قالوا يا أبانا منع منا الكيل » حكم بمنعه بعد اليوم إن لم نذهب بأخيينا بنيامين
حيث قال لنا رئيس مصر : (إن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي)
« فإرسال معنا أخانا » بنيامين إلى مصر ، وفيه إيذان بأن مدار المنع على عدم كونه
مهم .

- « نكتل » من الطعام ما نحتاج إليه .
وقيل : يرفع المانع ونكتل .
أى : يسمح لنا بشراء ما نحتاج إليه من الحبوب .
« وإنا له لحافظون » من أن يصيبه مكروه .

قَالَ هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ كُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ
حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

- « قال » يعقوب - عليه السلام - « هل آمنتم عليه » ما آمنتم عليه .
« إلا كما آمنتمكم » إلا اثمانا مثل اثمانى إياكم .
« على أخيه » يوسف

« من قبل » وقد قلتم أيضا فى حقه ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم ، فلا أتق بكم ، ولا
محفظكم . وإنما أفوض أمرى إلى الله تعالى .
« فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » فأرجو أن يرحمنى بحفظه ، ولا يجمع على

مصيبتين

وهذا كما ترى ميل منه - عليه السلام - إلى الأذن ، والإرسال ، لما رأى فيه من
المصاحبة .

وفيه أيضا من التوكل على الله تعالى ما لا يخفى .

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا
مَا نَبِيٌّ هَذِهِ بَضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفُظُ أَخَانَا وَتَزِدُّ
كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ .

« ولما فتحوا متاعهم » المتاع كل ما ينتفع به على الوجه ، وهو في الآية الطعام .
وقيل : الوعاء ، وكلاهما متاع ، وهما متلازمان ، فان الطعام كان في الوعاء ..

والمعنى ، على أنهم لما فتحوا أوعية طعامهم .

« وجدوا بضاعتهم » التي كانوا أعطوها ثمنا للطعام .

« ردت إليهم » تفضلا ، وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال .

« قالوا » قالوا لأبيهم .. ولعله كان حاضرا عند الفتح .

« يا أبانا ما نبتغي » ماذا نطلب وراء ما وصفنا لك من احسان رئيس مصر اليينا وكرمه

الداعي إلى امتثال أمره ، والمراجعة اليه في الخواارج .

وقد كانوا أخبروه بذلك ، على ما روى أنهم قالوا له - عليه السلام - إنا قدمنا على

خير رجل وأزولنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته ..

« هذه بضاعتنا ردت اليينا » كيف لا وهذه بضاعتنا ردها اليينا تفضلا من حيث لا ندري

بعد ما من علينا بما يتقل الكواهل من المنن العظام ، وهل من مزيد على هذا فنطلبه ؟

ومرادهم به أن ذلك كاف في استيجاب الامتثال لأمره والالتجاء إليه في استجلاب

المزيد .

« ونمير أهلنا » نجلب لهم الميرة . ونجلب لأسرنا الطعام من عند رئيس مصر .

« ونحفظ أخاننا » من المكاره حسبا وعدنا .

« ونزداد » بواسطته

« كيل بعير » وسق بعير زائدا على أوساق أباعرنا .. حيث يكال له كما يكال لنا ..

« ذلك كيل » ذلك مكيل .

« يسير » قليل لا يقوم بأودنا .

أو : ذلك السكيل الزائد ، قليل ، لا يضايقتنا فيه الملك ، أو سهل عليه لا يتعاضده .

فان عنده جيالا من الفصح الخزون .

قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا
أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

« قال » يعقوب - عليه السلام -

« لن أرسله معكم » لن أرسل منكم بنيامين ، بعد أن عاينت منكم ما أجرى المدامع

في يوسف .

« حتى تؤتوني موثقا من الله » حتى تعطوني ما أتوق به من جهته .

أراد - عليه السلام - أن يحلفوا له بالله تعالى .

« لتأتني به » حتى تحلفوا بالله وتقولوا والله لتأتنيك به .

« إلا أن يحاط بكم » إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك .

أو : إلا أن تهلكوا جميعا .

« فلما آتوه موثقهم » فلما حلفوا له بالله تعالى حسبا أراد - عليه السلام - .

« قال » غرضا لثقتة بالله تعالى ، وحثا لهم على مراعاة حلفهم به عز وجل .

« الله على ما نقول » في أثناء طلب الموثق وابتأ من الجانبين ، وإيثارية الاستقبال

لاستحضار الصورة المؤدى إلى تثبتهم ومحافظةهم على تذكره ومراقبته .

« وكيل » مطلع ، رقيب . فان الموكل بالأمر يراقبه ويحفظه .

قيل : والمراد أنه سبحانه مجاز على ذلك .

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ .

« وقال » ناصحهم لما عزم على ارسالهم جميعا .

« يا بني » يا اولادى .

« لاتدخلوا » مصر .. العاصمة ..

« من باب واحد » نهام - عليه السلام - عن ذلك حذرا من اصابة العين ، فاهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة ، وقد اشتهروا بين اهل مصر بالزاني والكرامة التي لم تنكس لعيرهم عند الرئيس . فكابوا مظنة لأن يصابوا بالعين إذا دخلوا كوكبة واحدة .

« وادخلوا من أبواب متفرقة » بيانا للمراد به وذلك لأن عدم الدخول من باب واحد غير مستلزم للدخول من أبواب متفرقة ، وفي دخولهم من بايين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور .

« وما أغنى عنكم » لأنفعكم ولا أذفع عنكم بتدبيرى .

« من الله من شيء » من قضائه تعالى عليكم شيئا ، فإنه لا يغنى حذر من قدر .

أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة ، بل هو تدبير وتشبث بالاسباب العادية ، التي لا تؤثر إلا باذنه تعالى ، وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر ، بل هو استعانة بالله تعالى ، وهرب منه اليه .

« إن الحكم » ما الحكم مطلقا .

« إلا لله » لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء .

« عليه » سبحانه دون غيره .

« توكلت » فى كل ما آتى به وأذر .

وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل بالتوكل ، وفى الخبر « اعقلها وتوكل »

« وعليه » عزسلطانه دون غيره .

« فليتوكل المتوكلون » الريدون للتوكل .

ويدخل بنوه - عليه السلام - فى عموم الأمر دخولا أوليا ، وفى هذا الأسلوب

مالايخفى من حسن هدايتهم وارشادهم إلى التوكل فيهم بصدده على الله تعالى شأنه غير معتمدين على ماوصاهم به من التدبير .

اشاعات

ما هذا؟ مالذى دفع يعقوب - عليه السلام - أن يأمر أولاده العشر ألا يدخلوا من باب واحد ، وأن يدخلوا من أبواب متفرقة ؟
هل هو وقاية لهم من العين ، كما يقولون ؟
أم ماذا كان يعنى يعقوب بهذا التوجيه ؟
الحق .. أن العين حق .. وأن الإصابة بها حق ..
وقد أراد يعقوب ، أن يدفع عنهم شرها ..
فإن رؤية عشرة من الكواكب مجتمعين يدخلون من أبواب مدينة مصر .. فيه ما فيه من اثاره حقد الحاقدين ، وحسد الحاسدين ..

ثم ماذا ؟ .. ثم يضع يعقوب ناموسا عظيما .. « وما أغنى عنكم من الله من شيء » ..
أدنى شيء .. لا أستطيع دفعه عنكم إذا أراد الله بكم ..
ثم ماذا ؟ ثم ناموس آخر .. « إن الحسك إلا لله » لا يستطيع شيء أن يمانعه شيئا ..
لماذا ؟ .. لأن الله إذا أراد شيئا .. فلا وزن لشيء بعد ذلك .. ولا بد أن يقع .. لأن الأقوى يبطل الاضعف ..

ثم ماذا ؟ .. ثم ناموس آخر .. « عليه توكلت » .. عليه وحده اعتمدت .. فرغم أنى آخذ بالأسباب .. إلا انى أعتمد عليه وحده فى دفع السوء .. لاعلى أسبابى التى اتخذتها ..

ثم ماذا ؟ .. ثم ناموس أخير .. « وعليه فليتوكل المتوكلون » فليعتمد كل من أراد أن يعتمد على قوة عظمى ..
فامعنى هذا كله ؟ ..

مامعنى ان يحاذر يعقوب من العين .. ثم يعود فيعلن أن هذا لا يدفع شيئا من قضاء الله .. ثم يعود فيعلن أن الحكم كله لله في الحقيقة .. وأنه لذلك لا يعتمد إلا على الله .. ولا ينبغي لأحد أن يعتمد إلا عليه سبحانه؟ هل هو تناقض في اتجاهات يعقوب؟

كلا .. وحاشاه .. بل ذلك هو الخط المستقيم .. الذى ينبغي أن يلتزمه كل إنسان مؤمن بالله ..

يأخذ بالأسباب .. وهذا يتمثل في سلوك يعقوب ، في أمره أولاده بالتفرق على أبواب متفرقة ..

ثم يعلم أن أسبابه هذه .. لا تمنع ارادة الله فيه/إذا توجهت إليه .. بل هي نافذة حتما وقهارة أبدا ..

أى يعلم أن الأسباب غير مؤثرة بذاتها ، وإنما بما أودع الله فيها من تأثير ، ناتج عن النواميس الالهية السارية فيها ..

وبذلك يتلألأ في قلبه دائما « إن الحكم إلا لله » .. ثم يدرك القضية في عمومها « عليه توكلت » .. أى ليست هذه الاسباب شيئا اركن إليه ، واحتجب به عن ربي .. بل أنى أتجه إليه مباشرة ، واطلب منه العون على أمرى .. وهذا هو ما ينبغي على كل مؤمن .. أن لا تنفيب عنه الحقيقة وسط الأخذ بالأسباب .. وإنما يرتب الأسباب .. وهو يوقن أنها ليست هي في ذاتها المؤثرة .. وإنما هو الله الذى اعطاها هذا التأثير م « وعليه فليتوكل المتوكلون » ..

بقيت مسألة العين هذه كيف تؤثر في الإنسان؟

قال علماء الروحية الحديثة في آخر ما وصلوا إليه في أبحاثهم .. أنه يخرج شعاع من عين العائن .. يتسلط على الشخص المصاب ، فيؤثر فيه تأثيرا شديدا ..

وهذا ليس بمستبعد .. والأشعاع الغير مرئية كثيرة ومتعددة ..

وتفصيل ذلك يرجع فيه إلى علوم الروحية الحديثة .. فقد اكتشفت في هذا المضمار
العجائب !!

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمْنَاهُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

« ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم » من الأبواب المتفرقة من البلد .

قيل : كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها .

والمعنى : ولما دخلوا متفرقين .

« ما كان » ذلك الدخول .

« يغني عنهم من الله » من جهته سبحانه .

« من شيء » شيئا مما قضاه عليهم جل شأنه .

ذكروا أن هذا منه تعالى تصديق لما أشار إليه يعقوب - عليه السلام - في قوله : (وما

أغنى عنكم من الله من شيء) .

« إلا حاجة » ولكن حاجة .

« في نفس يعقوب قضاها » أظهرها ووصاهم بها ، دفعا للخطرة ، غير معتقد أن للتدبير

تأثيرا في تغيير التقدير .

والمراد بالحاجة شفقته - عليه السلام - وحرارته من أن يمانوا أي يصابوا بالعين .

وقيل : المعنى ما أغنى عنهم ما وصاهم به أبوهم شيئا إلا شفقته التي في نفسه ، ومن الضرورة

أن شفقة الأب مع قدر الله تعالى كالهباء ، فاذن ما أغنى عنهم شيئا أصلا .

« وإنه لذو علم » جليل .

« لما علمناه » لتعليمنا إياه بالوحي ، ونصب الأدلة ، حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر ، حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر .

أو حيث بت القول بأنه لا يغنى عنهم من الله تعالى شيئا ، فكانت الحال كما قال .

وتنكير (علم) وتعليقه بالتعليم المسند إلى ضمير العظمة من الدلالة على جلالة شأن يعقوب - عليه السلام - وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون » سر القدر ، ويزعمون أنه يغنى عنه الحذر .

وقيل : المراد (لا يعلمون) إيجاب الحذر مع أنه لا يغنى شيئا من القدر .

وقيل : المراد (لا يعلمون) أن يعقوب - عليه السلام - بهذه المثابة من العلم .

اشعاعات

فيها عجائب .. وغرائب .

الله سبحانه وتعالى يصدق على نظرية يعقوب - عليه السلام - !!

يقول يعقوب : « ما أغنى عنكم من الله من شيء » .

ويقول الله : « ما كان يغنى عنهم من الله من شيء » .

أى : كأن الله تعالى يريد أن يقول :

صدق يعقوب فيما قال وأعلن .. ما كان يستطيع أن يدفع عنهم شيئا أردته بهم ..

ولا أدنى شيء ..

ومعنى هذا أن يعقوب نطق بالحق .. وأذاع الحق ..

ومعنى هذا أن يعقوب أوتي علما عظيما جدا جدا جدا ..

وأن مستواه العلمي عال جدا جدا جدا .. حتى استطاع أن يدرك هذا كله ..

وأن يرقى إلى ادراك تلك الحقائق الكلية .. العليا .. هذا الادراك العظيم ..

ولذلك يشئ الله تعالى عليه .. « وإنه لدو علم » ..

علم من لدنا .. « لما علمناه » .. لتعليمنا نحن إياه ..

علم من عنده تعالى .. لا ينال بأسباب .. ولا من مدارس .. ولا من أساتذة .
نور مباشر .. من الله إلى يعقوب ..
كيف كان علم يعقوب هذا ؟
ذلك مقام .. لا يدركه إلا يعقوب نفسه ..
لأنها تجربته .. التي عاشها مع ربه ..
ومقامه الذي لم يرق إليه سواه .. شيء بينه وبين ربه . تبارك وتعالى .. شيء يصفه الله
فيقول : « وإنه لنوع علم ، لما علمناه .. » وكفى بتلك شهادة !!
شيء .. لا يستطيع الناس أن يتذوقوه .. أو يدركوه .. لأنهم دون مستواه ..
وهذا هو سر تعقيبه .. بقوله ..
« واسكن أكثر الناس لا يعلمون » .. لا يستطيعون ادراك ما كان عليه يعقوب
من علم .
لأنه مستوى عال جدا جدا .. لا ينال بأسباب .. أنها النبوة .. النور المباشر .. المستوى
الذي لا يدركه الناس .. ولا يستطيعون !!

وَأَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَأَوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا
تَبِعْتَنِي بِهِ كَاثُرًا يَعْمَلُونَ .
« ولما دخلوا على يوسف آوى » ضم .. « إليه أخاه » بنيامين .
قالوا : إنهم لما دخلوا عليه - عليه السلام - قالوا : أيها الملك ، هذا أخونا الذي أمرتنا
أن نأتيك به قد جئناك به .
« فقال لهم : أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي ، وبلغوه رسالة أبيهم ، فإنه - عليه
السلام - لما ودعوه قال لهم : بلغوا ملك مصر سلامي ، وقولوا له : إن أبانا يصلي عليك
ويدعو لك ، ويشكر صنيعك معنا » .

وقالوا : إنه - عليه السلام - خاطبه بذلك في كتاب .
« فلما قرأه يوسف - عليه السلام - بكى .
« ثم إنه أكرمهم وأنزلهم وأحسن نزلهم .
« ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال :
لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه .

« فقال يوسف - عليه السلام - بقى أخوك وحده ؟
« فقالوا له : كان له أخ فهلك .

« قال : فانا أجلسه معي ، فأخذه وأجلسه معه على مائدة وجعل يؤاكله .

« فلما كان الليل أمرهم بمثل ذلك ، وقال ينام كل اثنين منكم على فراش .

« فبقي بنيامين وحده فقال : هذا ينام عندي على فراشي .

« فنام مع يوسف - عليه السلام - على فراشه .

« فجعل يوسف - عليه السلام - يضمه إليه ، ويشم ريحه ، حتى أصبح .

« وسأله عن ولده فقال : لى عشرة بنين ، اشتقت أسماءهم من اسم أخ لى هلك .

« فقال له : أحب أن أكون أخاك بدل أخيك المالك ؟

« قال : من يجد أخا منك أيها الملك ؟ ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل !

« فبكى يوسف - عليه السلام -

« وقام إليه ، وعانقه ، وتعرف إليه عند ذلك » .

« قال : إنى أنا أخوك » يوسف .

وكانت مفاجأة .. لبنيامين .

أيمقل هذا ؟ ..

هذا الرجل .. العظيم .. الذى يحكم الإمبراطورية المصرية .. هذا هو يوسف ؟!

« فلا تبتئس » فلا تحزن

« بما كانوا يعملون » بنا فيما مضى ، فان الله تعالى قد أحسن اليانا وجمعنا على خير .
ولا تعلمهم بما أعلمتك .

روى أنه قال ليوسف - عليه السلام - أنا لا أفارقك .

قال : قد علمت اغتمام والدى ، فاذا حبستك ازداد غمه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن
أنسبك إلى ما لا يجمل .

قال : لا أبالي ، فافعل ما بدالك .

قال : فاني أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ، ليتيها لى ردك بعد
تسريحك معهم .

« قال : افعل »

اشعاعات

تجرى حوادث هذه القصة .. فى انفعالات .. وشحنات من العواطف .. غاية فى
القوة .. وغاية فى العنف ..

بنيامين .. يتلفت يمينا .. وشمالا .. يبحث عن رفيق يأكل معه على مائدته فلا يجد ..
فيتذكر أخاه الذى هلك طفلا .. شقيقه الأوحده .. لو كان هنا .. لجلس معى كما يجلس
هؤلاء اثنين .. اثنين ..

وتتفعل نفسه انفعالا شديدا ..

وفاة يأتى إليه رجل مصر الأول .. ورئيس وزرائها .. وصاحب الكلمة الأولى فيها ..
يأتى إليه فى أبهته وعظمته .. ويجلس معه .. ويخصه بهذا الشرف دون اخوته جميعا ..
ثم يمازحه .. ويلطفه .. ويأكل معه ..

وهذه كلها انفعالات تجرى فى نفس بنيامين متدافعة .. جارفة ..

ثم تكون المفاجأة الكبرى .. حين يستدعيه رئيس الوزراء .. ليشركه النوم فى

فراشه ..

وفي هذا اللقاء .. وحدهما ..
تكون المفاجأة الكبرى .. « إني أنا أخوك » ..
ولا يصدق بنيامين .. ويكاد يذهل ..
مفاجآت كبرى .. وانفعالات عظمى .. كانت تنفجر في نفس بنيامين .. ونفس
يوسف ..

- ٧٠ -

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
أَيْتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ .
« فلما جهزهم بجهازهم » فلما أمر باعداد قافلتهم ، فأعدت ، ووفى لهم الكيل ، وزاد
كلامهم - على ماروي - حمل بعير .

« جعل السقاية » هي إناء يشرب منه الملك ، وبه كان يكال الطعام للناس .

روى : أنها كانت من ذهب .

أى أمر يوسف ، أحدا ، فجعلها ..

« في رحل أخيه » بنيامين ، من حيث يشعر أو لا يشعر .

« ثم أذن مؤذن » ثم ناد مناد .

أى : أذن رجل معين للأذان .

« أيتها العير » العير الإبل التي عليها الأحمال ، سميت بذلك لأنها تعير أى تذهب

ونجى .

والمراد هنا : أصحاب العير .

« إنكم لسارقون » أى نادى عليهم مناد : يا أصحاب القافلة ، يا أصحاب القافلة ..

قفوا .. إنكم لسارقون .. أنتم لصوص .

-- ١٣٢ --

-- ٧١ --

قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« وأقبلوا عليهم » انزعجوا بما سمعوا .. فارتدوا إلى المنادى ومن معه مسرعين ..

« ماذا تفقدون » أى شيء تفقدون ؟

أو : ما الذى تفقدونه ؟

والمعنى : ما ضاع منكم ؟

-- ٧٢ --

قَالُوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ .

« قالوا » قال المنادى عليهم ومن معه .

« نفقد » ضاع .

« صواع الملك » مكيال الملك .

وقرى : صواع .. وصاع .. وصوع .. وصوع .

وكلها لغات فى : الصاع

وقرى : صوآغ .. وصووغ ..

أى : نفقد مصوغ الملك .

أى : جواهر الملك الثمينة .

« ولمن جاء به » ولمن أتى به مطلقا ولو من عند نفسه .

وقيل : ومن دل على سارقه وفضحه .

« حمل بعير » من الطعام ، مكافأة له على ارشاده عليه .

« وأنا به زعيم » كفيل ، أؤديه إليه .

وهو قول المؤذن الذى كان ينادى عليهم ..

اشعاعات

ذلك بلاء جديد .. وأزمة خطيرة يتعرض لها أولاد يعقوب ..
إله آتهام يوجه إليه .. إنكم لصوص ..
وأى شيء فيه يهتمون ؟
في مكياج الملك .. الذى هو من الذهب الخالص ..
والذى له شهرة عالمية .. حيث تكال به الحبوب للناس جميعا .. من جميع أنحاء العالم ..
كأس الملك .. بلغة اليوم ..
كأس من ذهب خالص .. مرصع بالجواهر الثمينة ..
إنه قطعة فنية نادرة .. تقدر بالملايين ..
فضلا عن قيمته التاريخية .. والأثرية ..
إن رجال الأمن فى الدولة يطاردون اللصوص ..
وينادونهم : انكم لسارقون !!!

-- ٧٣ --

قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« تالله » والله : أوبالله ..

وأيا ما كان فى القسم بها معنى التعجب .. كأنهم تعجبوا من رميهم بما ذكر مع
ما شاهدوه من حالهم .

فقد روى أنهم كانوا يعكفون أفواه إبلهم لئلا تنال من زروع الناس وطعامهم شيئا ،
وأشتهر أمرهم فى مصر بالعبث ، والصلاح ، والمثابرة على فنون الطاعات .

« لقد علمتم » علما جازما مطابقا للواقع .. لقد تأكد لديكم جميعا ..

« ما جئنا لنفسد فى الأرض » لنسرق ، فان السرقة من أعظم أنواع الفساد .

أو . لفسد فيها أى إفساد كان ، فضلا عما نسبتونا إليه من السرقة .
فكأنهم قالوا : ما مرنا الا فساد ببال ، ولا تعلق بخيال ، فضلا عن وقوعه منا .
« وما كنا سارقين » ما كنا نوصف بالسرقة قط .

اشاعات

أقسم إخوة يوسف على أمرين .. والله .. لقد علمتم .. ماجئنا لنفسد في الأرض ..
والله .. لقد تأكد لكم جميعا .. بكل شواهد الحال .. ماجئنا إلى هذه الأرض
الطيبة .. لنتكسب فيها الجرائم ونسرق فيها كأس الملك .
والثاني .. وما كنا سارقين .. والله .. ما كنا لصوصا .. يوما من الأيام .. حتى نحترف
السرقة في هذه الأيام !!

إنه اتهام غليظ .. يوجه إلى مجموعة من الأجانب عن البلاد .. من حكومة البلاد ..
وموضوع الاتهام شيء عظيم جدا .. مشهور جدا ..
ويزيد الاتهام قبحا .. أنه صدر عنهم ضد الدولة التي أكرمهم .. واحتفت بهم ..
وزادتهم من التمييز بدون مقابل ..
ضد رئيس الوزراء الذي أكرمهم .. فكان ردهم على أكرامه لهم .. أن اختلسوا
أعز شيء عنده .. اختلسوا كأس الملك الذي يعتبره يوسف أغلى هدية أهداها إليه الملك !!

-- ٧٤ --

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

« فما جزاؤه » فما جزاء سرقة .

ما عقوبة السارق عندكم وفي شريعتكم ؟

على أى شيء ينص قانون بلادكم ، عقابا لمن سرق مثل هذا الشيء الثمين ؟

« إن كنتم كاذبين » فى ادعاء البرائة .

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ .
« جزاؤه » عقابه .. عقوبته .

« من وجد » أخذ من وجد الصواع عنده واسترقاقه .

« في رحله » في جهازه ، في حمل بعيره .

« فهو جزاؤه » فأخذه واسترقاقه هو جزاؤه .

واختاروا عنوان الوجدان في الرحل دون السرقة مع أنه المراد لأن كون الأخذ والاسترقاق سنة عندهم ومن شريعة أيهم - عليه السلام - إنما هو بالنسبة إلى السارق دون من وجد عنده مال غيره كيفما كان .. إشارة إلى كمال نزاهتهم .. حتى كأن أنفسهم لاتطاعهم وألسنتهم لاتساعدهم على التلغظه مثبتا لأحدهم بأى وجه كان .. وكأنهم تأكيدا لتلك الإشارة عدلوا عن وجد عنده إلى من وجد في رحله .

« كذلك ، مثل ذلك الجزاء الأوفى .

« نجزي الظالمين ، بالسرقة .

والظاهر أن هذا من تنمة كلام الإخوة ، فهو تأكيد للحكم المذكور بعد تأكيد ، وبيان لقبح السرقة .. وقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها ، وهم عما فعل بهم غافلون !
وقيل : هو من كلام أصحاب يوسف - عليه السلام -

وقيل : كلامه نفسه .. أى مثل الجزاء الذى ذكرتموه نعاقب نحن كذلك .. هنا ..

في هذه البلاد .. السارقين . أى : ينص قانون بلادى على استرقاق من سرق !

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاةِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاةِ أَخِيهِ
كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

فبدأ ، فبدأ الذى كان ينادى عليهم : قفوا للتفتيش .. انكم لصوص .
أى : فبدأ المؤذن .. المنادى ..

وقيل : فبدأ يوسف - عليه السلام - فقد روى أن إخوته لما قالوا ما قالوا ، قال لهم أصحابه : لا بد من تفتيش رجالكم ، فردوهم ، بعد أن ساروا منزلاً ، أو بعد أن خرجوا من العمران اليه - عليه السلام - فبدأ .

« بأوغيتهم » أى بتفتيش أوعية الاخوة العشرة .

ولا يخفى أن الظاهر اسناد التفتيش إليه - عليه السلام - مجازى ، والمفنى حقيقة الموظفين الذى يعملون بأمره بذلك .
« قبل » قبل تفتيش .

« وعاء أخيه » بنيامين لنفى التهمة .

روى أنه لما بلغت النوبة إلى وعائه قال : ما أظن هذا أخذ شيئاً . فقالوا : والله لا تتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا .. ففعل .

« ثم استخرجها » ثم استخرج الكأس .. أى السقاية .. أو الصواع ..

وقيل : الضمير للسرقة .. ثم استخرج السرقة .. أى ثم اكتشفها ..

« من وعاء أخيه » من وعاء بنيامين .. أخيه .

والوعاء : الظرف الذى يحفظ فيه الشيء .

وعليه يكون - عليه السلام - قد فُتس كل ما يمكن أن يحفظ الكأس فيه مما كان معهم من رحل أخيه .

« كذلك » مثل ذلك السكيد العجيب ، وهو إرشاد الإخوة إلى الافناء المذكور

بإجرائه على ألسنتهم ، وحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا .

« كدنا ليوسف » صنعنا ، ودبرنا ، لأجل تحصيل غرضه ، من المقدمات التى رتبها ،

من دس الكاش ، وما يتلوه .

« ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك » أى فى سلطان الملك .

أو : في حكم الملك وقضائه .

والكلام تعليل لذلك الكيد ، كأنه قيل : لماذا فعل ذلك ؟

فقيل : لأنه لم يكن ليأخذ أخاه جزاء وجود الكأس عنده في قوانين الملك في أمر السارق ، إلا بذلك الكيد ، لأن جزاء السارق في قوانين الملك - على ما روى - أن يضاعف عليه الغرم ، أى يحكم عليه بغرامة تعادل ضعف ثمن المسروق .. فلم يكن يتمكن بمصنعه من أخذ أخيه بما نسب إليه من السرقة بحال من الأحوال .

« إلا أن يشاء الله » إلا حال مشيئته تعالى ، التى هى عبارة عن ذلك الكيد .

أو : إلا حال مشيئته تعالى للأخذ بذلك الوجه .

« ترفع درجات » أى رتبا كثيرة ، عالية من العلم .

« من نشاء » من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه المصلحة ، كما رفعنا

يوسف - عليه السلام -

وإثار صيغة الاستقبال للاشعار بأن ذلك سنة مستمرة ، غير مختصة بهذه المادة .

« وفوق كل ذى علم » من أولئك المرفوعين .

« عليم » لا ينالون شأوه .

وفى صيغة المبالغة مع التنكير والاتفات إلى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز شأنه ، وجلالة مقدار علمه ، المحيط ، جل جلاله ، مالا يحفى .

وقيل : أى ترفع درجات عالية ، من نشاء رفعه ، وفوق كل منهم عليم . . هو

أعلى درجة .

قال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فوق كل عالم عالم ، إلى أن ينتهى العلم

إلى الله تعالى .

اشعاعات

ثم استخرجها !!؟

فيها جمال عجيب !!!

كأن هناك ضجة ... ورجة ... وتفتيش ... وبحث ... ودولة بأكلها تبحث عن كأس الملك ..

وأخيرا .. اكتشفوها .. مخبأة .. في وعاء بنيامين .. بطريقة عجيبة .. فاستخرجوها ..

وأعلنوا اكتشافها !!!

كل ذلك تحويه هذه الحكمة « ثم استخرجها » !!!

ثم ماذا؟ ثم في الآية اعاجيب ... ونواميس ...

الناموس الأول ... « كذلك كدنا » ..

الله يكيّد .. الله يدبر الأمور تديرا تخفي مراميه على الخلق ..

لقد شاء الله ليوسف أن يأخذ أخاه .. ويحتجزه معه ..

فماذا حدث ؟

حدث هذا الذي حدث ... من دس كأس الملك في وعاء بنيامين ... ثم جرى رجال

المباحث العامة وراء القافلة بعد أن غادرت العمران .. ثم استوقفوهم .. بتهمة السرقة ..

ثم كان جدال ..

ثم سألوهم ماعقوبة السارق عندكم ؟

فقال الإخوة : أن يسترق .

فوافق يوسف على أن يحاكمهم بقانونهم .. وقانون بلادهم ، لا بقانون مصر

آنذاك ..

فكان ذلك كيدا من الله ليوسف ..

أى تديرا له تعالى .. ليحقق ليوسف غرضه من استبقاء أخيه معه !!

وذلك ناموس إلهي يسرى دائماً وأبداً ..
أن الله تعالى يدبر الأمور .. تدبيراً فوق ادراك الخلق .. ويدق على أفهامهم ..
لقصور علمهم ..

الناموس الثاني .. وفوق كل ذي علم عليم ..
قال في حق الخلق « ذى علم » .. وقال في حقه تعالى « عليم » ..
فما معنى هذا ؟

معناه عميق جداً جداً ..
أن علم الخلاق .. مؤقت .. مستعار .. موهوب لهم .. ليس علماً ذاتياً .. قائماً بهم ..
ولذلك قال « ذى علم » .. أى صاحب علم .. مؤقت .

وأن علم الله . ذاتي .. قائم به تعالى .. لا يزول .. ولا يحول .. ولا ينتهي ولا يتناهى ..
ولذلك قال « عليم » !!!
تأمل !!؟

مستحيل أن تكون هذه الدقة .. وهذا الاحكام .. من كلام بشر !!!
وفيها أن علوم الخلق تتناهى .. ومحدودة ..
وأن علم الله لا يتناهى ..

وفيها أن العلم ذاته لا نهاية له بالنسبة للخلق .. وأن عليهم أن يستزيدوا منه دائماً ..
وفيها أن العلم درجات ..
وأن الله يهب تلك الدرجات لمن يشاء ..

وهذا هو الناموس الثالث .. « نرفع درجات من نشاء » .. العلم مراتب .. آفاق وراء
بعضها البعض .. مستويات مختلفة ..

والله تعالى يرفع من يشاء إلى ما شاء من تلك المراتب ..
لأنه محض فضله تعالى .. ومحض تفضله ..

وانه تعالى له مطلق الحرية .. فى رفع من شاء من عباده .. إلى ما شاء من درجات العلم والمعرفة ..

- ٧٧ -

قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالُوا أَنْتُمْ شَرُّ مِمَّا كُنَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ .

« قالوا ، قال إخوة يوسف .

« إن يسرق ، إن يسرق بنيامين .

« فقد سرق أخ له من قبل ، يريدون به يوسف - عليه السلام - وما جرى عليه من

جهة عمته .

عن مجاهد قال : كان أول ما دخل على يوسف - عليه السلام - من البلاء - فيما بلغنى أن عمه كانت تحضنه ، وكانت أكبر ولد إسحاق - عليه السلام - وكانت إليها منطقة أبيها ، وكانوا يتوارثونها بالكبر ، فكانت لا تحب أحدا كحبها إياه ، حتى إذا تبرع وقعت نفس يعقوب إليه فأتاها فقال : يا أختاه سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عنى ساعة ، فقالت : والله ما أنا بتاركته فدعه عندى أيا ما أنظر إليه لعل ذلك يسلىنى فلما خرج يعقوب - عليه السلام - من عندها عمدت إلى تلك المنطقة فحزمتها على يوسف - عليه السلام - من تحت ثيابه ثم قالت : فقدت منطقة أبى إسحاق فانظروا من أخذها فالتست ثم قالت : اكشفوا أهل البيت ، فكشفوهم فوجدوها مع يوسف - عليه السلام - فقالت : إنه سلم لى أصنع فيه ماشئت فأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك إن كان فعل ، فامسكته ، فما قدر عليه حتى ماتت .

والمعنى : إن كان سرق فليس يبدع اسبق مثله من أخيه ، وكانهم أرادوا بذلك دفع المعرفة

عنهم ، واختصاصها بالشقيقين .

« فأسرها يوسف ، فأخبر يوسف الحزازة التي حصلت له - عليه السلام - بما قالوا .

وقيل : أضرر مقاتلهم ، أو نسبة السرقة إليه ، فلم يجبههم عنها .
« في نفسه » لأنه أسرها لبعض أصحابه ، كما في قوله تعالى : (وأسرت لهم أسراراً)
« ولم يبيدها » ولم يظهرها .
« لهم » لا قولاً ولا فعلاً ، صفحا لهم وحلماً .
« قال » قال يوسف في نفسه .
« أنتم شر مكاناً » أنتم شر منزلة في السرقة .
وحاصله انكم أثبت في الاتصاف بهذا الوصف وأقوى فيه ، حيث سرقتهم أخاكم من
أيكم ، ثم طفتهم تفترون على البرى .
« والله أعلم بما تصفون » والله عالم علماً بالغاً إلى أقصى المراتب بأن الأمر ليس كما
تصفون صدور السرقة منا .

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف ، عندما شاهدوا تخايل أخذ بنيامين مستعطفين .
« يا أيها العزيز » يا صاحب الدولة والفخامة .
« إن له أباً شيخاً كبيراً » إن لهذا الذي تريد أن تأخذه جزاء سرقة أباطعنا في السن
لا يكاد يستطيع فراقه ، وهو يتسلى به عن شقيقه المالك .
وقيل : أرادوا مسناً كبيراً في القدر .

« فخذ أحدنا مكانه » بدله ، فلنسا عنده بمنزاته من المحبة والشفقة .
« إنا نراك من المحسنين » إلينا فأنتم احسانك ، فما الانعام إلا بالاتمام .
أو : من عادتك الإحسان مطلقاً ، فاجر على عادتك ، ولا تغيرها معنا ، فنحن أحق
الناس بذلك

- ١٤٣ -

- ٧٩ -

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لظَالِمُونَ .

« قال » قال يوسف .

« معاذ الله » نعوذ بالله تعالى معاذاً من . .

« أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده » لأن أخذنا له إنما هو بقضية فتواكم ، فليس لنا الأخلاق بموجبها .

« إنا إذا » إذا أخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه .

« لظالمون » في مذهبكم وشرعكم ومالنا ذلك :

- ٨٠ -

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّبْتُمْ فِي يُوسُفَ فَانْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكَمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

« فلما استيسسوا منه » فلما يئسوا من يوسف - عليه السلام - واجابته لهم إلى

مرادهم .

أى : يئسوا بأساً كاملاً ، ولعل حصول هذه المرتبة من اليأس لهم لما شاهدوه من عوده بالله تعالى بما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في أقصى مراتب الكراهة وأنه بما يجب أن يحذر عنه ويعاذ بالله تعالى منه ، ومن تسميته ذلك ظلماً بقوله : (إنا إذا لظالمون) .

« خلصوا » انفردوا عن غيرهم واعتزلوا الناس .

« نجياً » متناجين متشاورين فيما يقولون لأبيهم .

« قال كبيرهم » رئيسهم ، وهو شمعون .

أو : كبيرهم في السن ، وهو روبييل .
« ألم تعلموا ، كأنهم أجمعوا عند التناحي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرًا
عليهم .

« أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ، عهدا يوثق به ، وهو حلقهم بالله تعالى
وكونه منه تعالى لأنه باذنه فكأنه صدر منه تعالى أو هو من جهته سبحانه .
« ومن قبله ، ومن قول هذا .

« ما فرظتم في يوسف ، قصرتم في شأنه . ولم تحفظوا عهد أبيكم فيه ، وقد قلتم ما قلتم .
وما مزيدة .. وهذا على ما قيل أحسن الوجوه في الآية وأسلمها .
أى : ومن قبل هذا فرظتم في يوسف .
« فلن أبرح الأرض » فلن أفارق أرض مصر .

« حتى يأذن لي أبي » بالانصراف إليه .
« أو يحكم الله لي » بالخروج منها على وجه لا يؤدي إلى نقض الميثاق .
أو : بمخلص أخى بسبب من الأسباب .
« وهو خير الحاكمين » إذ لا يحكم سبحانه إلا بالحق والعدل .

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَيْبِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ .

« ارجعوا إلى أيبكم فقولوا له .
« يا أبانا إن ابنك سرق » الظاهر أن هذا الكلام من تنمة كلام كبيرهم .
« وما شهدنا » عليه .

« إلا بما علمنا » من سرقة ، وتبقيناه ، حيث استخرج كأس الملك من رحله .

« وما كنا للغيب حافظين » وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق .

أو : ما علمنا أنك مستصاب به كما أصبت بيوسف .

- ٨٢ -

وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ .

« وسئل القرية التي كنا فيها » وارسل من تثق به إلى أهل المدينة التي كنا فيها واسألهم

أى : واسأل أهل مصر ...

« والعير التي أقبلنا فيها » واسأل أصحاب القافلة الذين توجهنا فيهم وكنا معهم فان

القصة معروفة فيما بينهم .

وكانوا قوما من كنعان ، من جيران يعقوب - عليه السلام - .

« وإنا لصادقون » فيما أخبرناك به .

- ٨٣ -

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْمْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي
بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

« قال » قال أبوهم عندما رجعوا إليه فقالوا له ما قالوا .

« بل سولت لكم أنفسكم أمرا » بل زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا من الأمور

فأتيتموه .

والتنوين في (أمرا) للتعظيم أى : أمرا عظيما .

« فصبر جميل » أى فأمرى ذلك ، أو فصبر جميل أجل .

والصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه .

« إنه هو العليم » بحالى وحالم .

« الحكيم » الذى يبتلى ويرفع البلاء حسب الحكمة البالغة .

قيل : إجماعى - عليه السلام - للرؤيا التي رآها يوسف - عليه السلام -

فكان ينتظرها ، ومحسن ظنه بالله تعالى ، فانه قد جرت سنته تعالى أن الشدة إذا تهاوت
يجعل وراءها فرجا عظيما .

اشعاعات

فصبر جميل ١٩

كلمة عالية .. من يعقوب .. عليه السلام ..
تدل على أن الأنبياء لهم شأن غير شأن الناس جميعا ..
سوف لأشكو .. وإنما سوف اصبر ..
« إنه هو العليم » بي .. وبآلامى وأحزاني .. على فقد هذين الولدين ..

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ
فَهُوَ كَعِظِيمٍ .

« وتولى » وأعرض .

« عنهم » كراهة لما جاؤا به .

« وقال : يا أسفى على يوسف » الأسف أشد الحزن على ما فات ،

ياحزنى على يوسف ..

قالوا : إن مثل هذه المحبة الشديدة تزيل عن القلب الخواطر ، ويكون صاحبها كثير
الرجوع إليه تعالى ، كثير الدعاء والتضرع ، فيصير ذلك سببا لسكال الاستغراق .
« وابيضت عيناه من الحزن » أى بسببه .

وهو فى الحقيقة سبب للبكاء ، والبكاء سبب لايبضاض عينه .

والايبضاض . قيل أنه كناية عن العمى ، فيكون قد ذهب بصره - عليه السلام -

بالكلية .

وقيل : المراد من الآية أنه - عليه السلام - صارت في عينيه غشاوة بيضتهما -
وكان - عليه السلام - يدرك ادراكا ضعيفا .

قيل : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب - عليها السلام - إلى يوم رجع
ثمانون سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديه ، ولم يزل يبكي حتى ذهب
بصره . وما على الأرض يومئذ والله أكرم على الله تعالى منه .

« فهو كظيم » مملوء من الغيظ على أولاده ، ممسك له في قلبه لا يظهره .

وقيل : مملوء من الحزن ، ممسك له لا يبيديه .

أو : شديد التجرع للغيظ أو الحزن لأنه لم يشك إلى أحد قط .

اشعاعات

ما هذا ؟ هذا مقام يعقوب - عليه السلام - ثمانون عاما .. وهو حزين .. دائم
البكاء .. ولكن .. لا يث ما به إلى أحد .. وإنما إلى الله ..

لماذا هذا ؟

ليكون مع الله دائما ..

حتى عمى .. واصبحت الدنيا ظلاما دائما ..

لماذا ؟ لينتقل إلى نوره تعالى ..

أرأيت ؟ حيلولة تامة بينه وبين الدنيا .. بينه وبين أحب ابنائه إليه .. ثم ولده الثاني ..
الذي يأتي في المرتبة الثانية من حبه ..

ثم اسدال الستار على الدنيا .. وحجبها عنه .. بالعمى ..

كل ذلك تقطيع للأسباب .. ليعود إليه تعالى وحده !!!

فلا شيء يراه يعقوب بعد الآن .. بعينه ..

ولا وجه يوسف .. الجميل .. أمامه ..

وإنما لم يعد للرجل شيء .. إلا الله ..

وهذا هو هدف البلاء ..

إن هذا الحزن الدائم .. وهذا الفقد الدائم ..

طريق يعقوب .. إلى ربه ..

إنه مقام يعقوب .. وبالله من مقام !!

-- ٨٥ --

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَيًّا تَكُونُ حَرَضًا أَوْ تَكُونُ
مِنَ الْهَالِكِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف .

وقيل : غيرهم من أتباعه — عليه السلام — .

أو : معارفه .

« تالله تفتأ » أى لا تفتأ ولا تزال .

« تذكر يوسف » تفجعاً عليه .

أى تقسم بالله تعالى لا تزال ذاكر يوسف متفجعاً عليه ...

« حتى تكون حرصاً » مريضاً ، مشفقاً على الملاك .

وقيل : الحرص من أذابه م أو مرض أو جعله مهزولاً نحيفاً .

« أو تكون من الهالكين » أى المبتلين ...

-- ٨٦ --

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

« قال » يعقوب — عليه السلام —

« إنما أشكو بنى » الظاهر أن القوم قالوا ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء ، فقال

في جوابهم : إني لا أشكو ما بنى إليكم أو إلى غيركم حتى تصيدوا لتسليتي وإنما

أشكو غي ..

والبث هو الغم الذي لا يطيق صاحبه الصبر عليه . كأنه ثقل عليه فلا يطيق
حمله وحده ...

« وحزنى إلى الله » تعالى ، ملتجئاً إلى جنابه . متضرعاً في دفمه لدى بابه ، فإنه القادر
على ذلك .

وى الخبر عن ابن عمر قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كنوز البر ،
إخفاء الصدقة ، وكتمان المصائب ، والأمراض ، ومن بث لم يصبر » .
« وأعلم من الله » من لطفه ورحمته .

« ما لا تعلمون » فأرجو أن يرحمني ، ويلطف بي ، ولا يخيب رجائي .

اشعاعات

فيها أنوار عجيبة ...

النور الأول .. إنما أشكو بثي وحزني ... إلى الله ...

أى مالكم وشأني .. إنما هو شيء بيني وبينه ... أبته غمى .. وأرفع إليه حزني ...
إنه شيء يمش في يقوب .. ويرى فيه مقامه ...
فلا شأن لكم بذلك ،

النور الثاني ... وأعلم من الله ما لا تعلمون ...

ماذا يعلم يقوب من الله ؟

هذا ايضاً .. مقام يقوب وحده ... إن الله تعالى علمه شيئاً خاصاً به ..
يعلم عنه تعالى الكثير ..

ويعلم لماذا ابتلاه بهذا البلاء للشاق ؟

لماذا ابتلاه في يوسف بالذات ؟

لماذا اختار الله تعالى أن يكون البلاء في الولد ... الذي أهله ليحمل الرسالة من بعده ...

ويرث النبوة عنه ؟

ويعلم كثيراً .. وكثيراً .. مما لا سبيل إليه ..
وإنما الضوء الذي يشرق علينا من ذلك التعبير ... أن الأنبياء لهم علم بالله ... فوق
علومنا جميعاً ... وأنهم أعلم الخلق بالله ..

« عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كان يعقوب أخ مؤاخ في الله تعالى

« فقال ذات يوم ليعقوب : يا يعقوب ، ما الذى أذهب بصرك ؟

« قال : البكاء على يوسف .

« قال : ما الذى قوس ظهرك ؟

« قال : الحزن على بنيامين .

« فأتاه جبريل ، فقال : يا يعقوب ، إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : أما تستحي ،

تشكونى إلى غيرى ؟!

« قال : إنما أشكو بنى وحزنى إلى الله

« فقال جبريل : الله أعلم بما تشكو يا يعقوب

« ثم قال يعقوب : أى رب ، أما ترحم الشيخ الكثير ؟ أذهبت بصري ، وقوست

ظهري ، فاردد على ريماتي ، أشمه شمة قبل الموت ، ثم اصنع بي ما أردت

« قال : فأتاه جبريل ، فقال : إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : أبشر ، وليفرح

قلبك ، فوعزنى لو كانا ميتين لنشرتهما ، فاصنع طعاما للمساكين ، فإن أحب عبادى إلى

الأنبياء والمساكين

« اتدرى لم أذهبت بصرك ، وقوست ظهرك ، وصنع إخوة يوسف بيوسف

ما صنعوا ؟

« انكم ذبحتم شاة ، فأتاكم مسكين ، يقيم ، وهو صائم

« فلم تظلموه منها شيئاً !

« قال : فكان يعقوب ، بعد ذلك ، إذا أراد النداء ، أمر مناديا فنادى : ألا من أراد النداء من المساكين فليتند مع يعقوب .
« وإن كان صائما ، أمر مناديا فنادى : ألا من كان صائما من المساكين ، فليفطر مع يعقوب (عليه السلام) » .
[رواه الحاكم]

يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسُّوْا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ
اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ .

« يا بنى اذهبوا فتحسسوا » أى فتعرفوا .
وهو تفعل من الحس ، وهو فى الأصل الإدراك بالحاسة ، وكذا أصل التحسس طلب الإحساس .

« من يوسف وأخيه » أى من خبرها .

ولم يذكر الثالث لأن غيبته اختيارية لا يعسر ازالها .

« ولا تياسوا من روح الله » لا تقنطوا من فرجه سبحانه وتنفيسه .

أو : لا تياسوا من رحمة الله .

أو : من فضل الله .

« إنه » أى الشأن .

« لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون » لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته .

فإن العارف لا يقنط فى حال من الأحوال .

قال ابن عباس : إن المؤمن من الله تعالى على خير ، يرجوه فى البلاء ، ويحمده فى الرخاء .

قالوا : الياس لا يحصل إلا إذا اعتقد الإنسان أن الإله غير قادر على الكمال ، أو غير

عالم بجميع المعلومات ، أو لبس بكريم .

« واعتقاد كل من هذه الثلاث يوجب الكفر، فإذا كان اليأس لا يحصل إلا عند حصول
أحدها وبمنها كفر، ثبت أن اليأس لا يحصل إلا لمن كان كافرا ». .
واستدل بعضهم بالآية على أن اليأس من رحمة الله تعالى كفر، وادعى أنها ظاهرة في
ذلك .

جاء عن ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : إن اليأس أكبر الكبائر .
وكذا القنوط ، وسوء الظن .

وفرقوا بينها ، بأن اليأس عدم امل وقوع شيء من أنواع الرحمة له ، والقنوط هو ذلك
مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع ، وسوء الظن هو ذلك مع انضمام
أنه مع عدم رحمته له يشدد له العذاب كالكفار .

اشعاعات

فما أطلقه يعقوب ... من قوله : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله
إلا القوم الكافرون » ... اشعاعات عالية جدا .. تنير الطريق أمام الحيارى ، والضائعين
والبائسين ، في ظلمات هذه الحياة ..
إن الناس جميعا ... إلا من رحم .. يتهاونون في بالوعة الضباع .. من هنا .. ومن
هنا وحده ..

كم من شباب .. اندفع إلى الانتحار .. يأسا من الحياة ؟
كم من الملايين اندفعت إلى الإنهيار .. يأسا من أحوالها ؟
كم من أصناف الناس .. أعطوا ظهورهم لله .. يأسا من رحمته ؟
كثير .. كثير .. جدا .. جدا ..

فما هو هذا اليأس .. الذى يدفع الناس إلى هاوية الجحيم ؟
هو أن يستقر في مفاهيم الناس أن الله سوف لا يفعل بهم خيرا .. وأنهم سيمكثون
فيهم فيه من عذاب حتى الموت !!

وهذا التشاؤم .. يسود الحياة في عيني الإنسان .. ويدفعه إلى الإيهيار .. والتخلخل ..
وعدم الإيمان بشيء كريم ..

وهو صفة من صفات الكافر بالله ..

لأنه لو آمن بالله ، لعلم أن الله واسع الرحمة .. وأن رحمته وسعت كل شيء ..

ولسكان دائماً في انتظار فرجه تعالى .. ورحمته تعالى .. القادمة إليه ..

ان اليأس ظلام .. يصيب القلب فيحجبه عن النور .. نور الله ..

كما أن الظلم ظلام ..

ومتى أظلم الإنسان .. عمى .. فلم يبصر شيئاً ..

فكان سهلاً على الشيطان أن يعبث به .. ويدفعه إلى المهالك ..

إنه نور عظيم - يصدر عن يعقوب - عليه السلام - حين أعلن « لا تيأسوا من

روح الله » ...

وحين اذاع ذلك الناموس الالهى العظيم « إنه لا يأس من روح الله إلا القوم

الكافرون » ..

فجعل اليأس من رحمة الله .. موازياً للكفر بالله ..

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا
بِمَضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
الْمُتَّصِدِّقِينَ .

« فلما دخلوا عليه » أى على يوسف - عليه السلام - بعد ما رجعوا إلى مصر ،

بموجب أمر أبيهم .

وإنما لم يذكر ايذاناً بمسارعتهم إلى ما مروا به ، واشعاراً بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر

إلى الذكر والبيان .

« قالوا يا أباها العزيز » يحاضرة صاحب الدولة والفخامة .. يا أيها الملك القادر المنيع .
« مسنا وأهلنا الضر » الهزال من شدة الجوع .. والمراد بالأهل ما يشمل الزوجة
وغيرها .

« وجئنا ببضاعة مزجاة » مدفوعة ، يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا .
أى جئنا ببضاعة قليلة ، تافهة ، لا قيمة لها .. وهى كل ما نملك ، أو نستطيع تقديمه ..
والظاهر أنهم قدموا هذا الكلام ليسكون ذريعة إلى اسعاف مرامهم يبعث الشفقة
وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا ..

« فأوف لنا الكيل » فأتمم لنا الكيل ، ولاتنقصه لقلّة بضاعتنا . أو رداها .

« وتصدق علينا » بالايفاء ، أو بالمساحمة وقبول تلك البضاعة التافهة .

أو : بالزيادة على مايساويها .

وقيل : أنهم أرادوا تصدق علينا برد أخينا بنيامين على أبيه .

وهو الأنسب بحالمهم بالنسبة إلى أمر أبيهم ، وكأنهم أرادوا تفضل علينا بذلك لأن
رد الأخ ليس بصدقة حقيقية .

« إن الله يجزى المتصدقين » قالوا : فى العلول عن إن الله تعالى يجزيك بصدقتك
إلى ما فى النظم الكريم مندوحة عن الكذب فهو من المعارض ، فانهم كانوا يعتقدونه
ملسكا كافرا .

أى : إن الله يجزى المتصدقين عموما ويشيهم ..

اشعاعات

فى تلك المرحلة .. كانت هناك ثلاث أمور ..

بلنت شدة يقوب أقصاها ..

بلنت ذلة إخوة يوسف أقصاها ..

فقد جاءوه يستهطفون .. ويطلبون الصدقة ..

بلنت عزة يوسف أفضاها .. فهوفي مقام الملك والتسكن والتنى . . . وهم .. هناك .. في
مقام البقر .. والحاجة .. والذلة ..

فما معنى هذا؟

معناه أن شدة يقوب .. قد آذنت بالانفراج ..

وهذا ما سيكون ..

-- ٨٩ --

قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ .

« قال » قال يوسف - عليه السلام - مجيبا عما عرضوا به ، وضمنوه كلامهم

من ذلك .

« هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه » هل علمتم قبح ما فعلتموه زمان جهلكم قبحه ،

وزال ذلك الجهل أم لا؟

والظاهر أنه - عليه السلام - لما رأى ما رأى منهم وهو من أرق خلق الله تعالى ،

قلبا .. شرع في كشف أمره ..

ومراد - عليه السلام - تعظيم الواقعة ، أى ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وأخيه .

روى : أنهم لما استعطفوه رق لهم ، ورحمهم ، حتى أنه سال دمه با كيا ، ولم يملك

نفسه ، فشرع في التعرف لهم .

وأراد بما فعلوه به جميع ماجرى ، وبما فعلوه بأخيه أذام له ، وجفاءهم إياه ، وسوء

معاملتهم له .

« إذ أنتم جاهلون » جاهلون بما يؤول اليه الأمر .

والظاهر أن ذلك لم يكن تشفيا ، بل حث على الاقلاع ، ونصح لهم لما رأى من مجرم

وتمسكنهم ما رأى ، مع خفي معاتبة على وجود الجهل ، وأنه حقيق الانتفاء في مثلهم .

اشعاعات

وكان موقفا .. رانعا .. خالدا ..

رجال .. تسعة .. يتذللون .. ويتمسكونون .. ويسألون ..

ويوسف .. في أعلى مقامات القوة .. والسلطان .. والتسكن ..

ينادونه : يا أيها العزيز ..

وهم في أتند الحاجة إلى حفنة قمح مما تحت يديه !!

وكانت مفاجأة .. لهم .. جميعا ..

حين قال لهم ذلك العزيز : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه ؟

هل تذكرون .. هل يذكر أحد منكم يوم أخذتم طفلا صغيرا .. وأجمعتم على

إلقائه في البئر .. ليهلك ؟

هل تذكرون ما كنتم تفعلون بي وبأخي من إيذاء .. واضطهاد ؟

هل تذكرون .. تلك الجهالات .. التي كانت تصدر منكم ؟

وهكذا .. كما أوحى الله إليه .. ساعة القائه في البئر : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن

يحملوه في غياث أُلجِبَ وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » .

[الآية ١٥ من تلك السورة] ..

أرأيت ؟ .. لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ؟!

وهاهو يوسف - عليه السلام - ينبئهم بأمرهم هذا .. يذكرهم بتلك القصة ..

قصة قذفه في بئر جافة .. لأماء فيها ولا سبيل إلى الخروج منها ..

هاهو ينبئهم بها .. وهم لا يشعرون .. في وقت هو أبعد ما يخطر على بالهم أن يكون

هذا الحاكم العظيم .. هو ذلك الطفل الذي ألقوه يومها ليتخلصوا منه .. أو يهلك

إلى الأبد !!

إذ أنتم جاهلون ؟

لو كنتم تعلمون أنى سأنتهى إلى تلك النهاية العظيمة ما فعلتموها .. ولكنكم كنتم تجهلون ذلك!!

- ٩٠ -

قَالُوا أَهٗ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .

« قالوا » قال إخوة يوسف - عليه السلام -

« أإنك لأنت يوسف » استبعدوا أن يكون العزيز يوسف ، أو يوسف عزيزا !
استفهام تقرير .. ولذلك أكد بأن واللام ..
أإنك .. لأنت .. يوسف !!؟

غير مقبول .. أنت يوسف !!؟ أنت !!؟ .. أنت يوسف عينه !!؟

« قال : أنا يوسف » نعم .. أنا يوسف .. أنا شخص يوسف .. بعينه وذاته ..
« وهذا أخى » وهذا .. بنيامين .. أخى .. شقيقى ..

. مبالغة فى تعريف نفسه ..

« قد مَنَّ اللهُ علينا » هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال ، فأنا يوسف ،
قدمنَّ اللهُ تعالى علينا بالخللاص ، عما ابتلينا به ، والاجتماع بعد الفرقة ، والعزة بعد الذلة ،
والأنس بعد الوحشة .

« إنه » أى الشأن .

« من يتق » من يفعل التقوى فى جميع أحواله .

أو : يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه .

« ويصبر » على البلياء والمحن .

أو : على مشقة الطاعات .

أو : عن المعاصى التى تستلذها النفس .

« فان الله لا يضيع أجر الحسنين » فان الله تعالى يكافئهم حتما .. جزاء إحسانهم
وصبرهم .. وتقواهم ..

اشعاعات

من ذهول المفاجأة .. انهم ظلوا جميعا يتمجبون .. ويرددون ..
نك .. لأنك .. يوسف ١١١٩
أنت يوسف ؟ ١١١٩
مستحيل .. أن يكون ذلك ؟ ١١٩
من أين لك ملك .. وهذه الأنهار تجري من تحتك ؟
من أين لك .. كل هذا الذي أنت فيه ؟
من أين لك الوصول إلى الحكم في هذه البلاد ؟
وحتى لو وصلت إلى الحكم ، فكيف تأتي لك اختزان تلك الجيوب .. سنين طويلة ..
حتى سيطرت على منطقة الشرق الأوسط كلها ؟
وتبسم يوسف .. وقال : أنا يوسف ..
فازدادوا دهشة ..
ثم ازدادوا دهشة .. حين فاجأهم :
وهذا أخى .. وأشار إلى بنيامين ..
شقيقي .. ورفيقي .. في البلاء .. والاضطهاد .. منكم ..
ثم تكامت النبوة .. وتلا لأت ثناياها .. وأشرقت بنورها :
قد منَّ الله علينا ..
لاوجه للمعجب .. كل ما هنالك أن الله تعالى أراد أن يمن علينا .
أن يتفضل علينا .. فأنا ما آتانا .. فضلا منه .. ومِنَّة .
فما وجه المعجب في ذلك ؟

لأنها النبوة .. تطلق نواميس الخلود !!
ثم تلاًلاً .. وتلاًلاً : إنه من يتق ويصبر .. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ..
هذا هو الناموس العظيم .. الالهى .. الذى أذاعه يوسف — عليه السلام — فأذاع
به سرا عظيماً من أسرار الله تعالى فى خلقه ..
عنصران .. اثنان .. هما شرط عدم الضياع عند الله ..
من يتق .. ويصبر ..

اتقاء المعاصى .. اتقاء كل ما نهى الله عنه .. الابتعاد عن كل شىء يغضب الله ..
ومتى ابتعد الانسان عن المعاصى .. متى توقف عن الانهيار إلى أسفل فقد تماسك عند
نقطة الصفر ..

فعلية أن يبدأ الارتقاء إلى أعلى .. السير إلى الله .. إلى القرب ..
وهذا هو الصبر .. الصبر على معاناة متاعب الصعود .. نحو الله ..
كلما اعترضه ما يصدده .. صبر .. وصابر .. وواصل السير ..
ثم ماذا ؟ ثم ينتقل إلى المرحلة الثالثة .. مرحلة الاحسان .. مرحلة الإبصار ..
وادراك الحقيقة ..

إذا .. تعبير يوسف — عليه السلام — « المحسنين » .. كما يريد أن يقول :
الاحسان هو أن تتقى وتصبر .. وبدون تقوى وصبر فلا إحسان .. وكأنه يريد أن يقول :
من استوفى التقوى والصبر فهو محسن . أو من أراد أن يصل إلى مقام الإحسان ..
فعليه أن يكون تقياً .. وأن يكون صابراً .

ثم ماذا ؟ .. إن الله لا يضيع أجر المحسنين ؟
مستحيل .. هناك استحالة .. أن يضيع الله أجر إنسان أحسن فى حياته .. أجر انسان
اتقى .. وصبر ..

بل لا بد أن يكافئه .. فى الدنيا .. وفى الآخرة ..

تلك سنة الله .. ولن تجد لسنة الله تبديلاً ..

ثم ماذا؟ ثم انظر إلى التعبير .. من يتق .. ويصبر ..!٩٠٠
افعال مضارعة.. تدل على الاستمرار ..
أى : من هو شأه دائما .. من استمر على التقوى .. واستمر على الصبر ..
لأنه لا عبرة بتقوى مؤقتة .. وصبر مؤقت .. ثم تدهور بعد ذلك وانقلاب ..
وتذبذب ..
إنما هو انسان دائما تقيا .. ودأما صابرا .. ما استطاع إلى ذلك سبيلا .. اتقوا الله
استطعتم !!
إنها النبوة .. تصدر اشعاعاتها !!

قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اَللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِئِيْنَ .

« قالوا » قال أخوة يوسف ... حين انكشفت لهم الحقيقة ... وبهرتهم اشعاعات النبوة ..

« تالله » نقسم بالله تعالى

« لقد آثرك الله علينا » لقد اختارك الله ، وفضلك علينا ..

لقد اختارك الله يا يوسف ... من دوننا جميعا ... واحتصك بمراث النبوة ... نبوة

آبائك ابراهيم ... واسحاق .. ويعقوب ...

ثم آثرك علينا بالملك .. فأعطاك ملك مصر تنبؤاً منها حيث تشاء ...

و آثرك علينا في الصورة .. فجعلك أحسن الناس صورة ...

و آثرك علينا في كل شيء .. فأعزك ، وأذلنا ...

وأغناك وأفقرنا ...

« وإن » أى والحال أن الشأن ..

« كنا لخاطئين » كنا لمتعمنين للذنب إذ فعلنا ما فعلنا ، ولذلك أعزك وأذلنا ..

و (خاطئين) من خطيء إذا تعمد .
وأما أخطأ : فقصد الصواب ولم يوفق له ..

اشعاعات

بينما ... يوسف ... في انطلاقات الرحمة ... يجوس خلالها ... كيف شاء ...
يسبح في بحار ... أنوار ... النبوة ...
بيده ... وتحت أمره ... أمر مصر ... يتبوأ منها حيث يشاء ...
ينعم ... بحب أهل مصر جميعاً ...
إذا بهؤلاء ... في ضيق الفقر ... وذل الحاجة ... وجفاف البعد !!!
لماذا ؟

لأن هذا اتقى .. وصبر ... فلم يضيعه الله ... بل حفظ له حقه عنده ... وأفاض عليه
لقاء سلوكة ...

وهؤلاء لم يتقوا .. ولم يصبروا ... فكان الجزاء من جنس العمل ...

قَالَ لَا تَنْزِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

«قال» قال يوسف - عليه السلام - وهو في مقام القوة والتمسك ...

« لا تنزيب » لا تأنيب ولا لوم ..

« عليكم اليوم » بعد اليوم .

« يغفر الله لكم » إني لأرجو الله تعالى ، وأسأله أن يغفر لكم ما كان منكم ..
أى يستر ذنوبكم يوم القيامة ويتجاوز عنها .. وإني لأثق أنه تعالى سوف يغفر لكم ما كان
منكم ...

والحكم بذلك مع أنه غيب قيل : لأنه - عليه السلام - صفع عن جريمتهم حينئذ ،

وهم قد اعترفوا بها أيضاً، فلا محالة أنه سبحانه يفر لهم ما يتعلق به تعالى، وما يتعلق به
— عليه السلام — بمقتضى وعده جل شأنه بقبول توبة العباد...
«وهو أرحم الراحمين» فان كل من يرحم سواه — جل وعلا — فأنما يرحم برحمته
سبحانه.

اشعاعات

يبدو... أن يوسف — عليه السلام — كان ما بها وقتها... في بحار... أنوار...
الرحمة...
انظر... لا تريب عليكم... اليوم... يفر الله لكم... وهو أرحم الراحمين...
هذه انطلاقات... من بحار الرحمة التي كان يسبح فيها...
لا تريب عليكم... لا لوم عليكم... لن ألومكم... ولن أقول شيئاً... إنما هي
المقادير.. ولشكل شيء قدر!!
اليوم... لا ألومكم الآن... ولا بعد الآن... لأن القدر لاحيلة فيه...
« يفر الله لكم »... إحساس عميق عند يوسف... ورغبة شديدة منه أن يتجاوز
الله لهؤلاء عما كان منهم...
ثم ماذا؟...
ثم يطلق يوسف... ذلك الناموس الخالد... وهو أرحم الراحمين...
حياة... جميلة... وهي تنبثق من ثناياه...
هو... أرحم... الراحمين!؟
وفي بساطة تامة... « ورحمتي وسعت كل شيء »...
فما من شيء إلا وهو مغموس في رحمته تعالى من أوله إلى آخره..
فكل رحمة يتراحم بها الخلق... هي أصلا منه... مما منحهم من رحمته هو...
فكيف لا يكون أرحم الراحمين!؟

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنْتِنِي
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ .

« اذهبوا بقميصي هذا » هو القميص الذي كان عليه حينئذ كما هو الظاهر .

« فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا » أى يصر بصيرا ، ويشهد له

أو ، يأت إلى وهو بصير ، أى يحضر إلى فى مصر وهو يبصر وقد ذهب عنه العمى ..

« وأتوني بأهلكم أجمعين » من النساء والأولاد وأولاد الأولاد ..

أى : أحضروا بنى إسرائيل جميعاً إلى مصر ...

وكان أولئك الأهل نحواً من سبعين لساناً ...

وفى التوراة أن من دخل مصر من بنى إسرائيل سبعون ..

وقد نجا فى مصر ، فخرجوا منها ، مع موسى - عليه السلام - وهم ستمائة ألف وخمسمائة

وبضعة وسبعون رجلاً ، سوى الذرية والهرمى ، وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف على

ما قيل !!

اشعاعات

يقف العقل هنا مغموساً ... عاجزاً ...

ما هذا ؟ ... أيعقل هذا ؟ ...

هل مجرد إلقاء قميص على وجه أعمى يرده بصيراً ... ويرد إليه بصره ؟ !

ما السر فى ذلك ... ولماذا هذا ليوست خاصة ... دون غيره ؟ !

وهنا تقول : مكانكم ... أيها المظلومون ...

إنها معجزة ... دارت بين نبي ونبي ...

وذلك فضل الله يؤتاه من يشاء ...

ولإيكم معجزة أخرى ... صدرت عن يعقوب ... لتزدادوا عجباً !

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا
أَنْ تُفَنِّدُونِ .

« ولما فصلت العير » ولما خرجت القافلة من العريش ، قاصدة مكان يعقوب عليه السلام ، وكان قريبا من بيت المقدس ...

يقال : فصل من البلد يفصل فصولا ، إذا انفصل منه وجاوزه .

« قال أبوهم » يعقوب - عليه السلام - لمن عنده .

« إني لأجد ريح يوسف » إني لأشم ، فهو وجود حاسة الشم ... رائحة يوسف

أشمه الله تعالى ماعبق بالقميص من ريح يوسف - عليه السلام - من مسيرة ثمانية أيام

- على ماروى عن ابن عباس -

« لولا أن تفنّدون » لولا أن تنسبونى إلى الفند ... أى إلى ضعف الرأى والعقل من

الهرم وكبر السن .

ويقال ، شيخ مفند ، إذا فسد رأيه .

لولا تفنيدكم أباى لصدقتمونى أولقلت : إن يوسف قريب مكانه أو لقاءه أو نحو ذلك

والخطاب قيل : من كان بحضرته من ذوى قرابته .

اشعاعات

ما هذا ؟

هذه معجزة أخرى ...

كيف انتقلت رائحة يوسف ... على بعد مئات الأميال إلى يعقوب ؟

أو كيف كان قميص يوسف مثل تلك الرائحة القوية ؟

وهل السرفى القميص ، أم فى حاسة يعقوب ؟

ولماذا القميص بالذات ، وما سر هذا القميص ؟

كل ذلك ... شيء فوق العقل ، يعلمه الله تعالى ...
وكل ذلك ... شيء آتاه الله نبيه - عليها السلام - يوسف ويعقوب ...
شيء دار بينهما ... وكانا هما موضع التجربة ..
والله يكرم من شاء بما شاء ...

قَالُوا تَاللّٰهِ لِيُنزَّلَ عَلَيْكَ الْكَلِمَ الْبَرَّةَ .
« قالوا » قال أولئك المخاطبون .
« تالله » والله .

« إنك لفي ضلالك القديم » إنك لفي ذهابك عن الصواب ، قدما ، بالإفراط في محبة
يوسف ، والإكثار من ذكره والتوقع للقائه ، وجعله فيه لتمسكه ودوامه عليه .
أى : لفي تخريفك الذى عشت فيه منذ فقدت يوسف ...
وقيل : الضلال هنا بمعنى الحب .
وقيل : هو الشقاء والعناء .
وقيل : الهلاك والذهاب .
وقيل : الجنون !
أى إنك لفي جنونك القديم !!

فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

« فلما أن جاء البشير » هو يهوذا أحد أبنائه ...
روى أنه قال لإخوته : قد علمتم أنى ذهبت إلى أبى بقميص الترحة فدعوني أذهب
إليه بقميص الفرحة ... فتركوه .

« ألقاه » ألقى البشير القميص :

« على وجهه » على وجه يعقوب - عليه السلام -

وقيل : ألقى يعقوب القميص على وجهه ...

قيل : إنه - عليه السلام - أخذه فشبهه ثم وضعه على بصره .

« فارتد بصيراً » فصار بصيراً ..

والمعنى : أنه رجع إلى حالته الأولى من سلامة البصر .. وذهب عنه العمى ...

وفي الكلام ما يشعر بأن بصره صار أقوى مما كان عليه ، لأن فعيلاً من صيغ المبالغة .

« قال : ألم أقل لكم » قال لئيبه القادمين

أى : ألم أقل لكم ، لا تيأسوا من رحمة الله ؟ !

« إني أعلم من الله ما لا تعلمون » ألم أقل لكم حين أرسلتكم إلى مصر ، وأمرتكم بالنحس ، أو نهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى ، إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام ؟

أو : فإن مدار النهى العلم الذى أوتيته - عليه السلام - من جهة الله سبحانه .

أو : قال يعقوب .. لمن حوله : ألم أقل لكم إني لأجد ريح يوسف ، فكذبتموني

ورميتوني بالجنون والضلال ، فما هو قيصه ، وما هو بصرى يعود أحسن مما كان ...

إني أعلم من الله ما لا تعلمون .. إني أكشف بما لا سبيل لكم إلى علمه ...

اشعاعات

جاء فى الأخبار ، أنه - عليه السلام - سأل البشير : كيف يوسف ؟

قال : ملك مصر . فقال : ما أصنع بالملك ؟ على أى دين تركته ؟ . قال : على

الإسلام . قال : الآن تمت النعمة ..

وهى أفصوصة ... تشير إلى عظمة هؤلاء الأنبياء .. وسمو نظرتهم .. إلى قيم

الحياة ..

فما كان يقربهم إلى الله فهو الشيء الهام عندهم ...
وما كان يبعدهم عن الله .. فهو شيء لا وزن له في معاييرهم ..
ومن أقاصيص ذلك المقام ... قالوا : لما جاء البشير إليه .. قال : ما وجدت عندنا
شيئا ، وما اختبرنا منذ سبعة أيام ... ولكن هون الله تعالى عليك سكرات الموت !!
تأمل ... نبي الله .. يعقوب .. لا يجد عنده شيئا يكافىء به البشير !!
وتلك مقاماتهم ... وذلك هو الثمن الذى يدفعون ..

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ .
« قالوا » قال الإخوة القادمون .. الذين كانوا حاضرين ..
« يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا » يا والدنا اطلب من الله أن يتجاوز لنا عن ذنوبنا التي
ارتكبتها في حق يوسف وأخيه وحقك .. وسبنا لكم تلك المتاعب ، وذلك البلاء .
طلبوا منه - عليه السلام - الاستغفار ، ونادوه بعنوان الأبوة ، تحريكا
للعطف والشفقة ..

« إنا كنا خاطئين » إنا كنا متعمدين للخطأ ..
إنا كنا مجرمين .. آثمين .. فعلنا ما لا ينبغي أن يفعل ..

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

« قال » قال يعقوب - عليه السلام -
« سوف أستغفر لكم ربى » سوف أستمّر على طلب المغفرة لكم من ربى ..
« إنه هو الغفور » إنه تعالى هو دائم المغفرة .. يغفر لمن استغفره ..
« الرحيم » لأنه واسع الرحمة .. يدخل فى رحمته من يشاء ..

روى عن ابن عباس - مرفوعا - أنه - عليه السلام - أخر الاستغفار لهم إلى
السحر ، لأن الدعاء فيه مستجاب :

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُو يَهُ وَيَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ
اللَّهُ آمِنِينَ .

« فلما دخلوا على يوسف » فرحل يعقوب - عليه السلام - بأهله ، وساروا حتى
أتوا يوسف ، فلما دخلوا على يوسف . . .
« آوى إليه أبو يه » ضم إليه أبو يه واعتنقها .
والمراد بهما أبوه وأمه راشيل .
أى : أخذها بالأحضان والعناق ، من شدة الشوق .
« وقال ادخلوا مصر » تمسكوا منها واستقروا فيها . .
أو : كلمة ترحيب . . بمعنى : مصر تحت أمركم . .
« إن شاء الله آمين » آمين من القحط وسائر المكاره . .
أى : إني لأرجو الله تعالى أن تحيوا جميعا في مصر حياة طيبة .. آمنة ..

وَرَفَعَ أَبُو يَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ
رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي خَلْقًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ
وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ
رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

« ورفع أبو يه » ورفع أباه وأمه عند نزولهم بمصر .
« على العرش » على كرسي عرشه . . تسكرمة لها فوق مافعل باخوته من تكريم . .

« وخرواله » وخرواله جميعا .. أبواه واخوته .

« سجدا » ساجدين على الجباه ..

قالوا : كان السجود تحية الملوك عندهم ..

وقيل : كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض .

إنه نظام الملوك .. وهو موجود إلى يومنا هذا في كثير من نظم الاستقبال في القصور الملكية في العالم ..

« وقال ، يوسف .. حين رأهم ينحنون له تعظيما .. وتطبيقا للبروتوكول وقواعده ..

« ياأبت ، ياأبي .

« هذا ، هذا الذي فعلتم من سجودكم لي .

« تأويل رؤياي ، إذ فيها (رأيتهم لي ساجدين) .

هذا تحقق وقوع ما رأيت في المنام وأنا صغير .. حين رأيت كأن أحد عشر كوكبا

والشمس والقمر .. رأيتهم لي ساجدين ..

أتذكر ياأبت ذلك ؟

أتذكر أنني قصصتها عليك آنذاك ؟

هاهي تتحقق بمخافيرها .. وتقع كما رأيت ..

وهاأنتم تسجدون لي .. تماما كما رأيت ..

هاهم اخوتي الأحد عشر .. وهاهو أنت .. وهاهي أمي .. تسجدون أمامي .. كما

رأيت تماما !!

« من قبل ، من قبل سجودكم هذا ..

أو : من قبل هذه الحوادث .

« قد جعلها ربي حقا » قد جعلها ربي صدقا ..

قد حققها .. كلها .. ووقعت حوادثها كما رأيت تماما .. عجبا !!

إن يوسف يتمعجب من قدرة الله تعالى ١١
ثم تذكر يوسف - عليه السلام - نعمة ربه عليه حين استنقذه من أقيح بلاء .
بلاء السجن . . فقال . .

« وقد أحسن بي » وقد أحسن الله إليّ .

« إذ أخرجني من السجن » الاحسان هو الإخراج من السجن بعد أن ابتلى به ،
ثم وصوله للملك ، وخصومه من الرق ، والتهمة ، ثم اشتهار أمره ، وارتفاع ذكره ،
وعوم خيره ..

« وجاء بكم من البدو » وجاء بكم من البادية .

وكان منزلهم على ما قيل : بأطراف الشام ، ببادية فلسطين ، وكانوا أصحاب
إبل وغنم .

« من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي » من بعد أن أفسد الشيطان وحرش
بيني وبين إخوتي .

وفيه تفادٍ عن لومهم .

وذكره تعظيماً لأمر الإحسان ، لأن النعمة بعد البلاء أحسن موقعا .

« إن ربي لطيف لما يشاء » إن ربي لطيف التدبير لما يشاء . .

إذ ما من صعب إلا وتنفذ فيه مشيئته تعالى ، ويتسهل دونها .

وحاصله أن اللطيف هنا بمعنى العالم بخفايا الأمور ، المدبر لها ، والمسهل لصعابها ،
ولنفوذ مشيئته سبحانه فإذا أراد شيئاً سهل أسبابه ، أطلق عليه جل شأنه اللطيف ، لأن
ما يطفئ يسهل نفوذه .

« إنه هو العليم » بوجوه المصالح .

« الحكيم » الذي يفعل كل شيء على وجه الحكمة لا غيره .

قالوا : مقدار المدة بين الرؤيا وظهور تأويلها أربعون سنة . وهو قول الأكثرين .

وقالوا : وإلى ذلك ينتهي تأويل الرؤيا .

اشعاعات

كيف كانت احساسهم جميعا .. فى تلك اللحظة .. لحظة اجتماعهم جميعا .. وجها لوجه؟
هاهو يوسف - عليه السلام - الطفل المفقود ، الذى زعموا أن الذئب قد أكله ..
واعتقدوا أنه هلك مع من هلك .. حاكما على مصر كلها .. يوجه سياستها و يضع
اقتصادياتها .. ويهيمن على مقدراتها .. وييده مفاتيح خزائنها ..
وهاهو يعقوب - عليه السلام - ذلك الأب الذى ذهب بعمره .. من طول حزنه
على يوسف .. قد التقى أخيرا بيوسف .. وقد رفعه الله درجات ودرجات ..
رفعه فى الدنيا منازل .. فى السلطة .. والملك ..
ورفعه فى الآخرة درجات .. بظهور الألاء النبوة فيه .. واشعاع انوارها من قلبه ..
وتدبيره شئون البلاد ..

فكيف كان احساس يعقوب بالنعمة ؟ ..
وهاهى .. راشيل .. أم يوسف .. تراه بعد أن فقدت الأمل أن تراه ..
وما ظنك باحساس الأم فى مثل هذه المفاجأة ، وكيف كان سرورها ؟
وهاهم الإخوة العشرة .. يحتمون جميعا .. وقد أحسوا أنهم كانوا مجرمين فيما فعلوا فى
يوسف ..

وهاهو بنيامين .. شقيق يوسف .. ينتصر انتصارا عظيما .. ويجد أخاه الذى طالما حدثته
أمه راشيل عنه وعن جماله وكمال ، وعمما صنع به اخوته ،
لاشك أنه كان لقاء مثيرا جداً ..
فيه احساس متباينة .. متدافعة .. متحركة ..

حرك يوسف - عليه السلام - أن جعل يسرد القصة وما فيها من العبر .. وجعل
يوجه الكلام إلى أبيه توقيرا له وتعظيما :

ياأبت .. هذا تأويل رؤياى .. من قبل .. قد جعلها ربى حقا ..
: وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ..

: وجاء بكم من البدو ..

: من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي ..

: إن ربي لطيف لما يشاء ..

وهذه الفقرة الأخيرة .. تشير إلى عظمة علم يوسف - عليه السلام - بالله تعالى ..

لطيف لما يشاء ؟

تسرى مشيئته تعالى .. في الأشياء وتنفذ فيها .. في سهوله تكاد تخفى على الخلق ..

فها هي الموجودات كلها تسرى مشيئة الله تعالى .. فيها .. ولا أحد يشعر أن هناك

مشيئة تحرك ذلك كله !!

إن ربي لطيف !؟

تعبير لطيف .. عال .. لا يصدر إلا من نبي !!

ولقد كان اللطف في المشيئة .. سببا جعل أكثر الناس ينكرون وجود تلك المشيئة

لأنها خافية عليهم !!

ثم يتلأ لأحكام النبوة ، وصدقها حين يقول : إنه هو ..

هو سبحانه وحده .. العليم .. الحكيم !!!

- ١٠١ -

رَبُّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَظَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا
وَالْحَقِّيْنِي بِالصَّالِحِينَ .

«رب» يوسف يفيض قلبه .. من الاحساس بنعمة الله تعالى عليه .. وفضله .. فيتوجه

إلى الله .. أمام أبويه .. وإخوته .. وقلبه شديد التأثر من جميل احسان الله إليه ..

ولعل لألاء الدموع .. دموع التأثر .. كانت تترقق في عينيه آنذاك .. ثم يقول :

رب ..

« قد آتيتني من الملك » قد آتيتني ملكا عظيما .. قد اعطيتني ملك مصر وغيرها .. مما
يتمد إليه نفوذ مصر .. مما جاورها من البلاد .. وما تؤثر فيه مضر بنفوذها السياسي ..

وأى ملك كان ملك يوسف ؟

لعله كان أعظم ملك في العالم آنذاك ؟

لقد كانت مصر على عهد الفراعنة اعظم دول الأرض ..

فكيف إذا تولاها أعظم ما تحمل الأرض وقتئذ .. يوسف .. بن يعقوب ..

بن إسحاق .. بن إبراهيم ؟

كيف إذا تولاها الكريم ابن الكريم ابن الكريم ؟

كيف إذا تولاه نبي .. فاجتمعت له أسباب الملك والعزة .. ونور النبوة وهداها ؟

لاشك أن البلاد في عهده نعمت باستقرار ورخاء وحرية وأمن وعدالة لم تنعم به دولة

في الأرض آنذاك !

« وعلمتني من تأويل الأحاديث » المراد بتأويل الأحاديث :

إما تعليم تعبير الرؤيا .. وهو الظاهر ..

وإما تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ، ودقائق سنن الأنبياء ..

ولقد أوتى يوسف - عليه السلام - من الأمرين شيئا عظيما ..

فهو يعلم تأويل الرؤيا .. علما من لدن علم حكيم ..

وهو يعلم حقائق دقائق ما أنزله الله من أحاديث إلى رسله .. وما تحدث به الأنبياء من

قبله إلى الناس .. مما أوحى إليهم ربهم ..

وهذا يدل على رسوخه - عليه السلام - في العلم - كما قال تعالى « وما يعلم تأويله إلا الله

والرأسخون في العلم .. »

ويوسف - عليه السلام - نبوة .. في مقامها .. فكيف كان علمه بتأويل كلام الله ،

وتأويل أحاديث انبيائه ؟

لاشك أنه كان عظيماً؟

• فاطر السماوات والأرض « مبدع السماوات ومبدع الأرض ..

خالق السماوات ، وخالق الأرض ..

ووصفه تعالى به ، بعد وصفه بالرؤية ، مبالغته في ترتيب مبادئ ما يعقبه من قوله ..

« أنت ولي » أنت متولى أمورى كلها .. ومتكفل بها .

أو : موالى ، وناصر .

« فى الدنيا » الذى يعطينى نعم الدنيا .

« والآخرة » والذى يعطينى نعم الآخرة .

« توفى » اقبضنى .

« مساماً » مساماً لك إسلاماً كاملاً .. منقاداً لأمرك انقياداً تاماً .

« وألحقنى بالصالحين » من آبائى الكرام ، يعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم .

اشعاعات

وكانت لحظة .. أى لحظة؟ .. لحظة أنس بالله .. وبكاء قلب يوسف أمام الله تعالى .

وليس كالأنباء إحساساً بنعمة الله تعالى عليهم ..

وليس كمثلهم تأثراً بفضله تعالى إليهم : .

وأمام أبويه وإخوته .. ينظر يوسف إلى القصة من أولها إلى آخرها .. ويعبر ذلك

التاريخ الطويل لقصته وقصتهم ..

ثم يتأمل ما حوله من مظاهر الملك ، وما مكنه الله فيه من قصور الفراعنة ، وأبهة

السلطان .. فتجيش نفسه بأكرم الأحاسيس التى يمكن أن تفيض من قلب بشر ..

أحاسيس عليا .. متجهة إلى الله كلبها ..

ويهتف بربه تبارك وتعالى : رب قد آتيتنى من الملك ..

حلوة .. خفيفة .. لطيفة .. فيها إدراك محيط .. وبحر عميق .. من المعارف .. والعلم
بالله تعالى ..

بعد أن كان عبداً مملوكاً .. مباعاً بدراهم حقيرة ..
أصبح ملكاً مطاعاً .. يستمتع بالحرية في أقصى مستوياتها ..
ويكفي أن الله عبر عن ذلك بقوله : وكذلك مكنا يوسف في الأرض ، يتبوأ منها
حيث يشاء .. .

أى حقق الله له الحرية في أعلى مستوياتها ... يفعل ما شاء ... ويتحرك كيف يشاء .. .
أعطاه الله تعالى أعلى ما يعطى من أسباب السلطان الظاهر .. .
وفي الباطن .. علمه من تأويل الأحاديث ...
وهذا أيضاً ملك آخر ... أعرض ... وأعلى من سابقه ...
فإن ملوك الباطن ... أوسع ملكاً ... من ملوك الظاهر ...

إن علماء الحقيقة .. وأهل المعرفة بالأمر الإلهية .. أوسع ملكاً .. من ملوك الحكم
والسياسة ..

ذلك أن العلم واسع لا يتناهى .. بينما سلطة الملك تنهاى ..
فتح الله ليوسف ما شاء من خزائن علمه تعالى ... وأعطاه ... وآتاه ...
فكان يعلم حقائق الرؤى ...
وكان يعلم حقائق النفوس ...
وكان يعلم حقائق الوحي الإلهي ...
وكان يعلم كيف يسوس شعبه ، وكيف يقوده خير قيادة ..
فاجتمع له ملك الظاهر ... وملك الباطن ...
وأولى علم الظاهر ... وعلم الباطن .. فكان ملكاً عظيماً ... ونبياً عظيماً ... ورسولاً
عظيماً ...

فكان الشخصية العظمى ... في عصره ... في الأرض كلها !!!
ثم يرتفع يوسف - عليه السلام - في نجواه .. ويرتفع .. فاطر السماوات والأرض ..
فيها مقام رفيع جدا .. أنت الذي أبدع كل شيء .. أنت الذي أبدع السماوات بما
فيها ومن فيها من عجائب قدرتك .. وأبدع هذه الأرض بما عليها من غرائب ..
ثم يغيب كل شيء من قلب يوسف - عليه السلام - وتشرق شمس الذات في قلبه
إشراقا عظيما ... فلا يرى إلا إياه ... فيناجيه : أنت ولي ...

أنت وحدك .. الذي تولاني من أولى إلى آخرى ...
تولاني فيما مضى ... وسيتولاني فيما هو آت ...
ولذلك كان تعبيره « في الدنيا والآخرة » .. خالدا .. يبرق ببريق النبوة الرهيب ..
كما أنك يارب خلقت السماوات والأرض .. خلقتني شيئا ضمن هذه السماوات والأرض ..
وتعهدتني من بدايتي إلى نهايتي ...
ثم يتذلل .. ويتذلل .. في جناب ربه تبارك وتعالى .. توفى مسلما ...
أرجوك .. أن تمنيئني مسلما نفسي إليك .. لا أرى نفسي شيئا .. بل أكلها إليك ..
أنت وليها ومولاها ...
وألحقني بالصالحين ...
أرجوك أن تفضل عليّ ... كما تفضلت عليّ دائما .. وتضميني إلى عبادك الكاملين
في الصلاح !!

هذا يوسف ... عليه السلام ...
قلب !؟ .. ياله من قلب !!

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ اتَّجَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَنْكُرُونَ .

« ذلك » الذى قصصناه عليك من أنباء يوسف عليه السلام .
« من أنباء الغيب » من أخبار الغيب الذى لا يحوم أحد حول خبره .
« نوحيه إليك » نزله إليك عن طريق الوحي .
« وما كنت لديهم » وما كنت حاضرا مع إخوة يوسف - عليه السلام -
« إذ أجمعوا أمرهم » إذا اتفقوا جميعا على أن يجعلوه فى غيابة البئر .
« وهم يمكرون » وهم يمكرون بيوسف - عليه السلام - ويبنون به الفوائل .
والمعنى أن هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف - عليه السلام - حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه فى غيابة الحب وهم يمكرون به .
ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت أحدا سمع ذلك ، فتعلمته منه .
وقيل : إن هذا تهكم بمن كذبه ، وذلك من حيث أنه تعالى جعل المشكوك فيه كونه - عليه السلام - حاضرا بين يدي أولاد يعقوب - عليه السلام - ما كرين ، فنفاه بقوله : (وما كنت لديهم) وإنما الذى يمكن أن يرتاب فيه المرتاب قبل التعرف هو تلقيه من أصحاب هذه القصة . أى قد علمت يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الحالية وإنكاركم لما أخبر به يفضى إلى أن تكابروا بأنه قد شاهد من مضى منهم .
وقيل : المذكور مكرم ، وما دبروه ، وهو مما أخفوه حتى لا يمله غيرهم ، فلا يمكن تعلمه من الغير !

اشعاعات

هذه قصة كاملة .. من أولها إلى آخرها .. من بدايتها إلى غايتها .. من جذورها إلى ثمرتها ..
قصة ظاهرة ... وباطنة ..
قص فيها الحوادث الظاهرة .. وقص فيها الأقوال الباطنة .. والأفسكار الخبوءة فى الصدور ..

وهذا أبلغ دليل على كونها وحى يوحى ...
فإن المرء بعقله المحدود .. لا يستطيع أن يتعرف على الأفكار التي كانت تدور سرا
بين الناس ..

فاذا نبأنا الله بها .. كان ذلك دليلا على أنها وحى إلهي ..
« وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » ١؟

لقد كان حديثا سريرا .. يدور بين العشرة .. اقتلوا يوسف .. اطرحوه أرضا ..
أقوه في غيابة الجب .. ماذا تقولون لأبيكم ؟ كيف الخلاص من هذا الطفل ؟
أرأيت ؟ .. شيء كان يدور بينهم .. بنيدا عن الأعين .. وعن أيهم ..
فلو افترضنا أن عمدا .. صلى الله عليه وسلم .. استمع إلى قصة يوسف .. من السابقين ،
كأيزعم الذين يكذبونه ..

فن أين له علم هذه الخفيات .. التي لا يعلمها إلا من كان حاضرا معهم .. شاهدا
لأحاديثهم ١؟

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ .

« وما أكثر الناس » الظاهر العموم ، أى أن الأغلبية العظمى .
« ولو حرصت » على إيمانهم ، وبالنسبة في إظهار الآيات القاطعة ، الدالة على
صدقك عليهم .

« بمؤمنين » لتصميمهم على الكفر ، وإصرارهم على العناد ، حسبما اقتضاه استعدادهم .

قيل : سألت قريش واليهود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قصة يوسف
— عليه السلام — فنزلت مشروحة شرحا وافيا ، فأمل عليه الصلاة والسلام أن يكون
ذلك سبب إسلامهم ، وقيل : إنهم وعدوه أن يسلموا فلما لم يفعلوا عزاه تعالى بذلك .

اشعاعات

فيها ناموس عظيم ..
« وما أكثر الناس .. بمؤمنين » .. الاكثرية دائما من الناس .. في كل زمان
ومكان لا تؤمن ..

ولو حرصت ؟ .. مهما حاولت .. واجتهدت أن تدعوم إلى الايمان ..
لماذا ؟ لأن هناك حيلولة بينهم وبين الايمان ..
هناك ظلام في قلوبهم .. يحول بينهم وبين ذلك الأمر ..
فلا فائدة من دعوة .. ولا أمل في استجابتهم ..
والواقع التاريخي كله يؤيد ذلك ..
فكم من القرون مضت .. وكم من القرون سوف تأتي .. والإنسان هو الإنسان ..
من حيث النباء .. أكثرية كافرة .. وأقلية مؤمنة ..

- ١٠٤ -

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ .
« وما تسألهم عليه » وما تطلب منهم على تبليغ القرآن والحق إليهم ..
« من أجر » من ثمن ما ..
إن الدعوة تقدم إليهم مجانا .. بلا مقابل ..
« إن هو إلا ذكر » إن هذا القرآن إلا تذكير من الله تعالى .
« للعالمين » لجميع الناس .

اشعاعات

فيها ثلاث نوااميس .. خالدة ..
الأول .. وما تسألهم عليه من أجر ..

أن الله تعالى يقدم دعوة الحق .. ويقدم وحيه .. مجاناً .. ومحرم على رسله أن يأخذوا عليها أجراً قليلاً أو كثيراً .. ويوجب عليهم أن يتجردوا وهم يبلغوها إلى الناس .. من المنافع الدنيوية ..

الثاني .. ان هو إلا ذكر .. هذا القرآن تذكير ..
تذكير للإنسان بما يجب عليه نحو الله .. وتذكير له كي لا ينسى ..
الثالث .. للعالمين .. للجميع .. دعوة عالية لكل الناس .. في كل زمان ومكان ..

وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ .

« وكأين من آية » وكمن آية .

والمراد بالآية الدليل الدال على وجود الصانع ووحدته وكال علمه وقدرته .
والمعنى : وكأى عدد شئت من الآيات الدالة على صدق ما جئت به غير هذه الآية .
« في السماوات والأرض » كائنة فيهما من الأجرام الفلكية ، وما فيها من النجوم ، وتغير أحوالها ، ومن الجبال ، والبحار ، وسائر ما في الأرض من العجائب الفاتنة للمحصر .
« يمرون عليها . » يشاهدونها .

« وهم عنها معرضون » غير متفكرين فيها ، ولا معتبرين بها .
وقرى : « والأرض » (بالرفع) .

والمعنى والأرض يمشون عليها .. يجهيئون .. ويذهبون في الأرض .. ويرون آثار
الأمم الهالكة ، وما فيها من الآيات والعبر ، ولا يتفكرون في ذلك

اشعاعات

فيها العجب .. هناك إذا ما لا يحصى من الآيات .. في السموات .. وفي الأرض .. تدل على وجود الله .. ووحدانيته .. وقهروته .. وجبروته .

فما من ذرة في هذا الكون إلا وهي تشهد أنه لا إله إلا الله ..
تركيبها .. صناعتها .. حركتها .. ابداعها ..

وما من خلية مما يتكون منه جسم الإنسان أو غيره من الكائنات الحية إلا وهي تشهد بذلك .

أى شيء .. كل شيء .. يدل على أنه الواحد .

وكم من آية !!؟

إني الملح في ثنايا هذه الآية تهديدا خطيرا .. جدا .. جدا ..

كأن الله يريد أن يقول : إذا كانت هذه الآيات التي لا تحصى في خلق السموات والأرض .. وما فيها من عجائب .. لا تكفيكم لتعلموا اني الله لا إله إلا أنا .. فالويل لكم .. وانتظروا عذابي الأليم !!!

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ .

« وما يؤمن أكثرهم بالله » في اقرارهم بوجوده تعالى وخالقيته .

« إلا وهم مشركون » به سبحانه .

أى : ما يؤمن أكثرهم إلا في حال اشراكهم .

قيل : هم أهل مكة ، آمنوا وأشركوا ، كانوا يقولون في تلييتهم : لبيك اللهم لبيك ،

لبيك لاشريك لك ، الاشريكاهو لك ، تملكه ومملك . ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم

إذا سمع احدهم يقول : لبيك لاشريك لك يقول له : قط قط ، أى يكفيك ذلك ، ولا تزد

« الاشريكا » الخ .

وقيل : هم كفار العرب مطلقا أقروا بانطلاق الرزق المميت وأشركوا بعبادة الأوثان والأصنام .

وقيل : انهم أهل السكتاب أقروا بالله تعالى وأشركوا به من حيث كفروا بنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم . أو من حيث عبدوا عزيزا والمسيح عليهما السلام .

وقيل : وأشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا .

وقيل : انهم المرأون بأعمالهم ، والرياء شرك خفي .

وقيل : هم الناظرون إلى الأسباب المعتمدون عليها .

وقيل : هم الذين يطيعون الخلق بمعصية الخالق .

وتد يقال نظرا إلى مفهوم الآية إنهم من يندرج فيهم كل من أقرب الله تعالى وخالفته

مثلا ، وكان صرتسكبا ما يعد شركا كيفما كان .. ومن أولئك عبدة القبور ، والناظرون لها ،

المتقدون للنفع والضرمين الله تعالى أعلم بحاله فيها .

اشعاعات

هذه .. من أخطر الآيات ..

انها تقرر فاموسا خطيرا جدا ..

وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون !!!

هناك قال .. من قبل .. وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ..

هذه هي التصفية الأولى .. للبشرية .. أكثر البشر كفار ..

وهناك قلة مؤمنة ..

أى أن الاكثرية من البشرية لا يعتقدون بوجود الله .. ولا بفكرة الالهية من

أساسها ..

هذه هي التصفية الأولى ..

ثم تأتي التصفية الثانية ..

تصفية الأقلية المؤمنة من البشرية ..
« وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » !!!
حتى الأقلية .. التي تؤمن .. التي تعتقد بوجود الله .. حتى هذه أكثرها .. هي
الأخرى مشركة !!!

مامعنى هذا ؟ معناه أن التوحيد الصافى .. نادر جدا ..
لا يرتفع إليه .. الاقلية القليلة ..
من أين يتسرب مرض الشرك إلى قلوب المؤمنين بالله ، المعتقدين بوجود إله ؟
من قصور تفكيرهم .. عن ادراك الحق المجرد ؟
يقول لهم الله : اعبدوني .. واتجهوا إلى مباشرة ..
وهم يقولون : بل نعبدك عن طريق أصنام .. أو أوهام .. أو قديسين أو نزعم لك
بنات وبنين !!

وهذا كله قصور في الفهم !!!
آية خطيرة جدا ..
ان المؤمنين أنفسهم .. في حاجة إلى تنظيف ايمانهم .. انها تنذر بالخطر .. خطر تسرب
الشرك إلى القلوب المؤمنة ..

وفي هذه الآية أسرار عميقة جدا ..
فيها أن كل مؤمن يتعرض لداء الشرك باستمرار ..
أى أن قلب المؤمن معرض للاظلام .. دائما ..
وأن القلب في حالة الفتنة عن الله .. يكون مشركا بالله ..
وأن الشرك أصناف وألوان .. لا تحصى ..

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ .

« أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله » أى عقوبة تشاهم وتشملهم .
والاستفهام انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد .
والمراد بهذه العقوبة ، ما يعم الدنيوية ، والأخروية - على ما قيل -
« أو تأتيهم الساعة بغتة » فجأة من غير سابقة علامة .
« وهم لا يشعرون » باتيانها ، غير مستعدين لها .

اشعاعات

أفأمنوا أن تأتيهم غاشية؟!
أوهية .. تتكلم .. فيأتى كلامها فيه جلال الأوهية .. وجالها .. وقهرتها ..
وجبروتها!
غاشية؟ شئ يغطى .. يغطيهم .. ويمهمم بعذاب ..
أعوذ برضائك من سخطك .. وبمعافاتك من عقوبتك .. وبك منك ..

قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

« قل » قل لهم يا محمد ..
« هذه سبيلى » هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الأيمان والتوحيد سبيلى .
« أدعو إلى الله » أدعو الناس إلى معرفته سبحانه ، بصفات كاله ، ونموت جلاله .
ومن جلتها التوحيد .
« على بصيرة » أى بيان ، وحجة واضحة غير عمياء .
« أنا » أدعو نفسى إلى الله .
« ومن اتبعنى » وادعو غيرى ..

أو : أنا أدعو إلى الله على بصيرة .. ومن اتبعنى كذلك ، يدعو إلى الله على بصيرة ..
لأنهم مهتدون بهديي ، متبعون لطريقي ..
« وسبحان الله » وأنزهه سبحانه وتعالى تنزيها من الشركاء .
« وما أنا من المشركين » فى وقت من الأوقات .
وقرأ عبد الله (قل هذا سبيلى) والسبيل تؤنث وقد تذكر .

اشعاعات

فيها الأصول العامة كلها ... للسبيل إلى الله ...
قل ... يا محمد ... بلغ الناس جميعا ...
عن أى شىء ؟
بلغهم : ما هو سبيلى ... ما هو الطريق إلينا ... كيف الوصول إلينا ؟
« هذه سبيلى » ؟؟

أيها الناس جميعا ... هذا سبيلى ... هذا هو طريقى ...
الله يتكلم . . الله يبين طريقه !!!
وسيان .. هذه سبيلى .. أى سبيل الله .. أو سبيل رسول الله .. فطريق هذا هو ذلك ..
وذلك هو هذا ...

أدعو إلى الله ... الأصل العام ... فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ... أنها
تسوق الناس إلى ربهم ... تدعوهم إليه ... تعرفهم ربهم ...
على بصيرة ... الأصل الثانى ... بالحجة .. بالدليل ... ليس الأمر كهنتوية ...
وتأمم .. وإنما بالحجة ..

على بصيرة .. على نور باطنى .. نور النبوة .. على اشعاع الهى ينير السبيل ..
ويكشف معالم الطريق ..

ليس الأمر مجرد حجج عقلية .. ميتة وإنما على بصيرة .. هناك نور باطنى .. هناك
أنوار النبوة وراء تلك الحجج الظاهرة ..
فكان الدعوة إلى الله .. فى حاجة إلى أسمرين ..
حجة ظاهرة .. حجة عقلية ..
ونور باطن .. نور النبوة .. ونور من اهتدى بهدى النبوة ..
وكلاهما لازم .. ومطلوب .. لكل من دعا إلى الله ..
أنا .. الأصل الثالث .. أن أكون « أنا » أول من ادعوه إلى الله .. أن أطبق على
نفسى ما ادعوا إليه الناس أولا .. أن أكون أنا صورة صادقة لما ادعوم إليه .. أن أكون
إماما لهم .. قدوة لهم ..
ومن اتبعنى .. الأصل الرابع .. وأطالب من اتبعنى .. والتف حولى .. أن يكون
كذلك صورة صحيحة .. وتمثيلا صحيحا للدعوة ..
أن يكونوا نماذج صادقة للدعوة الالهية ..
وقد كان صلى الله عليه وسلم .. الأسوة الحسنة ..
وكان أصحابه .. الذين اتبعوه .. النماذج المتحركة لتلك الدعوة .. دعوة الله ..
وسبحان الله .. الأصل الخامس ..
وأنزله الله تنزيها .. وأطالب الذين اتبعونى أن ينزهوا الله تنزيها تاما ..
أى أن من شروط نجاح الدعوة الالهية أن يكون الداعى إليها ، وأتباعه .. فى القمة
من معرفة الله تعالى .. معرفة تؤهلهم لتنزيهه تعالى عن أى وهم من تلك الأوهام ، التى تنتشر
فى عقول الناس ..
وما أنا من المشركين .. الأصل السادس .. استحالة أن يكون الرسول صلى الله عليه
وسلم فى وقت من الأوقات مشركا ..
وهذا مقامه وحده .. إنه نور دائم فى أعلى علالى النور .. فهناك استحالة الاظلام ..
هناك صحو دائم .. هناك يقظة دائمة لقلبه ..

ومن الحتم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .. لأنه امام المؤمنين جميعا إلى ربهم .. ورائد كل من سلك السبيل إلى الله ..

وكذلك كل من دعا إلى الله .. ينبغي أن يكون في أعلى مقام استطاع .. من التوحيد .. وكلما كان نصيبه من التوحيد أعلى .. كلما كان علمه بالله أرفع .. وكانت طاقته أقدر

على جذب الناس إلى تلك المستويات العلى ..

وهكذا .. هناك ست دعائم للسبيل ..

الدعوة إلى الله .. التوجيه إلى الله ..

على بصيرة .. بالحجة العقلية ، والنور الباطن ..

أنا .. أَدْعُو نفسي أولا إلى الله .. وإلى تطبيق أوامر الله ..

ومن اتبعني .. ثم ادعوا غيري .. وادعوا من اتبعني إلى تنفيذ أوامر الله ..

وأن أكون أنا .. ومن اتبعني .. داعين إلى الله دائما .. في إلحاح .. وزحف عام ..

لايجاد وعي إيماني جماهيري عام .. لايجاد دعوة عامة في الناس ..

وسبحان الله .. ونزهه الله تنزيها عظيما .. نكون دعاة تنزيه ..

وماأنا من المشركين .. وأن نكون في القمة من التوحيد ..

والأشعاع الذي يؤخذ من الآية .. أن سبيل الله مفتوح دائما للجميع إذا قامت تلك

الأصول الست في أى نفس من النفوس ..

هذه سبيلي ؟

كأن الله يعلن : هذه سبيلي أيها الناس جميعا .. وهذه سبيل رسولى .

١ - تعرفوا على .. (ادعوا إلى الله) اعرفوا أن لكم ربا .. بدلا من أن تولوا

ظهوركم .. وتعرضوا عنى .. اقبلوا على ..

٢ - على بصيرة .. وان كنتم تريدون دليلا على وجودى .. فهناك في كل شيء

حولكم دليل على وجودى ..

ولكنكم لاتبصرون ذلك .. ما لم يكن لكم نور في قلوبكم .. يكشف لكم تلك الحقائق .

٣ - أنا .. ابدأ بنفسك أولاً .

٤ - ومن اتبعني .. ثم ادع غيرك بعد ذلك .. يكن سهلاً أن يستجيب لك .. مادام يراك صادقاً فيما تدعو إليه .

٥ - وسبحان الله .. كونوا منزهين لله .. اعلى مستويات التنزيه حتى تستطيعوا أن تشدوا أنتباه غيركم .. وترفعوا من مستوى تنزيههم .

٦ - وما أنا من المشركين .. كونوا في أعلى مقامات التوحيد .. حتى تستطيعوا أن تقودوا غيركم إلينا .. وتسيروا أمامهم .. في طريقنا .
وفيها .. وفيها .. وفيها ..

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجلاً » رد لقولهم: (لو شاء ربك لأنزل ملائكة) ونفى له

وقيل: المراد نفى استنباء النساء .

« نوحى إليهم » كما أوحينا إليك .

وقرى: : يُوحَى .

« من أهل القرى » من سكان المدن .

لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البادية .

قيل: ما نعلم أن الله تعالى أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى .

أى: من سكان المدن .

وعن الحسن : لم يبعث رسول من أهل البادية ، ولا من النساء ، ولا من الجن .

« أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » أفلم ينتشروا فى هذه الأرض .. فى بلادها .. فينظروا كيف كان نهاية الذين مضوا من قبلهم ، من المكذبين بالرسول والآيات ، من قوم نوح ، وقوم لوط ، وقوم صالح .. وسائر من عذبه الله تعالى فيحذروا تكذيبك ؟

أو : كيف كان نهاية الذين من قبلهم عموما من المشغوفين بالدنيا ، المتهاككين عليها فيقلعوا ، ويكفوا عن حبها ؟

والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

« ولدار الآخرة » ولدار الحياة الآخرة .

« خير للذين اتقوا » الشرك والمعاصى .

« أفلا تعقلون » فتستعملوا عقولكم ، لتعرفوا خيرية دار الآخرة ، فتتوسلوا إليها

بالاتقاء؟

أو : قل لهم مخاطبا : أفلا تعقلون ؟

فالخطاب على ظاهره .

اشعاعات

فيها نواميس عديدة ..

الناموس الأول .. وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا .. حصر الرسالة فى الرجال ..
وضرورة كون الرسول بشرا من الجنس آدمى .. ليستطيع أن يتفاعل مع جنسه .. ويتفاهم معهم .. ويفهموا عنه .. وفيها نقي ألوهية عيسى - عليه السلام - وإشارة إلى ذلك .. لأنه رجل كسكل الرسل .. وليس بآله ..

الناموس الثانى .. نوحى إليهم .. ضرورة الإيحاء إلى الرسل .. وأن الإيحاء إليهم

شرط في كونهم رسلا .. لأن مجرد كونهم رجال لا يفيد شيئا .. فما أكثر الرجال .. ولكن
إيحاء الله إليهم .. هو الذي يرفهم إلى مقام الرسالة ..
كما أن كلمة « رجالا » .. مع تنكيرها .. يشير إلى كون أولئك الرسل .. في أعلى
مقامات الرجولة .. وكأها ..

أى أن شخصيات الرسل .. هي أكمل وأجمل .. شخصيات بشرية تتصور ..
الناموس الثالث .. من أهل القرى .. من سكان المدن .. لأن عقلية ساكن المدينة
تدور في دائرة أوسع .. وتفكيره يكون أشمل وأكمل .. من البعيد عن العمران .. كما أن
الرجل الإجتماعى اقدر على تفهم رغبات الجماهير .. والتعرف إليهم .. والتفاعل معها ..
الناموس الرابع .. كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ .. كيف كان نهاية جميع من
مضوا قبلنا ؟

لا شيء .. لا وجود لهم الآن !! كلهم ذهبوا .. وفنوا !!
فكيف لا نحذر .. أو كيف نعتز ببقائنا المؤقت .. ولا نهتز لقنائنا القادم حتما ؟
الناموس الخامس .. ولدار الآخرة خير للذين اتقوا .. حتمية خيرية الحياة في الدار
الآخرة بالنسبة لمن اتقى في الحياة الدنيا ..
الناموس السادس .. أفلا تعقلون ؟ إن من يكذب بتلك النواميس .. أو لا يتفكر
فيها .. أو لا يفيد منها .. كان مجنونا .. أو ناقص العقل ..

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ نَّافُجِيٍّ
مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْنَانِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ .

« حتى إذا استيسر الرسل » أى لا يغرنبهم تماديهم فيمهم فيه من الدعة والرخاء .. فإن
من قبلهم قد أمهلوا حتى يتس الرسل من النصر عليهم في الدنيا، أو من إيمانهم، لانهما كهم
في الكفر ، وتماديهم في الطغيان من غير وازع ..

« وظنوا أنهم قد كذبوا » ..

أخرج البخارى، والنسائى، وغيرهما من طريق عروة، أنه سأل عائشة - رضى الله تعالى عنها - عن هذه الآية .

قال : قلت : أ كذبوا أم كذبوا ؟

« فقالت عائشة : بل كُذِّبوا (يعنى بالتشديد)

« قلت : والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم ، فما هو بالظن

« قالت : أجل لعمرى ، لقد استيقنوا بذلك

« فقلت : لعله (وظنوا أنهم قد كُذِّبوا) مخففة ؟

« قالت : معاذ الله تعالى ، لم تكن الرسل لتظن ذلك بربها .

« قلت : فما هذه الآية ؟

« قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم ، وطال عليهم البلاء ، واستأخر

عندهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل من كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن اتباعهم قد كذبوهم ، جاء نصر الله تعالى ، عند ذلك . »

« جاءهم نصرنا » فجأة .. وقع النصر ..

« فنجى من نشاء » أنجاءه وهم الرسل والمؤمنون بهم .

أى : فننجى من نشاء ...

وإنما لم يعينوا للإشارة إلى أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم ، ولا يشاركهم فيه

غيرهم .

« ولا يرد بأسنا » عذابنا .

« عن القوم المجرمين » إذا نزل بهم .

ولا يخفى ما فى الجملة من التهديد والوعيد .

« يروى أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال : يا أبا عبد الله آية قد بلغت مني كل مبلغ (حتى إذا امتيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) فإن الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا (مثقلة) أو تظن أنهم قد كذبوا (مخففة) !
« فقال سعيد : حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم ، وظن قومهم أن الرسل كذبهم ، جاءهم نصرنا ، فقام مسلم إليه فاعتنقه .
« وقال : فرج الله تعالى عنك كما فرجت عنى . »

اشعاعات

هذه الآية ... قطعة من النور ... تتلألأ ... في اشعاع عجيب !!!
فهى ناموس إلهى خالد ...
حتى إذا استيأس الرسل .. حتى إذا يئس الرسل ياسا تاما .. من أن يؤمن بهم أحد إلا من قد آمن ... « وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن » ..
هناك ياس تام من الرسل ... أن ينضم إلى دعوتهم أحد جديد ...
لقد بلغت الدعوة أقصى ما يمكن أن تبلغه من قلوب الناس ... ولا يرجى بعد ذلك من جديد ...
هذه مرحلة ..
المرحلة الثانية ... وظنوا أنهم قد كذبوا ... وظن الرسل .. أنهم قد كذبوا نهائيا من الناس ... فلم يعد من الناس من أحد إلا ويكذبهم فيما يزعمون من الدعوة إلى إله واحد لا شريك له . .
هناك إذا ... ياس تام من الرسل أن ينضم إليهم من أحد ...
وهناك اعتقاد من الرسل .. أن الذين كفروا بهم .. قد جمدوا نهائيا على تكذيبهم ..
وتكذيب ما يدعون إليه . .
في ذلك الظلام الشديد ...

في هذا اليأس من الخلق ... والاعتقاد أن الناس جميعا يصرون على تكذيبهم ...
هناك إصرار على الكفر ... وإصرار على التكذيب ...
هنالك .. جاءهم نصرنا .. بفتنة .. فجأة .. يقع النصر .. للرسول .. بعد ذلك كله ..
هذا هو الناموس الإلهي ... الأول في الآية ..
أما الناموس الثاني ... ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ...
هناك استحالة أن يمنع عذاب الله عن القوم الذين استمروا على الإجرام ...
ولا يرد ؟ ... هناك تجلّى بالقهر ... باليأس ... بالقوة ... على كل من استمر على
الاجرام ..

لماذا ؟ لأن الإنسان الذي اعتاد الإجرام .. واستمر فيه .. ولا يريد أن يرجع عنه ...
إنسان مظلم تماما ... بعيد جدا عن الله ...
مثل هذا ... لا بد أن يذوق بأس الله ... ويعانى آلام عذابه ... لعله يفنيق ...
وهذا الناموس من أخطر النواميس السارية في الناس وهم لا يشعرون !!
ما من مجرم ... مستمر في إجرامه ... إلا وبأس الله له بالمرصاد ... لا بد من
قهره ... وأخذه ...
أما في الباطن ... فبأس الله متسلط عليهم دائما ... ويبدو ذلك مما هم فيه من ضيق
نفسى وعذاب روحى ...

وأما في الظاهر ... فيمهلون قليلا ... ثم يؤخذون بشتى القوارع بعد ذلك ...
وأما في الآخرة ... فلهم عذاب عظيم ...

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى
وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

« لقد كان في قصصهم عبرة » لقد كان في قصص الأنبياء شيء يعتبر به .

« لأولى الأبواب » لأهل العقول السليمة ، الخالصة من الشوائب .

« ما كان » أى القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة ...

« حديثا يفترى » أى يختلق

« ولكن تصديق الذى بين يديه » من الكتب السماوية ..

« وتفصيل » وتبيين

« كل شيء » مما يحتاج إليه في الدين .

إذ ما من أمر ديني إلا وهو يستند إلى القرآن بالذات أو بوسط

ومن الناس من حل « كل » على الاستغراق من غير تخصيص ، ذاهبا إلى أن في

القرآن مبيّن كل شيء من أمور الدين والدنيا ، وغير ذلك ، مما شاء الله تعالى ، ولكن

مراتب التبيين متفاوتة ، حسب تفاوت ذوى العلم

« وهدى » من الضلالة

« ورحمة » ينال بها خير الدارين

« لقوم يؤمنون » يصدقون تصديقا معتادا به

وتخصوا بالذكر لأنهم المتفهمون بذلك ...

تلك هى قصة يوسف - عليه السلام - كما أنزلت في كتاب الله تعالى الكريم ..

لم أشأ أن أقدم عليها أقاويل البشر . . تأدبا بقوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ،

لا تَقْدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ . ورسوله ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يا أيها الذين آمنوا .

لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ

لبعض ، أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . »

ونعوذ بالله .. من حبوط العمل .. ونعوذ بالله أن نرفع أصواتنا فوق صوت النبي

صلى الله عليه وسلم ..

فإدام هناك وحى من السماء، نزل يقض علينا القصة .. فلتتقهقر إلى وراء .. وتسمع ..
ولنصت جميعا إلى وحى السماء ..

ذلكم بأنه يوسف .. نبي كريم من أنبياء الله تعالى ..
فاذا تكلم الله تعالى عن يوسف .. وجب علينا جميعا .. أن نخشع .. ونسمع ..
ونصت ..

فاذا ما فرغنا من كلام الله .. في شأن يوسف ..
فلنسمع إلى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. في شأنه عليه السلام ..
« عن أبي هريرة — رضى الله عنه —
« قيل : يا رسول الله ، من أكرمُ الناسِ ؟
« قال : أتقاهم »

« فقالوا : ليس عن هذا نسألكَ
« قال : فيوسفُ ، نبيُّ الله ، ابنُ نبيِّ الله ، ابنِ نبيِّ الله ، ابنِ خليلِ الله
« قالوا : ليسَ عن هذا نسألكَ
« قال : فَعَنَ معادِنِ العربِ تسألونَ ؟
« خيارهم في الجاهليةِ ، خيارهم في الإسلامِ .
« إذا قهوا »

[البخارى]

ومعنى الكرم هنا الشرف ..
فكأنهم يسألون : من أشرف الناس ؟
وكان الجواب كان : أشرف الناس .. يوسف !!
فانظر تلك العظمة اليوسفية .. وانظر مستواها الأعلى !!
و « عن عبدِ الله بنِ عمرَ — رضى الله عنهما — « عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« الكريمُ ، ابنُ الكريمِ ، ابنِ الكريمِ ، ابنِ الكريمِ .
« يوسفُ ، بنُ يعقوبَ ، بنِ إسحاقَ ، بنِ إبراهيمَ » .
[البخارى]

كانه يراد أن يقال : الشريف ، ابن الشريف ، ابن الشريف ، ابن الشريف !!
و« عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :
« قيل : يا رسول الله ، من أكرم الناس ؟
« قال : أمّهم
« قالوا : ليس عن هذا نسألك
« قال : فيوسف ، نبى الله . »

[البخارى]

فما أشرف يوسف ...
ثم ما أشرف يوسف !!!

شخصیتِ یوسفؑ

باسمك اللهم ..

أدخل إلى تلك الساحة المقدسة .. ساحه نبيك الكريم .. يوسف .. عليه السلام .
ذلك الجوهر .. المكنون .. الذى لا يعلم حقيقة مكنوناته إلا أنت .. سبحانه .
فن هو هذا « يوسف » .. ذلك الذى تلاً .. فى هذه الحياة الدنيا .. ثم انتقل إليك ،

ابتلالاً فى الحياة الآخرة ؟

إنه زهرة .. من أزاهير .. شجرة النور .. الشجرة الابراهيمية ..

فن هو هذا « إبراهيم » .. الذى كان يوسف .. احدى زهراته .. زهرات النور ؟

ابراهيم 11؟

ابراهيم الذى وفى 1؟

ابراهيم الذى جاء ربه .. بقلب سليم ..

ابراهيم الذى أسلم لله رب العالمين ..

ابراهيم الذى هذا بعض شأنه .. جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ..

فانتقل الميراث .. منه إلى إسحاق .. ومنه إلى يعقوب .. ومنه إلى يوسف ..

فهو حقا .. الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم .. ابن الكريم !!

فما هو هذا الميراث .. الذى ورث يوسف عن ابراهيم ؟

ماذا ورث يوسف عن ابراهيم ؟

ما هى هذه الموجات .. موجات النور .. التى تموجت من قلب إبراهيم .. إلى قلب

يوسف ؟

أعلاها .. وأغلاها .. وأرقاها .. ماسجله يوسف بنفسه ..

قال يوسف : « وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ، إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ

نُشْرِكَ بِاللَّهِ ، مِنْ شَيْءٍ .. »

ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ١٩
هذا هو الميراث ... في أعلى مستويات الميراث ... في أعلى مقامات النور ...
لأنه ملة إبراهيم ...
فما هي ملة إبراهيم ١٩
هي الحنيفية ... « واتَّوَسَّعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ... »
فما هي هذه الحنيفية ١٩
هي الاتجاه ... اتجاه القلب مباشرة إلى الله ...
هي إسقاط الأغيار ... والتوجه المباشر إليه سبحانه ...
ولقد كان إبراهيم إمام هذه الحنيفية ... فكان بذلك إمام الناس جميعاً ...
« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ... »
قال إبراهيم « وَمِنْ ذُرِّيَّتِي » ١٩
قال له سبحانه : « لَا يَتَّخِذُ الْظَالِمِينَ » !!
هذا هو الميراث ... في أعلا مقاماته ...
وهذا ما سجله يوسف ... بنفسه ...
لقد توجت موجات النور ... من قلب إبراهيم ، إلى قلب اسحاق ... إلى قلب
يعقوب ... إلى قلب يوسف ...
ذلك هو الميراث ... وإن الأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا ...

أصول كريمة ١٩

كانت سارة ... زوج إبراهيم ... أجل نساء زمانها ...
ومن سارة هذه ... كان اسحاق ... ومن اسحاق كان يعقوب ... ومن يعقوب
كان يوسف ...
فاتقل جمال سارة الباهر ... إلى حفيدها يوسف ...

هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ..
كأنت راشيل .. زوجة يعقوب .. الثانية .. أجمل نساء أهلها .. كانت مثالا
فذا من الجمال .. وراشيل هذه .. هي أم يوسف ..
فورث يوسف عن أمه جمالها .. كما ورث عن جدته سارة جمالها ..
فاجتمع ليوسف جمال إلى جمال .. وورث يوسف تلك الصفات الممتازة ..
فولد يوسف طفلا .. ولكن الله جعل فيه من المكنونات عجبا 11
مكنون في قلبه .. أنوار ابراهيم خليل الله .. وأنوار إسحاق نبي الله .. وأنوار
يعقوب نبي الله ..
وماجت تلك الأنوار باذن ربها موجا .. حتى استقرت في قلب يوسف ..
ومكنون في تركيب صورته الظاهرة .. الجمال الابراهيمى .. والجمال الاسحاقى ..
والجمال يعقوبى ..
واقدر كان إبراهيم جميلا .. وكان إسحاق جميلا .. وكان يعقوب جميلا ..
فورث يوسف عن آبائه .. تلك السلسلة من الجمال الموروث ..
هذا من جهة أصول الرجال ..
وأما من جهة أصول النساء .. فقد ورث عن سارة صفات جمالها .. ثم ورث
عن أمه راشيل صفات جمالها ..
فيوسف بلغ الغاية من كرم الأصول ..
كريم في الباطن .. أمواج النور .. مكنونة في قلبه ..
كريم الظاهر .. صفات الجمال .. ظاهرة في صورته ..
فجاءت شخصيته آية من آيات الله تعالى في خلقه ..
ثم شاء الله تعالى .. أن يولد ذلك الطفل ..
ليظهر في عالم الشهادة .. حقائق معدنه .. وخفايا .. مكنوناته ..
فلننظر التجربة .. تجربة يوسف ..

يعقوب . في انتظار .. الميراث ؟

آنس يعقوب .. نبي الله .. من أبنائه ظالما ..
ولم يرفيهم أجمعين .. ما يؤهلهم .. لأن يختار الله منهم .. من يورثه .. ميراث
النبوة .. ويؤتبه أنوارها ..

والأبياء أوتوا نورا .. يكشف لهم حقائق النفوس ..
وهؤلاء أبنائه عشرا .. وما ترى فيهم أهلا للنبوة أحدا !!
وكان يعقوب لذلك قلقا .. وطال قلقه ..
ترى هل تنتقل النبوة من أبنائه .. إلى فرع آخر من آل إسحاق ؟
وطال انتظاره .. وكبرت سنه .. ولا شيء ..
وكانت راشيل عقيبا .. لا تلد .. بينما أختها تلد تباعا ..
وأخيرا ... وبعد سنين طويلة ... وبعد أن ولد ليعقوب من غيرها عشرا ...
أذن الله لراشيل أن تلد .. فولدت يوسف ..
في آخر زمانها ..
فكان ميلاده لأمه سرورا .. ولأبيه الشيخ قرعة عين ..

لماذا أحب يعقوب .. يوسف بالذات ؟

الذين أوتوا الجهل يقولون : ولماذا خص يعقوب .. يوسف .. بحبه .. فأحدث في
اخوته فتنة ؟

لقد أحب يعقوب .. يوسف ... لأنه اكتشف في ثناياه ... نور الميراث ...
ميراث النبوة ...

اكتشفه بما آتاه الله من نور في قلبه .. يكشف له ماشاء من القلوب ..
لقد رأى يعقوب بعيني قلبه .. أن ذلك الطفل المسى يوسف .. قد أرتى مالم يؤت
الله أحدا من أبنائه من قبله ..

أوتى أنوار إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. ورآها تتلألاً في قلبه ..
وقلب النبي .. يرى ما لا يراه الناس ..
ثم رأى في صورته .. ذلك الجمال الرفيع الذى قسمه الله ليوسف .. واورثه إياه من
سارة وراشيل ..
فكان الطفل آية ..
آية فى الباطن ..
وآية فى الظاهر ..
فاستمكن حب يوسف .. من فؤاد يعقوب ..
لأنه أصغر إخوته كما يظن الجاهلون ..
كلا .. وإنما لأنه نبي .. لأنه الوارث الذى طال انتظار يعقوب لمجيئه ..
فلما جاءه .. سر سرورا .. وأحبه حب النبي للنبي ..
والأنبياء هم الذين يفقهون الأنبياء ..
وذلك هو الحب اللائق بمقام نبي الله يعقوب ..
وذلك هو المستوى الرفيع .. الذى غاب عن الأكثرين فقالوا : ولم أحب يعقوب
يوسف من دون بنيه ۱۱۹ .

يعقوب .. يعلن لى الطفل نبوته ۱۲

وبرهان ذلك .. أن يوسف .. وقد كان ابن ثلاث سنين ..
حين قص على أبيه رؤياه : « يَا بَتِ لِمَ نِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ »
قصها يوسف .. فى براءة الطفولة .. لا يدري عنها شيئاً
فماذا كان جواب النبي يعقوب ۱۲
قال : « يَا بَنِي ، لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، إِنْ

الشيطانَ للانسَانِ عَدُوٌّ مَبِينٌ . وَكَذَلِكَ يَجْتَمِعُكَ رَبُّكَ ، وَيَعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ
الْأَحَادِيثِ ، وَيُؤَيِّمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ؛ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »

أرأيت 11؟ هذا الحوار بين الطفل .. وأبيه .. يؤكد أن يعقوب قد اكتشف النبوة
في يوسف .. وأنه كان يحبه لتلك النبوة ..

طفل يقص على أبيه رؤيا ..

فتشعشت أنوار النبوة من قلب يعقوب ..

ورأى فوراً .. ما لا يراه الناس ..

ورأى أن الرؤيا حق .. وأن يوسف سيكون له شأن يذكر .. شأن عظيم .. وأن شهود

طفل في الثالثة .. مثل تلك الرؤيا المحكمة .. لا يتأتى إلا من نبي ..

ولذلك سارع يعقوب إلى ابنه الصغير يحذره ..

« يَا بَنِي ، لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ ، فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ، ..

إِنَّهُ يَخَافُ عَلَيْكَ .. لِأَنَّهُ حَامِلٌ الْمِيرَاثِ .. مِيرَاثِ النَّبُوَّةِ ..

ثم يعلن يعقوب .. إلى الطفل : « وَكَذَلِكَ يَجْتَمِعُكَ رَبُّكَ » ..

يختار ربك لنفسه .. يجعلك نبيا ..

والنبوة تجربة يعيشها يعقوب .. فهو يعلم بداياتها ونهاياتها .. وكيف تقع .. وكيف

تكون .. وما هي أساسياتها وانفعالاتها .. وعطاءاتها 1؟

إن إرادة يوسف .. وهو في الثالثة .. مثل هذه الرؤيا المحكمة ..

لا تكون إلا لنبي ..

إلا أن النبوة تشعشت كشوفاتها .. كشوفات الغيب .. من يعقوب ..

حين قال : « وَيَعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ »

من أين ليعقوب هذا الذي سوف يكون ليوسف مستقبلا 1؟

من عطاء النبوة .. « وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ » ..

ليس هذا وحده هو المعجز... وإنما من المعجزات قوله: « ویتّم نعمتهُ عليكَ » .
ویتّم لك يا أيها الصغير ... النبوة ... لأن النبوة هي النعمة الكبرى ..
ومعجزة أخرى ليعقوب : « وعلى آل يعقوب » .
ویتّم نعمته على وعلى أمك راشيل .. بأن اختارك نبيا ..
وفي ذلك اطمئنان كبير ليعقوب .. أن النبوة لم تنقل عن بيته .. وإنما أذن الله أن
تمسك في أحد أبنائه ..

وأخرى : « كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق .. »
كما أتم نعمته على جدك إسحاق .. وجعله نبيا ..
وكما أتمها على جدك إبراهيم وجعله شيخ الأنبياء !!!
نور .. من نور .. من نور .. وذلك شيء يسير .. من نبي الله يعقوب !!
ثم يقرر يعقوب .. أن الأمر يسرى ويجرى على مقتضى الاستعداد ..
« إن ربك عليم حكيم » .. يعلم استعدادك يا يوسف للنبوة .. حكيم يضع الأمور
مواضعها !!

هذا هو البرهان الأقوى .. من كتاب الله تعالى ..
ما كان يعقوب ليخب يوسف .. لجرد أنه أصغر أبنائه ..
كلا .. فللأنبياء مقامات علي .. فوق تلك الأحاسيس ...
إنما أحبه لأنه نبي ...
لأنه طال انتظاره .. ليث عنه نور النبوة ..
وها قد الشق وجوده ... فكان حبه حب نبي ... ينتظر النبي ... الذي يتسلم منه
الشعلة .. شعلة النور الإلهي المقدس !!!

بدء الغربة 19

الغربة عن الخلق ... ضريبة ... حتمية ... على كل نبي ...

ذلك أن الله تعالى يريد لهم لنفسه .. فمن الحتم أن يفصلهم عن خلقه ...
ولقد كانت الغربة .. في حياة إبراهيم .. متقررة من أول يوم ..
اغترب إبراهيم عن أبيه ... حين عائلته ببطلان أصنامهم ...
فطرده أبوه .. فاغترب إبراهيم عن والده !!!
ثم اغترب عن نبي وطنه جميعا .. حين أعلنهم ببطلان أصنامهم .. فأججوا له نارا !!
وهاجر إبراهيم عن الخلق أجمعين .. ليسن منهم ولا هم منه ..
وأعلنها الخليل : « إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ... »
وانفصل إبراهيم انفصالا تاما عن الخلق ..
ليذهب إلى ربه ... مسقطا للأغيار اسقاطا تاما ..
وتلك هي الخنيفية في أعلى علاليها !!
فكيف كانت الغربة في حياة يوسف ؟
أعجب وأغرب .. وأشق وأدق ؟!
اجتمع جميع إخوته عليه !!
عشر من الأشرار .. يكيدون لطفل .. طيب .. كريم .. لا يملك من أمره شيئا !!
والتقوه في الجب .. ليهلك ..
فالتقطه .. ربه .. ليحيا !!
واغترب يوسف عن إخوته .. وعن أمه راشيل .. وعن أبيه .. الذي يفقه حقيقته ..
وعن وطنه ..

وعن حرثته .. حين باعوه .. بضاعة .. فصار مملوكا !
وفقد يوسف كل شيء ..
فقد أباه .. فقد أمه .. فقد إخوته .. فقد وطنه .. فقد حرثته .. فقد كل شيء ..
ليتولاه هو ..
هو سبحانه وحده !!

فانظر كيف يخرجهم ربهم .. وكيف يصنعهم .. وكيف يقطع الأسباب .. ليكون هو
وحده .. وليهم ومولاهم ؟

سبحانك .. إنك أنت العليم الحكيم !!

الفتنة الكبرى ١٩

وآتاه جمال الصورة ..

فكان أجل أهل زمانه ...

جالا .. دفع سيدات الطبقة الراقية .. أن يراودنه عن نفسه ..

ليس فقط امرأة العزيز ... هي التي راودته .. عن نفسه ...

وإنما كلهن .. يراودنه ..

تريد كل منهن .. أن تستمتع بسهرة .. أو رشفة .. أو لحظات مع هذا الـ « يوسف » .

فتنة .. تموج موج البحر .. من حوله !!

انهن لا يرين فيه .. إلا شابا جميلا .. مثيرا ..

شابا تترامى الجميلات .. بين يديه .. وتتمنى قبلات شفثيه !!

ونادى يوسف : « ربِّ ، السجن أحبُّ إليَّ ، مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني

كيدهنَّ ، أصبُ إليهنَّ ، وأكن من الجاهلين » !!

إنه يشق الظلمات ... التي بهضها فوق بعض .. شقا ..

يشقها .. ويستغيث .. بربه : رَبِّ !

فماذا كان من ربه ١٩

« فاستجاب له ربه .. »

فورا .. وقعت الاستجابة ..

إنه صراخ قلب منير .. يستصرخ ربه .. لينقذه ..

فكان حتما ... أن يستجيب ... سبحانه ...

كيف كانت الاستجابة ؟

« فصرّف عنه كيدهنّ » ..
فتتحقق لديهنّ .. أن يوسف لا ينال .. فياأسن منه ..
ثمّ حال بينه وبين الخلق أجمعين .. فكان السجن ..
وتلك غربة أخرى .. يفتربها يوسف ...
ويوسف في اجتيازه .. لتلك الفتنة .. ففتنة الجنس ..
وهو يملك أدواتها .. ودواعيها .. وأسبابها ..
يعتبر أعظم إنسان في عصره .. بل في العصور جميعا ..
إلا أن يكون نبي أعظم منه صبورا ... وأفضل مقاما ..
جمال .. شباب .. نعيم .. ظروف مفتحة الأبواب ..
إناث كلهنّ نعومة .. واغراء .. وجمال .. ودلال ..
يراودنه بكل ما في استطاعة الأناث .. أن يراودن به الرجال ...
وهو يستعصم .. ويعلو .. ويأبى ...
وكما استعصم .. وأبى ... ازداد نورا ... وازداد عند ربه علوا عظيما ...
وليست عظيمة يوسف .. أنه استعصم من امرأة العزيز وحدها ..
وإنما أنه استعصم من النساء .. اللاتي عرضن أنفسهنّ عليه عرضا ..
وانظار إلى شاب .. تترامى عليه ... نساء القصور .. وبنات النعيم ... وهو يفر
منهنّ فرارا ...

فكيف كانت تلك الشخصية .. وكيف كان سموها .. وكيف كان لألأوها ؟ ..

آلام الاتهام الباطل !

وأدخلوه السجن .. متبها في امرأة العزيز .. وغيرها من النساء .
يوسف .. النور الكريم .. يتهم بالباطل ..
بل ويماقب بالسجن .. على أنه مجرم أثيم !!
وذلك شيء ليس يسيرا ..

وكما كانت النفس طاهرة .. كلما كان احساسها بالآلام الإتهام الباطل أكبر ..
فلو أنك أدخلت مجرماً إلى السجن .. لم يتألم .. مثل ما يتألم .. رجل برىء .. أدخل
السجن باطلا وزورا !!

فكيف .. ويوسف .. وراء البراءة .. ووراء الظنون؟!
وتجرع يوسف .. آلامها .. وعلم أن الحياة تمحى أعاجيب !!
وأن الإجرام قد يصل بالمجرمين .. حدا .. يهتمون فيه البراءة .. ويسجنون فيه الطاهرين !!
ونجح يوسف في ذلك الامتحان .. وازدادت شخصيته صفاء على صفاء ..
وكان أعجب ما سجله من نجاح أنه حول السجن الزهيب المظلم . إلى جنة .. تمتلئ
بأنوار التوحيد !!

يوسف .. يتلألا ..

في مقام الشكر .. وهو في بلاء السجن !!

عجائب هؤلاء الأنبياء .. لا تفتى !!
فقد يطالب المؤمن أن يكون على البلاء صابرا .. ويحمد ذلك منه ..
ولكن الأنبياء دائما فوق ذلك المقام .
إنهم يتلألون في مقامات الشكر .. وهم في آلام البلايا والرزايا !!
ومقام الشكر أعلى .. من مقام الصبر ..
لأن كل شاكر صابر ..
وليس كل صابر شاكر ..
والذين يصعدون إلى مقامات الشكر .. يجوزون .. في صعودهم .. مقامات الصبر
جميعا ..

هنالك .. في أعلى مقامات الشكر .. تجد الأنبياء .. يتسابقون !!
في السجن .. رأى الفتيان .. مارأيا ..

وقصاً عليه ماقصاً ..

فأخراً يوسف عنهما تعبير مارأيا ..

ودخل بهما إلى الدعوة !

فكان مما قال لهما : « واتَّبعتِ مِلَّةَ آبَائِي ، إبراهيمَ ، وإسحاقَ ، ويعقوبَ ،
ماكانَ لنا أن نشاركَ باللهِ مِن شَيْءٍ ، ذلكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ، وعلى الناسِ ، ولكنَّ
أكثرَ الناسِ لا يشكرونَ . » !!

انظر .. السجن يتحول إلى جنة .. جنة توحيد !!

كأن يوسف في أتم الحرية .. ينتقل من الأرض حيث يشاء .. داعياً إلى ربه !!

إلا أن هذا شيء .. وما نحن بسبيله شيء آخر ..

أين مقام الشكر الذي يتلألأ فيه يوسف وهو في السجن ؟!

مكتون في قوله : « ذلكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ، وعلى الناسِ ، ولكنَّ أكثرَ

الناسِ لا يشكرونَ ، !!

إن يوسف يرى .. ويوقن .. أن الله أعطاه وآبائه .. أعظم نعمة .. وتفضل عليه

أعظم الفضل ..

أن آتاه وآبائه .. الحنيفية .. الاتجاه المباشر .. إلى إله واحد .. لا شريك له ..

لأنه يسبح في أعلى مقامات الشكر .. « ذلكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا » .

ثم يقرر أن أعظم الفضل ، أن يؤتى الله أحد الناس تلك النعمة « وعلى الناسِ » ..

ثم يطلق ناموسا خالداً « ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يشكرونَ » .

وهكذا .. ترى يوسف .. شاكرًا .. في أعلى مقامات الشكر ..

وهو في السجن .. في ظلمات السجن !!

وتلك مقاماتهم العُلى ..

يكونون في البلياء .. شاكرين ..

بيننا أقسى طاقات عباد الله الصالحين أن يكونوا في البلياء صابرين !!

رأى الأسباب .. فكان العقاب ؟!

وأخرى .. من شئونهم .. أعلى .. وأعلى .. وأرقى ..
حين أبصرت عين قلبه .. ظلام الأسباب .. ابصارا خاطفا ..
فعاقيه من أجلها عقابا عظيما !!
وكذلك يريهم .. ويؤدبهم .. ليستخلصهم لنفسه ..
فما الأقصوة !!؟

« وقال للذي ظن أنه ناجٍ منهما ، اذ كرتني عند ربك ، فأفساه الشيطان ، ذكرَ
ربه ، فلبثَ في السجنِ بضعَ سنينَ . » !!

هل هذه تستوجب حُكماً ، بالبقاء في السجن سبع سنين !!؟
نعم .. نعم .. لو كانت من غير يوسف .. ماعوقب عليها ..
ولكن .. منه هو .. المؤهل لمقام النبوة ..
المستصفي لله وحده ..

منه هو تستوجب المؤاخذة !!

رجل سجين .. رأى سجيناً زميلاً له في السجن .. يفرج عنه .. ويعود إلى القصر
الملكي ..

فتحرك لسانه بكلمة طبيعية « اذ كرتني عند ربك » ..

اشرح للملك أني مظلوم .. لينظر في أمري !!

شيء طبيعي .. مطلوب شرعا .. للدفاع عن النفس !!

ذلك مستوى العموم .. ولكن مستوهم .. أولئك الأنبياء .. وراء ذلك ..

مستوهم .. لا أسباب ..

إسلام كلي .. له وحده .. سبحانه ..

فإن أساموا له .. تولاهم هو .. وكفاهم ما أهمهم !!

ولقد أخذ يوسف في الأسباب .. وطلب من الناجي أن يذكره عند الملك ..

فهل حدث 11؟

كلا.. نسي المفرج عنه .. ولم يذكر مطلب يوسف .. إلا بعد بضع سنين !

فانظر .. كم يتحملون .. ويحملون .. أولئك الأنبياء ..

يحملون ما إن وضع على الجبال لتذابت !!

مكنونات .. الشخصية .. تتشعشع 1؟

سألوه تعبير رؤيا الملك .. فعبرها لهم .. كأنها لاشيء .. بالنسبة إلى بحار علمه !!

وانتقل منها .. يضع لهم مخططا اقتصاديا معجزا ..

لو اتبعوه .. لنجت البلاد كلها من شر مجاعة عامة تهلكهم !

« قال : تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم ، فذروه في سنبله ، إلا قليلا

مما تأكلون » .

انه ينتقل من التعبير .. إلى السنين المستقبلية ..

ويبين لهم ما يكون فيها .. وما عليهم أن يفعلوه ..

عليهم أن يتركوا المحاصيل في سنابلها ..

لتقاوم التسوس والفساد سنين طويلة ..

مخطط عجيب .. يمجج على لسانه موجا .. من بحار النبوة .. التي في قلبه !!

إنهم ينابيع لأنوار .. فوق علم العلماء ..

إن الله يكشف لهم من غيبه .. ويمنحهم من عطائه منحا كبرى !!

أمواج العبقرية اليوسفية تتموج 1؟

ثم قال يوسف : « ثم يأتي من بعد ذلك ، سبع شداد ، يأكلن ما قدتمن لهن ، إلا

قليلا مما تحصنون »

هل استطاع ذلك إلا لنبي؟

الله لا .. ولكن يوسف يتموج بالغيوب .. كأنها شاشة سينما .. تجري أمام عينيه!!

حدد سنين الجماعة بسبع .. وحدد أنهم سوف يستهلكن كل ما ادخرته البلاد من

المحاصيل ..

وحدد أنه سوف لا يبقى من شيء « إلا قليلا مما تحصنون» مما تحفون ليكون بذورا

للمحصول الجديد !!

تخطيط عملي .. وأسلوب سوف يكون .. وتحديد للسنين .. والكميات الباقية !!

وهذا هو بحر النبوة .. حين يتموج بالعلوم موجا ..

فلا يخفى على الأنبياء من شيء مما يخفى على العباد !!

وإنما ذكرنا ذلك الجانب من شخصية يوسف .. ليعلم الذين لا يعلمون ..

الذين لا يؤمنون بالنبوات .. أن الأمر حق ..

ولكنهم يجهلون ..

يجهلون أن وراء ظلام عقولهم .. نورا .. يؤتاه الله من شاء من عباده ..

وأن بحار أنوار النبوات .. لا تنفد .. لأنها تستمد من نور الله الذي لا ينفد !!

ثم انظر إلى عبقرية يوسف .. تموج موجا ..

فيقول : « ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ ، فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون » !!

هذا من أعجب العجب !!

حدده بالعام الخامس عشر !!

سبع سمان .. وسبع عجاف .. ثم عام كله خير وامطار وفيضان من النيل ..

« يغاث الناس » فيه ينزل الغيث .. فيفيض نهر النيل بفيضان عال .. يعوض الناس

الجدب الطويل !!

وتزدهر المحاصيل .. إلى درجة تفيض معها الثمار ..

« وفيه يعصرون » يعصرون الفواكه ، كالعنب ، والزيتون ، والسَّمسم وغيرها ..
وفيه تكثر الفواكه والخضر المحفوظة ، وتفيض عن الحاجة !!
إن يوسف يقرأ من لوح الغيب .. إنها النبوة ..
يا أيها الذين يجهلون ما هي النبوة ويكذبون !!

يُدعى إلى الإفراج فيأبى !!؟

تالله .. وبالله .. ووالله .. لو أن هؤلاء الذين ينكرون النبوات .. علموا قطرة من
بحار أنوارهم .. لجاءوهم .. خشعاً .. ركعاً .. يتذللون !!
ولكنهم يجهلون !!
يجهلون أقدارهم .. فذهبوا يكذبون !!
أصدر الملك أمراً .. بالافراج عنه فوراً .. « وقال الملكُ ائتموني به .. »
أمر ملكي بالافراج عن يوسف فوراً ..
فهل استجاب يوسف .. واهتبلها فرصة .. للخروج فوراً .. من السجن !!
كلا .. وإنما قال للرسول : « ارجعْ إلى رَبِّكَ ، فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعنَ
أيديهنَّ .. » !!؟

معدن عجيب !!

ليس المهم عنده أن يخرج .. وإنما المهم أن تظهر براءته .. للجميع !!
ولو أن أحداً مكانه .. لمرع .. واستبق الباب .. إلى الحرية ..
وسجلها له .. سيد الأنبياء .. محمد .. صلى الله عليه وسلم .. حين قال :
« وَكَوَلَيْتُ فِي السَّجْنِ طَوْلَ مَالِثِ يَوْسُفَ لِأَجَبَتِ الدَّاعِيَ . » [البخاري]
وحين يشهد محمد .. صلى الله عليه وسلم .. ليوسف .. بالمظمة .. في هذا المقام .. فأنما

هي الشهادة !!

لأنَّ محمداً .. صلى الله عليه وسلم .. أعلى الأنبياء مقاما .. وأكبرهم نورا ..

وما ينبئك مثل خبير !!

شخصية عجيبة .. هذا الذى اسمه يوسف !!

فى أعلى ... علائها .. ويتهم نفسه !!

وأعجب العجب .. وبعد أن شهدت امرأة العزيز أنها هى التى راودته عن نفسه ..

وبعد أن شهد النسوة .. أنه ما علمن عليه من سوء ...

وبعد أن علم الملك .. وعلم الجميع .. أنه برىء من التهمة .. براءة تامة ..

بعد أن تحقق له كل ذلك ..

بعد أن شهد الجميع ببراءته .. فكان فى أعلى علائ النزاهة ...

وأعلى قمم البراءة ..

من ذلك المقام .. تنزل يوسف من عليائه ..

وذهب يتهم نفسه .. تواضعا فى جناب الله تعالى ..

فأعلن : « وما أبرئى ، إن النفس الأمارّة بالسوء ، إلا ما رحم ربي .. » !!

وتلك هى نفوسهم .. وذلك أمّوذج من نماذج نفوس الأنبياء ..

لأن أحدا مكانه .. لنذهب يتيه .. على الناس .. أن علموا براءته .. ونزاهته ..

وتحققوا حقيقة معدنه ..

ولكنه على الفور شع اشعاع الأنبياء ..

فأعلن أن نفسه غير بريئة ..

انكسارا لله تعالى .. وتواضعا فى جنابه ..

وتسجيلا للفضل له سبحانه وحده ..

فنفسه أعلى النفوس .. ولكنّه يرد الفضل إلى ربه ..

« إلا ما رحم ربي » ... إلا ما تفضل الله تعالى عليه من النفوس .. فزكاها .. وآتاها

نورا .. يحجزها عن السوء !!

كما فعل به سبحانه .. فأراه برهانه .. فجعل له نورا .. حجزه عن السوء ..
جانب خطير جدا من شخصية يوسف ..
جانب نفساني .. يجدر بعلماء النفس .. أن يتدارسوه .. ويفقهوه .. ويفرغوا من
بحاره الممتدة ..
لو كانوا فاعلين !!!

الملك .. يكتشف .. شخصية يوسف ؟!

لقد كان الملك .. ذلك الفرعون .. على عهد يوسف ...
كان رجلا عظيما ... أن اكتشف ذلك ... الجوهر الثمين .. جوهر يوسف ...
وصاح الملك من فوره أمرا : « .. اتتوني به ، أستخلصه لنفسي .. »
وجاء يوسف عزيزا .. كريما .. بريئا .. عظيما .. تطمح إليه الأبصار ..
وكذلك أولئك العظماء .. الأنبياء !!
حركاتهم عظيمة .. وسكناتهم عظيمة .. وأحوالهم عظيمة !!
« فلما كلمه .. » ؟!
فلما كلم يوسف الملك .. وكلمه الملك ..

كان حديثا طويلا .. اكتشف اثناءه الملك .. شخصية يوسف ..
ولحديث الأنبياء رنين .. يترقق من مقاماتهم العُلى ..
فيتسلسل إلى القلوب كما تسرى ذرات النور .. في خلايا الكائنات ..
لقد آنس الملك .. منه .. نورا .. في صورة بشر .. وبشرا في صورة نور !!
فرعب هنالك شيطان الفرعون .. وأشرقت حقيقة يوسف .. في قلب الملك !!
فكانت لحظة اشراق .. اكتشف فيها الملك .. يوسف ..
فصاح به لفوره : « .. إنك ، اليوم ، لدينا ، مَكِينٌ ، أمينٌ » .
اليوم !!؟ اللحظة .. من هذه اللحظة .. من الآن ..

مكنين !! سوف نمكن لك من الحكم يا يوسف .. فأنت رجل فوق الرجال ..
أمين !! .. أمين على أمانة الحكم .. بلغت أمانتك حدا ... وراء الأمانات !!
فهل اكتشف الملك .. شخصية يوسف .. كلها !!
كلا .. ما اكتشف منه إلا خلافا معدودة .. النزاهة .. الأمانة .. الشرف ..
واكن بحار أنوار يوسف .. مازالت مكنونة .. أعين الملك في غطاء عن عجائبها !!
لقد اكتشف الملك منه ذرة .. فلما انفجرت تشعشت طاقاتها .. فبهرت الملك ..
وأخذت عليه عقله !!

فكيف إذا كشف الغطاء .. عن شخصية يوسف .. بمكنوناتها ..
إذا ما استطاع الملك أن يقوم لها .. وما استطاع لها إبصارا !!
وتلك رحمة من ربك .. يكشف للناس .. من أنوار الأنبياء بقدر ما يحمولون ..
لا بمقدار ما يُكِنُون !!
لقد بهرت أنوار تلك الذرة من مكنونات قلبه .. الملك .. فألقى إليه بملك مصر ..
طوعا ..

كما بهرت محاسن صورته .. امرأة العزيز .. فألقت بنفسها إليه طوعا ..
وكما بهرت تلك المحاسن الظاهرة .. نسوة العاصمة .. فالتقين بأنفسهن بين يديه ..
مستسلمات !!

فيا لشخصية يوسف .. كم فيها من عجائب !!

على خزائن الأرض ١٩

ونادى يوسف : « .. اجعلني على خزائن الأرض ، إنني حفيظٌ عليمٌ .. »
الشخصية هنا .. تستعملن وجودها ..

لقد كان حديثا .. بين الأئمنين .. بين الملك ويوسف ..
واعلن الملك استعداده أن يرفع يوسف إلى أعلى المناصب ..

فطلب يوسف من الملك ، أن يلقى إليه بمقدرات البلاد كلها ..
وهذا هو معنى « خزائن الأرض » ..
فليس المعنى أن يكون وزيراً للخزانة ، أو التموين ..
كلا .. وإنما كل الخزائن .. كل مقدرات البلاد .. كل امكانيات البلاد ..
ليخطط يوسف تخطيطاً اقتصادياً عاماً شاملاً .. لسياسة البلاد ..
يريد يوسف أن يكون الرجل الأول .. صاحب السلطة المطلقة .. لينفذ سياسته التي
يراهم خيراً للجميع ..

وقد كان .. وصدر الرسوم الملصكي .. يوسف بن يعقوب .. رئيساً للوزراء ..
وبقى الملك مجرد رمز .. يملك ولا يحكم !!
وكان تمكيناً أى تمكين ..
« وكذلك مكنا ليوسف ، فى الأرض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من
نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . »
فانظر .. من سجين .. متهم .. لاحول له ولا قوة ..
إلى الرجل الأول فى المملكة .. صاحب السلطة العليا فى جميع البلاد !!
من رجل يعيش فى زنزانة ... أشبار فى أشبار معدودة ... لا يستطيع الحركة إلا
ياذن ..

إلى مطلق الحرية .. مطلق الأمر ..

« يتبوأ منها حيث يشاء » !!

يوسف .. فى تجربة الحكم ؟!

وتمت النعمة .. ورفع الله يوسف النبي .. فصار يوسف الملك ..
واجتمع للشخصية اليوسفية .. كمال النبوة .. وجلال السلطة ..
وتلاً لأمنه .. جمال النبوة .. وجلال الملك ..

فكان النبي الملك .. والملك النبي ..
وتلك أخطر مرحلة من مراحل تلك الشخصية ..
لأن يوسف النبي .. قد وضع في التجربة .. تجربة الحكم ..
فاذا ما تمهقنا إلى وراء .. لنستطلع ما جعله الله تعالى .. من نواميس .. لاعداد
يوسف .. اعدادا عجيبا .. لذلك الدور .. دور الحكم والملك والرياسة العليا ..
نرى آيات وآيات .. كما قال سبحانه : « لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ
للسائلين » ..

« والآيات المشار إليها هنا .. هي النواميس الإلهية .. التي تسرى في خفاء ..
« إن ربي لطيفٌ لما يشاء .. »

والمراد باللفظ هنا .. سريان النواميس في الكائنات .. وهم لا يشعرون ..
إنك إذا نظرت إلى شجرة نامية .. تنتشر في أغصانها الأشواك .. والأوراق
الخضراء .. قلت: ماذا يراد من تلك الشجرة الشائكة ؟
فاذا ما انبثقت من أشواكها .. وردة حمراء .. أو بيضاء .. أو صفراء .. ذات جمال
وازدهار ورائحة زكية ..
أدركت أن المراد هو الزهرة .. هو الثمرة الجميلة .. وليس المراد تلك الأشواك
الشائكة من الأعواد ..

كذلك النواميس الإلهية .. في الكائنات .. وفي البشر بصفة خاصة ..
إذا ما أراد الله تعالى أن يعد إنسانا ممتازا .. لأداء دور ممتاز في التاريخ ..
أنبته نباتا حسنا .. ثم ابتلاه بأنواع من الاختبارات .. الشاقة .. الثقيلة ..
فاذا ما اجتازها بنجاح .. كان أهلا لحل الرسالة التي اختاره الله تعالى لأدائها ..
وتجد ذلك الناموس .. ساريا .. جاريا .. في شخصية يوسف .. من البداية ..
إلى النهاية ..

عند الاختيار .. ترك الله أبناء يعقوب .. الأجد عشر جميعا .. واختار يوسف
من بينهم ..

لماذا؟! لأن الطفل يوسف .. كان ممتازا .. والامداد على قدر الاستعداد ..
أو : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » !!
فلما تم اختيار الكائن .. اصطفاء الطفل .. الممتاز ..
أو لما تم اجتهاد الطفل .. « وكذلك يَجْتَسِبُكَ رَبُّكَ » ..
بدأت النواميس الإلهية .. عملها على الفور ..
وبدأ ادخاله تجارب الاختبار .. تجربة إثر تجربة ..
فإذا ما نجح في تجربة .. أهله ذلك النجاح ، إلى دخول امتحان تجربة أشق من
سابقتها .. وهكذا ..

تماما كما يؤدي الطالب امتحان القبول بنجاح .. فيؤهله ذلك لدخول المرحلة الإعدادية ..
فإذا ما أدى امتحان الإعدادية بنجاح .. أهله ذلك لدخول المرحلة الثانوية ..
فإذا ما أداها بنجاح أهله ذلك لدخول الجامعة ..
فإذا ما أدى امتحان الجامعة بنجاح أهله ذلك لدخول الدراسات العليا ..
فإذا ما أداها بامتياز أهله ذلك ليحصل على الدكتوراة .. أو الأستاذية ..
هنالك يستحق أن يكون أستاذا .. أن يكون إماما لغيره !!

نفس الناموس .. يجعله الله تعالى ساريا .. جاريا .. في الأنبياء .. وفي الأولياء ..
وفي الأصفياء ..

يدخلهم امتحانا إثر امتحان .. فإذا نجح الفرد منهم في أداء الامتحان .. أدخله مرحلة
أرقى .. فإذا نجح في أداها .. رفعه إلى مرحلة أعلى .. وهكذا ..
حتى يصبح النبي .. أو الولي .. أو الصفي .. أهلا لأن يكون أستاذا لغيره .. أن
يكون للناس إماما ..

وتجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه : « وإذ ابتلى إبراهيمَ رَبُّهُ بكلماتٍ ، فآتمَّهُنَّ ، قال : إني جاعلكَ للناسِ إماماً .. »

إني جاعلكَ للناسِ أستاذا .. إني مانحك شهادة الأستاذية .. لتعود الناس إلى ربهم .. ومعنى « آتمهن » أى نجح نجاحا تاما .. وفاز في كل مرحلة فوزا عظيما ..

أهله لأن يدخل المرحلة الأرقى .. وهكذا ..

نعود ونقول : فلما تم اختيار الطفل .. أدخل فورا إلى التجارب ..

ففي سن الثالثة .. أدخل تجربة عنيفة جدا ..

اثمر به رجال كبارهم إخوته .. وألقوه في الجب !!

ونجح يوسف في التجربة .. وكان علامة نجاحه الباهر .. أن نودى « لتنبئنههم بأمرهم

هذا وهم لا يشعرون » .

ثم أدخل تجربة أشق .. تجربة أرقى ..

بيع بدارهم معدودة .. وتعرض للمهانة ..

فنجح في تلك التجربة .. وكان علامة نجاحه أن مكن الله له من قلب العزيز .. وقلب

امرأة العزيز ..

« وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ .. »

فلما بلغ أقصى قوة الشباب .. والنضج .. والجمال ..

أدخل تجربة من أعنف التجارب ..

وشنت سيدته .. امرأة العزيز عليه .. غرامياتها .. ومراوداتها ..

وهو يستعصم ويعرض .. وكلا أعرض عنها .. ازدادت إقبالا عليه ... وحبها له ...

وهياما بجماله ..

ونجح يوسف في التجربة ..

فأدخل تجربة أشق ... فأحيط بمدد عظيم من الجميلات ... بنسوة العاصمة ... بنساء

الصالونات ...

وبعد أن كان يتمتحن بامرأة واحدة .. هي امرأة العزيز وحدها ...
هاهو يتمتحن بجميع جميلات العاصمة ..
فتنة تموج عليه كموج البحار ..
ونجح يوسف في ذلك الاختبار كذلك ..
فلما نجح .. أدخله اختباراً أشق .. وأثقل .. أدخله السجن ..
متهماً بتهمة باطلة كرهية .. ولفقوا له قضية باطلة أنه أراد الاعتداء على امرأة العزيز ..
وشرع في اغتصاب عدد من الجميلات الحسنات !!

ونجح يوسف نجاحاً باهراً في تلك التجربة ..
فلما جاز تلك المراحل كلها .. وسجل في امتحانها امتيازاً فوق امتياز ..
منحه الله لقب الأستاذية .. إني جاعلك للناس إماماً .. أي « وكذلك نجزي المحسنين »
واستحق يوسف عن جدارة ... وامتياز ... « وكذلك مكنا ليوسف ، في الأرض
يتبوأ^ت منها ، حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . »
أي .. وسلكننا يوسف المسالك .. التي تؤهله .. لأن يكون ملكاً عظيماً .. وحاكماً
عادلاً .. ورئيساً رحيماً ...

فلما اكتمل .. ونجح .. آتيناها أجره .. آتيناها الملك !!!
فليس الأمر .. مجرد عطاء حيناً اتفق ...
كلا .. وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ..
إنما هو العدل في العطاء .. والامداد على قدر الاستعداد ...
ولقد دخلت الشخصية اليوسفية ، اختبارات إثر اختبارات ...
فنجحت .. وارتفعت .. فأثابها الله جزاء إحسانها .. « ولا نضيع أجر المحسنين » !!
وتلك الاختبارات تعود على شخصية يوسف .. بفائدتين ..
فأثابته لشخصه .. تزيد شخصيته كلاً وعلواً ..

وفائدة للناس ... حتى إذا ما حكم .. أحس بمتاعبهم وآلامهم .. وعمل على تخفيفها
ولإزالتها .. فكان رحمة للناس جميعاً ..

أذاقه مرارة الآلام .. ليرحم الناس اذا حكم ؟!

أذاقه مرارة الظلم ... حين صممه لإخوته ...
ومرارة الحرمان حين حرموه من .. زيبه ...
ومرارة الغربة حين بيع في مصر
ومرارة الرق حين صار مملوكاً للعزير ...
ومرارة الاتهام الباطل حين اتهموه في امرأة العزيز ، ونسوة المدينة ...
ومرارة التعذيب بالباطل ، حين أدخلوه السجن ..
ومرارة السجن .. ومر به على تعذيبها وآلامها ..
ومرارة الإهمال ... حين ألقى في ظلمات السجن .. لا يدري به من احد ..
حتى إذا مارفعه .. إلى مقام السيادة والملك ...
أحس آلام هؤلاء جميعاً .. وسعى سعياً حثيثاً في إزالة آلامهم ..
وتلك هي التريبة الإلهية لهؤلاء العظماء الحكماء الأنبياء ...

النبي . . في الملك ؟!

أكثر الناس لا يلتفتون ... إلى خطورة تجربة يوسف ...
ويعرون على تلك المرحلة مرا خفيفاً ...
بينما هي أخطر مراحل شخصية يوسف ..
وإنما تغتفى خطورتها .. من أنها تجربة فذة في تاريخ البشرية ..
ولقد آثرنا تسميتها بالملك .. دون رياسة الوزراء .. لأن يوسف كان رئيساً للوزراء ..
يملك جميع السلطات .. وكان الملك مجرد رمز للعرش ...
فكان هو في الحقيقة الملك المطاع الأمر الناهي ...

وأثرنا ذلك المذهب .. لأنه مكتنون في قول يوسف « رب قد آتيتني من الملك .. »
وقوله سبحانه: « فقد آتينا آل إبراهيم، الكتاب، والحكمة، وآتيناهم ملكا عظيما »
وكان ملك يوسف .. مما آتى الله تعالى آل إبراهيم من الملك العظيم .
وجاءت تجربة يوسف .. النبي الملك .. فذة .. لا يعدها إلا تجربة داوود وسليمان .. من بعد .
فقد كان داوود نبيا ملكا ..

وكان سليمان نبيا ملكا ..
والخطورة في تجربة يوسف .. أنها برهان على امكانية تطبيق المثاليات في واقع المجتمعات .
فمن الناس من يظن أن سمو الأنبياء إنما هو من باب المثال .. وأن تطبيق ما يدعون
إليه من باب المحال !!

وينظرون إليهم على أنهم نماذج مثالية .. يقترب منها .. ولا يستطيع تطبيقها !!
فجاء يوسف النبي .. ورفع إلى مقام النبي الملك ..
ليكون آية للناس .. على أنه إذا وجد الإنسان المؤمن .. قام الحكم الصالح .
وإذا صلح قلب الحاكم ، صلح حكم الناس ..
ولقد كان يوسف قلبا .. منيرا ..
قلب بي - ابن نبي ، ابن نبي ، ابن نبي ..
فهو في الذروة من النور ، وفي القمة من السمو .. وفي أعلى درجات القرب من رب
العالمين .

فلما أوتى الملك .. تلافأت منه عجائب النبوة ..
ومكنته السلطات التي بيده من إنفاذ أمر الله تعالى في الناس وفي البلاد ..
وما ظنك بنبي عظيم .. أوتى نور النبوة ..
وقد صار ملكا .. يحكم .. كيف يكون !?
لقد استقبل يوسف .. النبي الملك .. فساداً عريضا .. في البلاد المصرية ..
استقبل طبقة حاكمة .. فاسدة .. سلوكا .. وأخلاقا .. ودينا ..

فاسدة في نفسها .. وفي بيوتاتها .. وبكفيك دليلا على فساد نساءهم .. أنهم كن يراودن
يوسف عن نفسه .. انحلال عام تام في كل شيء ..
دولة منحلة .. كانت تعاني الانهيارات في كل شيء ..
كان مجتمعا منحرفا .. مظالما ..

العقائد فاسدة : « .. إلى تركت ملة قوم ، لا يؤمنون بالله ، وهم بالآخرة ،
هم كافرون . »

هذا هو تصوير يوسف .. الصادق الأمين لعقائد المجتمع المصري آنذاك ..
قوم .. شعب .. لا يؤمن بالله .. وشعب يكفر بالآخرة !!
ظلمات بعضها فوق بعض ..

عقائد فرعونية فاسدة .. من أوهام القراءة ، وأصنامها ، وعباداتهم الباطلة ..
ومجتمع ظالم .. ويكفي دليلا على ذلك أن اشتركت الطبقة الحاكمة في تلفيق التهمة
المنكرة ليوسف ..

« ثم بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين !! »
هكذا .. بمجرد أن بدأ لهم ذلك .. قرروا أن يسجن يوسف ..
وإلى متى ؟ حتى حين ؟
مانهاية ذلك الحين ؟

يرجع إلى مزاجهم الشخصي .. لا تحديد لذلك السجن ..
شخص برىء يسجن بدون تحديد !!

إجرام .. واستهتار .. وإهدار لحريات الناس .. وكراماتهم .. وحقوقهم كأدبيين
بلامبالاة .. كأن لم يحدث شيء !!
وحين يبلغ الحكم إلى هذا المدى من الاستهتار بالأدبيين .. فهو أسوأ
أنواع الحكم ..

ثم هو مجتمع في انهيار تام .. خلقيا ..

نساء مستهترات عابثات .. باحثات عن المتعة والسهرات !!
ويكفيك دليلا على ذلك ما كان من الأعيب امرأة العزيز منع فتاها .. والأعيب
هاتيك النسوة مع يوسف !!

ووزراء فاسدون .. كأنهم الحجارة المرصوفة .. لا يقيمون عدلا .. ولا يحقون حقا ..
ويكفي أن الملقب بالعزيز .. كان وزيرا للداخلية .. ورأى ما رأى من امرأته ..
فكان كل ما صدر عن المذكور « يوسف أعرض عن هذا » ..
يوسف .. اكنتم هذا ..

هذا هو كل ما كان من وزير الداخلية آنذاك !!
ومجتمع يعج بالفساد الجنسي عجا ..
يصور ذلك قولهن : « وقال نسوة في المدينة ، امرأة العزيز ، تراود فتاها ، عن
نفسه ، قد شغفها حبا .. »

هذا هو ما يشغل بال المذكورات !!
أقاصيص الحب .. وكان حزنهن الأكبر .. أن امرأة الوزير .. ظفرت بهذا الجميل ..
من دونهن !!

وباليتين كن مكانها .. لعرفن كيف يستهوينه يجاملهن !!
فلما وجدن الفرصة اليه .. بدا ذلك منهن وانحما .. وأخذن في مرادوته !!
ويصور لك ذلك الاستهتار الجنسي .. والانحلال الخلقى ..
حين نسمع امرأة .. كامرأة العزيز .. تعلن في حفلة عامة .. على جميع الحاضرات ...
والحاضرين من السادة والكبراء ..

تعلن : « ولقد راودته عن نفسه ، فاستعصم ، وإن لم يفعل ما أمره ، ليسجنن
وليكونا من الصاغرين » .. !!

امرأة وزير .. وزير الداخلية .. تعلن في حفلة عامة ..

« ولقد راودته عن نفسه » ..

تعترف بذلك اعترافا .. على الملأ .. في حفلة ساهرة عامة .. في العاصمة .. فيها كبار رجال الدولة .. ونساء الطبقة الراقية كلها ..

وأوضح من ذلك .. وأدل على استهتار نساء ذلك المجتمع وانحلالهن .. أن تقف وتعلن وتهدد : « وأئن لم يفعل . ما أمره ، ليسجنن » !!

وأئن لم يفعل !!؟

كانها تعلن : وأئن لم يأتي يوسف .. ويمتحنى كما أشاء : . ليسجنن .. لأمرن زوجي .. وزير الداخلية .. فيدخله السجن بجرمة قلم !!

مجتمع منحل .. فاسد ..
ومظالم هنا وهناك ..

كان ذلك هو المجتمع المصرى .. الذى أصدر الملك أمره .. أن يكون يوسف رئيسا

لوزرائه !!

مهمة ثقيلة جدا ..

وماذا يفعل نبي الله يوسف .. ليزحزح ذلك الفساد العريض .. السارى فى كل خلية

من خلايا البلاد ؟ !

فلا عقيدة .. ولا أخلاق .. ولا عدالة اجتماعية .. ولا نظم ثابتة مستقرة ..

وهذا يفسر لك لماذا حرص الملك أشد الحرص على اسناد رئاسة الوزارة إلى يوسف ..

انه يريد رجلا .. انه كان يبحث عن رجل أمين ..

فوجد ضالته فى يوسف .. فألقاها إليه .. ليحمل عنه تلك الأعباء الثقيل ..

وليس أشق فى الوجود .. من حكم مجتمع قد انتشر فيه الفساد !!

يوسف .. فى مقام القيادة ؟!

ألقي الملك بأعباء القيادة والسلطة إلى الرجل المسكين الأمين ..

وتلقاها .. الرجل .. الحفيظ العليم ..

ونفض بها على أعلى ما يتصور من النهوض بأمانة الحكم .. ونزاهة السياسة ..
ووضع يوسف في التجربة .. أوسع تجربة ..
ودخل امتحان السياسة .. أعلى سياسة .. فهو الرجل الأول في البلاد المصرية ..
والرجل الأول في منطقة الشرق الأوسط .. لما كان لمصر من سيادة وقيادة وإشعاع
هيما جاورها .. كما هو دورها التاريخي دائما ..
فإذا تأملنا قوله تعالى : « ولما بلغ أشده ، آتيناها حكما ، وعِلمًا ، وكذلك نجزي
المحسنين » ..

أدركنا أن يوسف أوتى الحكم شابا قويا ..
وقد ثبت تاريخيا أنه كان في سن الثلاثين ..
« جاء في الكتاب المقدس :
« وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدّم فرعون ملك مصر . فخرج يوسف من
لندن فرعون واجتاز في كل أرض مصر . »

« آتيناها حكما » .. آتيناها سلطة عظيمة .. جعلناه رجل مهر الأول ..
« وعِلما » عبقرية السياسة .. وعبقرية العلم بعموميات السياسة .. وخفيات الأمور ..
فيوسف إذاً كان عبقريا .. أعلى أنواع العباقرة ..
تجد ذلك مكنونا في قوله تعالى : « عِلما » .. علما عظيمًا ، وراء علوم البشر ..
آفاق عليا من النور .. والعلوم الدنية .. والمعارف القدسية ..
أعلى انواع العبقرية ..
كان سياسيا عبقريا ..
وحاكما عبقريا ..
وصديقًا .. ونبيًا .. عبقرًا !!

فكانت شخصيته .. شخصية خارقة .. ذات آيات بينات ..
فمن جهة الهيئة .. كان رجلا جميلا .. وقصة جماله الخارق .. معلومة ..

فهو قوة في البدن .. وقوة في الشباب .. وقوة في الشخصية ..
من رآه هابه .. وأعظمه .. واثار احترامه الشديد ..
فكل مقومات العظمة الشخصية كانت تتلألأ في وجهه الكريم ..
فهو انسان كريم .. عظيم .. مهيب .. أخذ .. مؤثر في الغير .. يثير احترام الجماهير ..
الخاصة والعامة ..

وإذا علم أن الأنواع التي كانت تحكم مصر من قبله كانوا شخصيات منحلة ..
علمنا إلى أى مدى .. كانت مشاعر الشعب المصرى .. نحو يوسف .. الذى جاء من
بعد هؤلاء .. وإنما يتلألأ البدر إذا اشتد الظلام ..
اجتمع لشخصية يوسف كل ما يمكن أن يجتمع لشخصية بشر من الكمال والجمال
والجلال ..

فهو مؤهل لأن يكون ملكا .. قبل أن يرفع إلى الملك !!
هذا عن الظاهر ..

أما عن الباطن .. عن قلب يوسف .. فحدث ولا حرج !!

قلب نبي كريم .. تتموج فيه الأنوار الإلهية موجا !!

وإذا اكتمل لسان كمال الظاهر .. وكمال الباطن .. فهو النبي ..

وذلكم كان يوسف !!

وإذا علم أن الثابت تاريخيا أن يوسف مات عن مائة وعشر سنين ..

جاء في الكتاب المقدس :

« وسكن يوسف في مصر هو وبيت أبيه . وعاش يوسف مئة وعشر سنين ..

» ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين .. فحنطوه ووضع في تابوت في مصر ..»

وأن يوسف كان محبوبا من الشعب .. ومن الملك ..

كان معنى هذا أن يوسف مكث في منصب رئيس الوزراء نحو من ثمانين عاما !!

إلا أن يكون اعتزل الحكم أثناء حياته ..

وأكبر الغن أن هذا لم يحدث ..
فأين يجد المصريون مثل يوسف !!؟
ثم انون عاما من النور ..
فهى أسعد فترات الحكم فى تاريخ مصر على الأطلاق .
فلم يحدث أن حكم مصر نبى إلا يوسف !!
مأعظم هذا .. وما أسعد أهل مصر بهذا !!
لقد كانت فرصة العمر .. وهديفة السماء إلى أهل مصر ..
وحين يحكم الأنبياء .. فقل ما شئت من الرحمة المبهوثة .. والنعمة السابغة .. والعدل التام .
والنور المنطلق ..

لقد كانت تجربة وحيدة فريدة أن يحكم مصر نبى كريم !!

تخطيط سياسى اقتصادى عظيم !!

واستمكن يوسف من «خزائن الأرض» ..
من مقدرات .. وسلطات .. جميع البلاد .
وخطط تخطيطا محكما لستقبل المجاعة القادمة ..
ونفذ أرقى أساليب حفظ المحاصيل ..
فأمر أن يحتزن الفائض عن الاستهلاك السنوى ..
من القمح والشعير والبول والذرة والسهم والبول السودانى وغيره من محاصيل مصر ..
فى سنابله ..

أى يترك فى أعواده كما هى ..

وأمر فاستولت الدولة على فائض الاستهلاك من جميع هذه المحاصيل ..
وكانت السنون السبع الأولى وفيرة الخيرات ، وفيرة المحاصيل ..
وكان على كل زارع مصرى .. أن يورد إلى الدولة فائض استهلاكه ..

ومن الحتم أن يوسف أصدر أوامره، أن تورد كميات محددة عن كل فدان زرع حبوبا .
قدرها تقديرا عادلا يتناسب وعدل النبوة ورحمة المرسلين .
وكانت الدولة تستقبل في مخازنها تلك الكميات الوفرة من المحاصيل المتروكة في أعوادها
وتجمع في مخازن .. أو خزائن الدولة ، فائض سبع سنين سمان . .
فكانت الخزائن تموج بملايين الأطنان من القمح والشعير والذرة والسمسم والفول
وغيرها ..

المجاعة ١٩

وجاءت السبع العجاف .. فانخفض النيل انخفاضا خطيرا .
وجفت الأرض .. وهلك الزرع .. وكانت مجاعة رهيبية .
استمرت سبع سنين متواليات !!
وامتد الجفاف والقحط إلى المنطقة .. حتى شمل الأردن وغيرها . .
وهذا يفسر لك : لماذا قدم إخوته إلى مصر يلتمسون شيئا من الحبوب ؟
وتلألأت عبقرية يوسف ..
فخطط تخطيطا عظيما .. لاستقبال تلك المجاعة ..
وكان عليه أن يقوم بمحاجات الملايين الجائعة .. طوال سبع سنين :
ليس هذا فقط .. وملايين غير المصريين .. من سكان الأردن وفلسطين وغيرها ..
إن المنطقة كلها قد أقحطت .. وتوشك أن تهلك .
وتلألأت النبوة .. في يوسف ..
فأعطى الناس بالتساوى .. بمقادير معينة .. معلومة ..
حتى انقضت تلك السنوات ولم تشعر الملايين بآلام المجاعة الرهيبة !!!

عام الخير ١٩

« ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ ، فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ، وَفِيهِ يُعْصِرُونَ »

وانقضت السنون السبع العجاف .. وذهب الجفاف .
وأقبل فيضان النيل عاليا علوا فوق العادة .
فغمر الأراضي .. واهتزت بكل زوج بهيج !!
وأعطت الأرض ... التي كانت معطلة سبع سنين ... لا تزرع ولو تروى .. محصولا
وفيرا جدا .
لأن الأرض الزراعية إذا تركت عاما بعد عام بلا زراعة ثم زرعت .. كان المحصول
وفيرا ..

فكيف وأكثر الأرض مضى عليها سبع سنين لا تزرع ولا ينزل عليها ماء ؟
لقد كان عاما مباركا .. ضوغت فيه المحاصيل ...
وزاد من خيرها .. أن الامطار هطلت بغزارة على أرض مصر .. وما جاورها ..
فاجتمع خير النيل .. إلى خير السماء ..
ويصور لك وفرة محاصيل ذلك العام .. قوله تعالى « وفيه يعصرون » ..
أى أن الثمار التي تعصر .. كالسمسم .. والسكرتان .. والعنب .. والبرقال ..
فاضت عن الاستهلاك السنوي .. مما اضطر الناس إلى عصرها .. واحتزانها عصيرا !!

نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ ۗ

وما انقضت تلك الاعوام .. الخمسة عشر ...
سبعا في خصب ..
وسبعا في جذب ..
وعاما في رخاء ..
حتى كانت عبقرية يوسف .. في الحكم .. والسياسة .. والاقتصاد ..
قد شاعت وذاعت .. وجاوزت حدود مصر .. إلى جميع أنحاء العالم ..
وأصبح يوسف .. أعظم شخصية سياسية .. في أنحاء العالم ..

يتحدث عن عجائبها .. وبراعتها .. وعبقريتها .. العالم كله !!
« نرفع درجات من نشاء » .. لقد رفع الله له ذكره .. فهو أشهر رجل عالمي ..
ورفعه درجات .. بما آتاه من علوم النبوة .. فهو نبي عظيم ...
ورفعه درجات في علوم الاقتصاد السياسي .. فهو أبرع وأقدر رجل في العالم .. في
مجال السياسة والاقتصاد .. وحل مشكلات الشعوب ..
ورفعه درجات حين نجح في احقاق الحق .. واشاعة العدل في شعب كان قد فسده
كل شيء ..

ورفعه درجات .. حين أقام الأخلاق .. في شعب كان قد ذهبت أخلاقه ..
ورفعه درجات .. حين ساس شعب مصر .. بل منطقة الشرق الاوسط كلها .. قرابة
ثمانين عامًا .. والرحمة .. والقيم العليا ..
ورفعه درجات .. حين لم تطفه السلطة المطلقة .. وإنما كان ملكا مطاعا .. بينما هو
لربه عبدا مطيعا .. « إنه من عبادنا الخالصين » !
ورفعه درجات .. حين أتاح للمصريين أجمل فرصة .. في تاريخهم .. فنعموا بأعدل حكم
شهدوه .. أو يشهدوه .. إلى يوم القيامة ..
حكم الأنبياء .. وما أدراك ما الأنبياء !!
ورفعه .. درجات .. ودرجات .. ودرجات .
لا يعلمها إلا هو .. كما قال : « وفوق كل ذي علم عليم » !!

« تم »